هل الخليج: عربي أم فارسي؟!

مناقشة هادئة لآراء الأستاذ محمد حسنين هيكل

وقضايا أحوازية أُخَرْ

باقر الصراف
عادل السويدي



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســم الكتاب :هل الخليج: عربي أم فارسي وقضايا أحوازية أَخَرْ ؟!

المـــــــــؤلف : باقر الصراف
عادل السويدي

رقــم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١٢

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

المقدمة

بعض الكتب تنطوي على مقدمات توضيحية وفذلكات نظرية تسوغ المبررات «الوجيهة» لصدورها ، وهي على العموم تعطي ـ كذلك ـ المبررات الموضوعية أو الذاتية للاهتمام بموضوعها ، ولكن كتابنا هذا يتعلق بقضية تبدو جدُ هامة لشعبنا العربي الأحوازي على الخصوص، ولعموم المخلصين من المواطنين العرب ، وترتبط بالإخلاص لمفهوم الأمة العربية ومستقبلها وكينونتها ، باعتبارها معطى تاريخي مشترك ، كونها تناقش موضوعاً محدداً ، هو المفهوم السياسي : الثقافي والتاريخي والجغرافي ، لأحد أجزاء مناطق الوطن العربي ، الذي يحاول البعض تناسيه على منحر العلاقات السياسية مع بعض الأنظمة اللا عربية في جوار الوطن العربي ، بذرائع شتى ، وعلى مذبح تلقي العلوم الجيوسياسة في البلدان الأوربية ، خلال مراحل تاريخية سابقة ، وهو مجرد زعم كما نرى ، إذ أنّ المفهوم العلمي لأية بقعة جغرافية تحدده بنيته الاجتماعية والقومية ، وظروفه التاريخية والجغرافية . هذا هو القسم الأول من هذه الدراسة.

أما القسم الثاني فقد انصرف إلى تقديم دراسة عينية للمحددات الاستراتيجية لمناقشة أية قضية قومية ، طبيعة مجتمعها ، وكيفية التعامل مع ثرواتها الأساسية : الأرض والمياه ، وخلافهما خاصة على الصعيد الثقافي ، وتلقي العلوم والآداب باللغة الأم . أما الجانب الثالث من موضوع الكتاب ، فهو التطرق إلى بعض المعالم الكفاحية للمكون الاجتماعي ، الذي يتعمد البعض إلى التنكر له أو التعامي عن رؤيته . فيما يتبقى الجزء الرابع والأخير ، وهو الذي يتعلق بالسلطات المحتلة لهذا الجزء من الوطن العربي ، وكيفية تحديد رؤاها السياسية في يوميات تطبيق سياستها العملية : التكتيكية والاستراتيجية ، وجلافة ممارساتها العملية التي لا تختلف عن أية ممارسة تعسفية يقدم عليها أي بلد استعماري ، متحضر أو متوحش.

إنَّ ظلم ذوي القرابة القومية ضد أبناء جلدتهم العربية ، وتحت أية حجة كانت، أمرٌ لا يطاق على جميع المستويات ، خاصة إذا كان ذلك التكوين الاجتماعي يرسل دماء أبنائه في كل يوم في سياق العمل لنيل حقوقه : حق تقر المصير ، وإذا نطق دم الشهداء ، وتكلّمَت الجراح ، فعلى الدعاية الأيديولوجية أن تتوارى عن الصياح والتهييج والكذب ، أو على الأقل ، أنْ لا يستمع إليها العرب المخلصون ، والمثقفون منهم على وجه أخص ، وهذا الأمر : ظلم ذوي القربى ، بالإضافة إلى الضمير القومي العربي والحضاري الإسلامي وشرعة حقوق الإنسان فعلاً وحقاً ، هي المحفزات الأساسية لبذل هذا الجهد الفكري والسياسي ، نأمل من أبناء شعبنا العربي الأحوازي تقبله ، والله من وراء القصد.



القسم الأول

أخليجٌ عربي أمْ خليجٌ فارسي ؟!

تساؤل مشوب بالمرارة موجَّه إلى الأستاذ محمد حسنين هيكل ، على وجه الخصوص ، وإلى مجموع المفكرين الناصريين العرب ، بشكلٍ عام ، ونقول متسائلين : متى يصحوَ الموقف السياسي الحق ؟ومتى نتبصر الأمور بشكل موضوعي ؟
٢٠١٢/١٢/٣٠م.



القسم الأول : أخليجٌ عربي أمْ خليجٌ فارسي ؟!

١ ـ فذلكة لا بد منها:

لا شك أن القامة الفكرية والسياسية والأخلاقية التي يتمتع بها الأستاذ النبيه والوطني المخلص ، و الصحفي العربي اللامع الأستاذ السيد محمد حسنين هيكل ، وخصوصاً عندما يبحث شؤون المستقبل العربي ، عبر تسليط الأضواء على الماضي السياسي للأمة العربية ، منذ القرنين الثامن والتاسع عشر ، [١].لا شك أنها قامة
رفيعة في عالم الكتابة السياسية ، والمحاضرات المثبوتة التي تكثف المحطات السياسية الأساسية لحياته العريضة ، وبحوثها الجمة الكثيرة مكتنِزة بالمعلومات.

الوثائقية ، فضلاً عن كونها تحاول التدقيق في عمق الأحداث التي تأخذ منحى المنعطفات التاريخية وتفاصيل خلفياتها الموضوعية : أسبابها وتجلياتها المؤثرة في الواقع السياسي المصري والعربي.

وفي تصوري الشخصي ، كفرد يؤمن بالأمة العربية كمعطى تاريخي مشترك أنه يشكل في تكوينه المعرفي عقلاً جماعياً وكلياً وطاقة فكرية متميزة بالحضور المعنوي والإستنتاج السياسي الرصين ، والذي يتمتع ـ كذلك ـ بامتلاك حاسة التبصر [وفق المفهوم اللغوي] القومي الجاد والمخلص ، فضلاً عن أنه استطاع الاستفادة من تطور الأحداث الموضوعية بحكم ممارسته السياسية وعمره المعرفي الثقافي المديد ، وتلازم أقواله مع أفعاله في ممارسات عينية كثيرة .

بادئ ذي بدء ، علينا الاعتراف ، بأنَّ الوعي السياسي الكلي بحركة التاريخ العربي والإقليمي والعالمي ، وليس الأحداث المتفرقة في مدلولاتها ، والمعزولة الواحدة عن الأخرى في سياقاتها ، أو تصورها على أنها مجرد وقائع متتابعة حكمت طبيعتها السياسية وأنتجتها المصادفات ، بصدد تاريخ المنطقة العربية ، وما شهدته الأمة العربية من صراعات كونية ضد الأجنبي أو التي شنّها الأجنبي على أبنائها من أفراد الشعب العربي أو تكويناتهم المجتمعية ، وحضارتهم العربية والإسلامية الماثلة في الواقع التاريخي الملموس وليس المبني على تجريد نظري مدرسي باهت أو المتكونة وفق تصورات أيديولوجية ، هي المعيار في التقويم والتحديد والتقرير.

---

(١)كما يتجلى ذلك في كتابه الموسوعي ، والموثق ، والمعنون بحروب الثلاثين سنة : ملفات السويس، سنوات الغليان ، الانفجار ، حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، راجع خصوصاً كتاب حرب السويس ذاك ، الصادرة طبعته الأولى في العام ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م عن مركز الأهرام للترجمة والنشر ، وبالذات القسم الوثائقي المنشور على الصفحات ٦١٥ ـ ٩٢٣ . والجزء الأول من كتابه المعنون المفاوضات السرية بين إسرائيل والعرب : الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية، الصادر عن دار الشروق ، الطبعة الثالثة ٣ / أبريل ١٩٩٦ ، القاهرة / مصر ، وكذلك : الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق.

سواء أكانت تلك الحوادث أو الغزوات في الماضي الفارسي أو البيزنطي أو المغولي في المراحل التاريخية القديمة ، أو العثماني / التتريكي ، خصوصاً ، خلال مراحله الأخيرة في أوائل سنوات القرن العشرين التي أعقبت تسلط جمعية الإتحاد والترقي ونزعتها العنصرية الطورانية ، التي من بين أبرز عناوين سلوكها السياسي: التتريك اللغوي والتتريك الوظيفي ، من ناحية ، أو تبلورت خلال العصر الحديث في القرنين الثامن عشر أو التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين : من خلال الحروب الغربية العدوانية التي قادتها كلٌ من بريطانية وفرنسا ، بشكلٍ أساسي وعلى وجه التحديد ، علاوة على بعض الدول الأوربية الأخرى من ذاتَ النزوع العنصري أو الإستعماري ، بالتزامن أو التلازم مع الصعود الرأسمالي الأوروبي الإستعماري ، أو من قِبَل الحملات الحربية العدوانية التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية خلال العقود الأخيرة من ذلك القرن ، عبر اندفاعاتها السياسية والعسكرية الإمبريالية / المتعولمة / التترية بهدف الإستغلال أو الاستيلاء ووراثة مناطق النفوذ للاستعمارين البريطاني والفرنسي ـ وكذلك في كل العالم ـ والتي تجرع الوطن العربي منغصات مخيفة وأساسية مختلفة منها ، وكذلك تشربت شعوب أقطار الوطن العربي مآسٍ متنوعة في مستوياتها ، واحدة إثر أخرى ، على خلفية تكوين إمبراطوريتها الغاشمة الجائرة .

لقد كان الوعي الفكري والسياسي للنزوع الغربي الإستعماري أشد وطأة على الوضع السياسي العربي وعموم أوضاع الأمة العربية جرّاء الصراع بينهما ، بحكم نسبة القوى المادية والتسليحية بين الأطراف السياسية والحضارية المتصارعة ، وتطور تقنية السلاح ذات القوة النيرانية الهائلة والتفجيرية العاتية والتدميرية العالية ، واستعداد دول الغرب لوضع تلك التقنيات في خدمة خططها السياسي واستراتيجيتها العسكرية التي تخدم هدف سياسي محدد ، والعمل السري

أو المكشوف ، المباشر أو غير المباشر ، لممارسة نتائج أبحاث تلك التقنيات المتطورة وتطبيقها على «الخصوم» وخصوصاً من العرب .

إنْ لم نقل منذ الحروب العدوانية للفرنجة على العرب والمسلمين خلال القرن العاشر الميلادي وما أعقبها ، والمعروفة تاريخياً بالنسبة للعرب بإسم «الحروب الصليبية»، وربما ما كان قد ساعدها على تمرير وإنجاح إستراتيجيتها في العصر الراهن هو السلوك السياسي للأنظمة العربية المتحررة والتي ثارت على هذا الغرب الإستعماري الذي نجم عنه ، تغييب الشعب العربي وبعض طلائعه المخلصة ، عن ميادين المعركة ضد تلك الحروب والغزوات ، وما يستبطن هذا التغييب من شطبٍ ملموس على فرص نيل مفاهيم العدالة والإنصاف الممكنين ـ وليس بمستوى الأماني والطموح ـ تجاه شعوب أقطار الوطن العربي .

والتاريخ على العموم، ليس حوادث متتابعة من دون روابط متحركة ، بل هو وقائع عملية متواصلة يؤدي الفعل السابق منه تأثيراته الجمّة على الوقائع اللاحقة ، في توالٍ ربما كان متناغماً على خلفية الخطط السياسية المرسومة في وزارات الخارجية والعسكرية لدول العدوان . ونستطيع من خلالها المعاينة المدققة في الصورة السياسة [بالمعنى الفلسفي] الكلية لتاريخ المنطقة العربية ، لمجمل التطورات السياسية الموضوعية بما يمكننا من رؤية ملابسات الوضع السياسي القائم آنئذٍ ، بهدف توقع إتجاه التطورات العامة المحتملة التي ستصيب بقعة جغرافية محددة وتجُس نبض واقع إجتماعي ماثل في رصدٍ : لسؤال وجواب ، حول عما إذا كانت أفعالنا قدّمت أو أنها كانت ستخدم أفعال قوى العدوان المتجمعة لكي تحكم ممارسات صناعة الموت أو الإستيلاء على مناطقنا ! .

إنّ البحث في سيرورات التاريخ المتعاقبة أو دراستها المدققة والمتبصرة تسـ«تهدف الكشف عن الماضي كما هو حقيقته» (١)، من أجل استكناه قوانينه الداخلية أو أسبابها المسيِّرة لأي فعل موضوعي والمولدة للظرف الجديد . وهكذا دواليك . وهو الأمر الذي يتطلب الدراسة الموضوعية أساساً ، بتعبير آخر ـ ووفق ما يقول به الأستاذ كمال فهمي ـ «بناء موضوعه بدقة ، ودراسته موضوعياً، أي باستبعاد الذاتية أو على الأقل التحكم فيها» ، فضلاً عن الاستعانة بـ«الآثار والوثائق» وتوفير منهج «نقدي» للتعاطي مع معطياتهما المحليةَ والعالمية، بغرض بناء التصورات للـ«واقعة التاريخية» (٢)، وأسباب حدوثها ومسبِّبات وقوعها ، بحيث يستقيم التأويل ويتسق التفسير وينسجم مع التطورات السياسية الموضوعية المرئية أو السرية بالقدر الممكن .

فالإنسان المفكِّر والمسؤول في صدقيتهِ مع نفسه ومع الآخرين ، والمهتم بالشؤون السياسية لوطنه وأمته ، يحاول جاهداً التحري الرصين عن منطق التاريخ الحقيقي ، وسيرورة اتجاهاته المستقبلية ، مع توفر المحددات للكتلة الاجتماعية التي تمارسه ، عبر معاينةٍ متبصرة لـ«العوامل المحركة لصيرورته التاريخية» آخذين في الاعتبار شرطاً فكرياً وسياسياً تكوينياً ، قوامه ضرورةٍ توفر الوعي السياسي الكلي والمسبق بـ«الوضع الاجتماعي المحدد زمانياً ومكانياً» ، كون كل ذلك يقتضي نفي مقولة «الرؤية الأحادية للتقدم لصالح الأخذ بفكرة النسبية الثقافية وبتنوع أشكال التقدم الاجتماعي والتاريخي» (٣).



(١)راجع كتاب الأستاذ كمال فهمي المعنون مفاهيم فلسفية ، الطبعة الأولى الصادرة عام ٢٠٠٩ الصادرة عن مطبعة النجاح الجديدة ـ دار البيضاء ، المملكة المغربية ، ص ٣١ .
(٢)المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٣)المصدر السابق ، ص ٣٧ .

٢ ـ لماذا يجري إغفال الدور الإيراني في الاحتلال الأمريكي للعراق؟

سبق وأنْ أدركنا مضمون كلام الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل ، الذي ورد في أحد كتبه ، بمناسبة احتلال الدولة العراقية الحديثة ، والقائل بأنَّ العراق هو أحد الأضلاع الثلاثة الهامة للوطن العربي ، لذا كانت الخسارة لأمته كبيرة وربما لا تعوض في الراهن الزمني المعاصر ، ولكن لماذا كان هذا الاستنتاج السياسي الذي نطق به الأستاذ هيكل في كتابه المعنون: الغارة على العراق ، يلقى العناية الهامة والاستثنائية منا ، وما هي المهمة المطلوبة منا لإدراك ذلك ؟ .

لقد كان مطلوباً منا متابعة هذا الموضوع تاريخياً وجغرافياً من أجل دعمه المعرفي وإغناء استدلاله الفكري ، بغية تسليط الأضواء على «دور العراق الاستراتيجي في إطاره و أبعاده التاريخية ، أولا، حتى نتعرف على العناصر الثابتة والمتغيرة في كيانه الإقليمي ، {ثانياً}» [١]، كما يقول أحد العلماء الجغرافيين العرب والمفكرين الاستراتيجيين ، ممن يؤمنون بواقع الأمة العربية ويحظون عند الأستاذ محمد حسنين هيكل بالاحترام الفائق الحد ، لذا كان اللجوء إليه وهو العالم الكبير الفقيد الدكتور جمال حمدان من قبيل الضرورة الفكرية اللازمة لإدراك كنه الأهمية العراقية في التاريخ القديم والحديث كذلك.

إذ أننا كنا لا نستوعب أهمية كل ذلك من دون معرفة «هذا الدور التاريخي ، {فقد} يمكن أنْ {نخطئ} فهم عبقرية المكان في العراق بالذات، لأنه ما من قطر عربي على مدى الزمن، عرف من التقلبات العميقة في مقدراته ومصائره، في أقداره وقواه، مثلما عرفه العراق» [٢]، كون «حركة توسّع الإسلام الكاسح نحو الشرق في آسيا الوسطى لم يكن غير العراق يصلح ـ بموقعه البارز المتقدم في ذلك الاتجاه ــ لدور «رأس الحربة» في ذلك الزحف ، ولهذا كان العراق الجبهة الأمامية للوطن العربي الجديد، وآلت إليه وظيفة السيطرة على ما في شرقه ابتداءً من فارس وخراسان . ولمّا كان التركيز في ذلك العصر البطولي الديني هو على العالم الإسلامي كوحدة التفاعل المشترك الفعالة أكثر منه على الوطن العربي، فمن السهل أن نرى كيف كان العراق يحتل موقعا متوسطا بؤريا تماما بين الإسلام في وسط آسيا من جانب، والإسلام في غرب آسيا وشمال أفريقيا من جانب آخر. أي أنه كان قلب العالم الإسلامي المتمدد العظيم، ومن هنا كان دوره الطليعي القيادي، دور رأس الحربة، ومن هنا كانت حضارة «دار السلام الذهبية الرائعة»[٣].

---

(١)المقصود به السيد الدكتور الفقيد جمال حمدان الذي وصفه السيد الأستاذ محمد حسنين هيكل بـ«عنقاء حلم مصري وقومي عظيم ، [. . . و] ، الأحلام العظيمة حتى في قلب اللهيب والتفحم لا تتحول إلى رماد ، وإنما تنهض بمعجزة من معجزات البعث من وسط الحريق مجددة حياتها وشبابها ، ناشرة ضياءها وإلهامها ، فاتحة أجنحتها القوية ، ومحلّقة إلى أعالي السماء» . راجع كتابه المعنون أكتوبر ٧٣ ، السلاح والسياسة إصدار مركز الأهرام ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م ، ص ٢١ .

(٢)راجع دراسته الهامة في مجلة الفكر المعاصر ، العدد ١٢ ، (شباط / فبراير ١٩٦٦) ، ص ٣٤ ــ ٤٥ . نقلاً عن مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة التراث القومي ، قراءات في الفكر القومي ، الكتاب الثاني الوحدة العربية ،لمجموعة من المؤلفين ، وعنوان البحث حول وحدة الرافدين والنيل ، للدكتور جمال حمـدان .

(٣)المصدر السابق .

ومسار التاريخ ، كما نعرف ، ليس وحيد الإتجاه والنمو ، وهناك من العثرات والنكسات الهائلة ، قد شابت تاريخ الحضارة العربية الإسلامية وبالتالي شملت واقع العراق ودوره الاستراتيجي في المنطقة العربية ، إذ أنَّ «نقطة الضعف الكامنة مستترة في موقع العراق لم تلبث أن تكشَّف فجأة حين بدأ قلب آسيا يتحول الى صد إعصار بشري و دوامة عاتية تلفظ بموجات الرُحـَّل المحطِمة المخربة. فبحكم موقع العراق على تخوم الوطن العربي تعرّض ، أكثر من أي جزء آخر منه لطرقات وطوفانات الرعاة الفرسان . فما من موجة غازية لهم لم تصل إلى العراق بينما ـ للمقارنة ـ قد تنجو منه سوريا أحيانا ومصر دائما. تلك كانت قصة السلاجقة ثم التتار و المغول ابتداءً من جنكيز خان وهولاكو في القرن الثالث عشر إلى تيمورلنك في القرن الرابع عشر. و لم يكن في هذه كغارة المغول الوثنيين المدمرة لأنهم كانوا ــ أكثر من الوندال ــ من « سفاحي الحضارات » بكل معنى الكلمة» [١].

وعليه يمكن القول إنَّ لعنة الموقع الجغرافي له جعلت العراق يتلقى الضربات الإستراتيجية بشكل دائم في القرون القديمة أيضاً ، «إلا أن أسوأ من ذلك التخلّف المؤقت ما حاوله الاستعمار {الحديث} عندما ، [. . .] ، وضع مخططا كاملا ليحوّله عن قبلة العرب إلى قبلة مزيفة نحو الشرق ، فمرة يحاول أن يدخله في فلك الهند سواء بأن يدار منها أو بأنْ توضع مشاريع خبيثة في العشرينيات وفي الثلاثينيات {من القرن الماضي} «لتهنيده» وذلك بتهجير بضعة ملايين من الهنود إليه ، ومرة يربطه بقوى غرب آسيا إبعاداً له عن المحيط العربي، وذلك بضمه إلى ميثاق سعد أباد مع إيران وأفغانستان حينا، أو حلف بغداد مع تركيا وإيران وباكستان حينا آخر» [٢].

من هذه التجربة التاريخية الشامخة أو المريرة تتضح لنا بجلاء حقيقة دور موقع العراق. لقد «تحوّل من رأس الحربة» في العالم الإسلامي إلى «درع» للوطن العربي. أصبح خط الدفاع الأول عن العروبة. ولهذا، وفي إنكار للذات منقطع النظير، تلقى كل تلك الضربات التي خربته. ولكنه في هذا افتدى الوطن العربي كله. وفي هذا يبدو فضله الجغرافي والتاريخي بوضوح تام .وإنَّ ما خبره العراق في تاريخه الوسيط من تفاوت شديد وذبذبة حادة الى درجة التشنّج في رخائه و إنهياره، وعظمته وانحداره، وعمرانه وخرابه ، كل ذلك بما لا نظير له تقريبا في بقية دار العرب، هو وظيفة مباشرة لموقعه الهامشي الحساس على تخوم العرب وقرب قلب آسيا، وظيفة باختصار لدوره كدرع الوطن العربي وترسه» [٣].

وعن أهمية الوطن الأحوازي الذي تميز عن العراق سياسياً بعد اِحتلاله إيرانياً يستخلص الدكتورحمدان ما يلي : «نستطيع أن نضع أيدينا على السبب المباشر في اختناق العراق إذا نحن تذكـّرنا ضياع عربستان، فردوس العراق المفقود، فهذا المثلث السهلي على رأس الخليج العربي، هو التتمة الطبيعية والاستمرار المباشر لسهل الرافدين العظيم وهو النافذة الطبيعية للعراق على الخليج العربي . فاغتصاب عربستان لم يسلب العراق رقعة غنية ثمينة من صميم الوطن العربي ونحواً من المليونين من أبناء العروبة فحسب، [وكتابة الدكتور جمال حمدان كان قبيل المنتصف الستيني من القرن الماضي] ، وإنما كذلك سلب منها بضعة مئات من الكيلومترات على البحر. والواقع أن ضياع اللواء السليب عربستان هو بالنسبة إلى العراق مثل ضياع الإسكندرونة بالنسبة إلى سوريا.

---

(١)المصدر السابق .
(٢)المصدر ذاته .
(٣)المصدر ذاته .

وجدير بالذكر أن حدود العراق التاريخية كانت تقليديا أقرب إلى خط القمم الجبلية ، بل كانت غالبا ما تتخطاه شرقا ، ويكفي أن نعلم أن جزءاً كبيراً مما هو الآن غرب إيران كان يعرف حتى قريب بـ «العراق العجمي» إشارة إلى طغيان المد العربي هناك ، أما تقهقر الحدود السياسية بعد ذلك نحو الغرب باطراد إلى أنْ أخذت مسارها الحالي، فتلك مسؤولية الاستعمار التركي العاجز أولاً و أخيراً، فما تراجع وسلّم هنا أمام الضغوط الفارسية خاصة في القرن الماضي {أي القرن التاسع عشر} وذلك على حساب العراق العربي سواء في الشمال الجبلي أو في الجنوب في عربستان» [١].

ولا بد هنا من كلمة استدراك للتوضيح . فنحن حين نحدد مواطن الخطر في حدود العراق مع جار له مثل إيران ، لا ينبغي بحال أن ننزلق إلى الخدعة التي يحاول الحاكم الرجعي المتآمر في هذه الأخيرة أن يسوّق إليها الرأي العام العربي، وهي أن يوقع بينه و بين الشعب الإيراني الحميم . فهذا الشعب الجار المسلم ، الذي يجمعه و العرب تاريخ حضاري وثقافي طويل المدى و تفاعل عميق كريم ، ليس له عندنا إلا كل تقدير و صداقة . ولكن الحكم الرجعي الأتوقراطي المتعفن في إيران [والذي زادته الرؤية الصفوية الطائفية علاوة على عنصريته السابقة ، بإساءات وخرافات غير محدودة ، وعدوانية لا حصر لها] لا يريد بحملاته على العروبة إلا أنْ يحوّل نظر شعبه المكبوت في الداخل عن معركته ، مع سجّانيه وقاهريه بأن يزيف عليه عصبية شوفينية منحرفة ضد شعب لا يشاركه قدر ما يشاركه في التطلع إلى خلاصه من رجعيته المحلية»[٢] .

***

ويضيف الدكتور الألمعي الفقيد جمال حمدان ووفق نظرة علمية وفكرية إستباقية ثاقبة التالي : «وقد أثبت التاريخ خطورة هذا الوضع. فلو أن تركيا استغلت مياه المنابع بإسراف أو أساءت تطهيرها، لأثّر ذلك في مائية العراق تأثيرا بالغا. ولو أن إيران أقامت سدودا على نهر الكارون في منطقة الأحواز لحرمت غابة نخيل شط العرب كل قطرة ماء، وهي التي تعتمد على مياهه الصيفية . وحتى الآن لم تتأزم العلاقة المائية حقا بين العراق وجيرانه إلا ما كان من حوادث فردية محدودة تركزت في الواحات الجبلية الصغيرة في شرق العراق على الحدود الإيرانية حيث قطعت المياه عن بعض القرى والمدن ولكنها عادت فسويت . على أن من حسن الحظ أن حاجة الجارتين الى مياه الري لا يمكن بالضرورة إلا أن تكون حاجة تكميلية ثانوية للغاية بحكم غزارة و كفاية موارد المطر الطبيعي في أحباسها. وحتى إذا ما حاولتا أن تسرفا في دعاويهما المائية للري ، فإن أغلب أودية النهرين في منابعهما جبلية ضيقة قزمية، وقصارى ما يمكن أن يبنى عليها من مشاريع وسدود هي وحدات ثانوية ضئيلة القدرة والتخزين . وبمعنى آخر، فإن للعراق أن يطمئن ـ كدولة ري تقليدية ـ على ثروته المائية من الناحية السياسية لأنها «حق ارتفاق» تاريخي كما هي حق ارتفاق جغرافي» [٣].

---

(١)المصدر ذاته .
(٢)المصدر السابق .
(٣)المرجع السابق ، واليوم في عهد الملالي أقامت إيران ستة عشر سداً مائياً حولت عبرها مياه الأنهار الأحوازية إلى مناطق في الداخل الإيراني : كأصفهان ورفسنجان وسيستان وغيرها .

أما الدور السياسي والعسكري الذي لعبته الدولة الإيرانية ونظامها السياسي الحاكم ملالياً ،في الاحتلال الأمريكي للعراق خلال العصر الراهن ، فقد كان واضحاً جلياً ، وليس كما يقول الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل في حواره الأخير ببرنامج «تجربة حياة» وذلك يوم الخميس الموافق ٩ / ١٢ / ٢٠١٠ مع السيد محمد كريشان ، والمذاع من على قناة «الجزيرة الفضائية» القطرية ، ويكرره بشكلٍ متواتر ، كلما حانت لحظة الحديث عن إيران الحالية : إن إيران لم تأتِ بجنديٍ أمريكي واحد ، وعليه يستخلص الصحفي الكبير براءة إيران من عملية الاحتلال الأمريكي للعراق ، مما يدفعنا لمناقشة ذلك الإستخلاص بشيء من الإستفاضة التي يمكننا القول معها أنَّ القصف الأمريكي لكي يقترن بالنجاح العسكري والسياسي ، كان يراد له أن تلتحق به الجهاز الدعائي الإيراني مثلما تلتحق به قوات برية تؤدي الدور المعلوماتي الإستخباراتي والقتالي المطلوبين في تدمير الدولة العراقية بغية المساهمة في منع مجتمعها من المقاومة الشعبية المسلحة ، أو عرقلتها في أحايين كثيرة ، وهو ما قامت به قوات ما يسمى بـ«قوات بدر» وميليشيات أحزاب طائفية ومجنديها الذين دخلوا العراق من إيران «الجارة الإسلامية» ، والتي بلغت أعدادهم في بعض المراحل السابقة ، وعلى وجه التحديد عشية العدوان الأمريكي على العراق في ١٧ / ١ / ١٩٩١ . . . بلغت ٦٠٠٠ مرتزق يحملون أفكاراً فارسية صفوية- إنْ لم يكونوا يحملون جينات فارسية أصلية - في خدمة قوات الغزو الأمريكي ، متوضعة في «جمهورية إيران الإسلامية» بانتظار إشارة بدء الغزو الأمريكي للعراق [1]، لكي تساعد القوات الصليبية الصهيونية ، بالمعنى التاريخي والحضاري ، وليس الديني قطعاً ، وتحت الإشراف المباشر للمخابرات الإيرانية [الساواما] .

***

أما فتوى خامنه أي المنشورة في الصحف العربية آنذاك ، حول السماح للأحزاب المذهبية التابعة لإيران بالتعاون العسكري والمخابراتي مع الدول الغربية ، وأمريكا بالذات ، فقد لعبت الحادلة السياسية / الفكرية كي تمهد طريق الغزو الأمريكي للعراق ، وهي على العموم أشهر من أنْ تُعرف ، كما أن المعلومات الكاذبة لباقر الحكيم وأحمد جلبي حول إمتلاك جمهورية العراق لأسلحة الدمار الشامل ، التي جرى فبركتها في السراديب المخابراتية الإيرانية ، هي أحاديث موثقة لمختلف المصادر التي لها علاقة بالوطن العراقي والعراق على وجه الخصوص ، مثلما كونها لا تخفى على ذاكرة السيد المتابع : الأستاذ محمد حسنين هيكل المكتنزة بالمعلومات ، وكلها دلائل على الدور الإيراني في الاِحتلال الأمريكي في العراق .

(١)كما أوضح ذلك بشكل تفصيلي في البرنامج الديالوجي المكتنز بالمعلومات الموثقة ، الذي بثته فضائية «الجزيرة» القطرية تحت عنوان «تجربة حياة» التي يمكن قراءتها على موقع فضائية «الجزيرة» القطرية ، في حقل البرامج المسجلة .

نعم ، بعض الأنظمة العربية وعبر توفير القواعد العسكرية ومعلوماتها المخابراتية والتسهيلات اللوجستية ، شاركت بشكل مباشر بمساعدة الأمريكيين المحتلين في العملية الغادرة لإحتلال العراق ، كما يرى ويثبت «مؤلف كتاب خطة هجوم»، ولكنْ، أيشكل ذلك مبرراً لعدم إدانة أدوار القوى السياسية الأخرى من الدول العربية والإسلامية المجاورة للعراق ، والتي تأتي إيران من بين أهمها لأسباب كثيرة ، والتي ساعدت بشكل مباشر أو غير مباشر الأمريكيين على اِحتلال العراق في ٩ نيسان ٢٠٠٣ ؟ .

وما هو الموقف السياسي للوطنيين العرب : لا سيما منهم المفكرون ، من العبث والتخريب الإيراني الممنهج واللاحق الذي طال مختلف مفاصل الدولة العراقية ، من ناحية ؟

ولعل ما قاله ـ إضافة إلى كل ذلك الذي سبق ذكره ـ محمد علي أبطحي، نائب الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي، صديق الأستاذ محمد حسنين هيكل ومستضيفه في مزرعته بالقاهرة ، أنه لولا إيران لما جرى احتلال العراق، وجرى ترديد هذا التصريح سواء أكان في المعنى أو المبنى عبرَ ألسنة العديد من القادة الإيرانيين، الذين من بينهم هاشمي رفسنجاني وأحمدي نجادي وغيرهما ، من ناحية أخرى ! .

كما أنّ دلالة زيارة أحمدي نجاد للقصر الجمهوري في بغداد بالعراق المحتل أمريكياً ، أو ما يسمى بالمنطقة الخضراء التي تقيم فيها حكومة الاِحتلال العميلة ، والذي يتحكم بحركته السياسية الأمريكيون المحتلون العسكريون ، من الناحية الثالثة ، هو أكثر من مؤشر على تقاسم الدور الوظيفي wetchdum بين المحتلين الأمريكيين، والحكام الفرس الصفويين ضد العراق ، والمسؤولية الأدبية : المادية والمعنوية تفرض على الوطنيين العرب : المخلصين ، تنبيه «الأخ أو الجار» بالقول الذي أمر به الرسول العربي الكريم محمد بن عبد الله ^، بضرورة ردعه عندما يكون ظالماً جائراً مجرماً ، ونصرته عندما يكون مظلوماً ، هذا إذا لم نتخذ الموقف السياسي المبدئي الحازم عبر ضرورة إدانته ، من الناحية الرابعة والأخيرة.

ومن المعلوم للأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل على هذا الصعيد ، ولمن يرى رؤيته السياسية المجحفة بحق الأمة العربية في هذا الشأن القومي المحدد ، نقول هذا الاستخلاص ونحن مستندون علمياً وعملياً على التاريخ العربي الحديث في المرحلة الناصرية المشرقة. . .نقول لكل الذين ما يزالون أسرى التضليل الفكري والسياسي حول الموقف السياسي الفارسي بصدد الوضع العربي برمته ، كما يبدو نقول مكررين ما سبق لنا وأنْ ذكرناه : إنَّ مساحة الأحواز الجغرافية والمحتلة إيرانيا تساوي مساحة فلسطين والأردن وسوريا ولبنان مجتمعة ، وأنَّ نفوس العرب في إيران تقارب العشرة ملايين مواطن يحرمون حتى من حرية اِختيار أسماء أبنائهم وبناتهم ، ولا توجد مدرسة عربية واحدة ، نعم مدرسة واحدة فقط وعلى أي مستوى دراسي كان ، تدرِّس أبناءهم باللغة العربية : لغة القرآن الكريم ولغة الأمهات ، رغم أنَّ الدستور الإيراني يزعم أو ينص وفقاً للمادة ١٦ على التالي : «بما أنَّ لغة القرآن والعلوم والمعارف الإسلامية هي العربية ، وإنَّ الأدب الفارسي ممتزج معها بشكل كامل ، لذا يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الإبتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية في جميع الصفوف والإختصاصات الدراسية».

وإن العراق الوطن والمجتمع المحتل أمريكيا على المستوى العسكري والمحتل إيرانيا على المستوى «الفكري والسياسي» راهناً ، ومن خلال الأذرع الميليشياوية المسلّحة وإتباعها للتعليمات الإيرانية ، والتي تعبث السلطة الفارسية في كل زواياه تخريباً عبر المخدرات وقتلاً من خلال الاغتيالات والخطف وكتم الأنفاس ، وسرقة النفط والثروات ، وإجراماً على كل الصعد المختلفة ، وتمزيقاً للمجتمع على أسس طائفية. إن هذا العراق يوازي مرة ونصف المرة مساحة الأحواز تقريباً ، أي مرة ونصف المرة مساحة بلاد الشام كلها ، وسبق للسيد هيكل أنه وصفه بـ«أحد أضلاع المثلث العربي الكبير»، سوريا والعراق ومصر، فعلامَ هذا التجاهل الكبير لواقع الأمة العربية بمختلف أقطارها «المستقلة» وأجزائها المحتلة. تجاهلها من قبل أبنائه المفكرين المخلصين العرب الذي تتزايد أهمية دورهم طرداً ، على ضوء التناسب الكبير في إطارموقعهم السياسي ونطاقهم الفكري الكبير ؟.

إننا إذ نعيد التذكير بالمعلومات الخاصة بالعراق ، والتي قال فيها الأستاذ محمد حسنين هيكل ، على سبيل الذكرى التي قد تنفع البعض ، من خلال اِسترجاع ما في ذاكرتنا من مواقف فكرية وسياسية جاءت على لسان السيد محمد حسنين هيكل في مرات سابقة من خلال مقابلة صحفية أجرتها معه مجلة «الوطن العربي» اللبنانية التي تصدر بباريس بقول السيد الأستاذ محمد حسنين هيكل:

إنّ لا شيء في العراق يغري الأمريكان على احتلاله، ولكنْ هذه الفرضية التي كانت نظرية قد جانبها الصواب ، وأصبح الإحتلال الأمريكي له قائماً و«حقيقة» عملية ملموسة راهناً، فمتى يراجع السيد الأستاذ محمد حسنين هيكل ـ ومَنْ يرى رؤيته السياسية أيضاً ـ موقفه السياسي تجاه الوطن العربي كله ، وليس موضوع الخليج العربي فحسب ، وينظر للأمور بتبصر موضوعي يأخذ الجانب الجغرافي والتاريخي كله : الماضي والحاضر والمستقبل ، وليس فقط الفترة الزمنية خلال الخمسة عقود التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ؟ .ومتى ينظر للقضية السياسية كلها انطلاقا من معطيات الأمة العربية، وليس منظوراً إليها من مسألة الأمن الوطني أو القومي المصري ؟[1].



(١)راجع على سبيل المثال لكي نطلع على بعض الدراسات الكلية ، الكتاب الهام جداً والمعنون : الغرب ضد العالم الإسلامي من الحملات الصليبية وحتى يومنا ، تأليف العلامة الروسي بونداريفسكي ، ترجمة إلياس شاهين ، إصدار دار التقدم في الإتحاد السوفييتي ، في العام ١٩٨٥ . وخلاله ـ كما يأمل المؤلف ـ من صدور مؤلفه الغني بالمعلومات و«المرتكز على دراسة المطبوعات العلمية والوثائق الأرشيفية خلال زمن طويل» أنْ يكشف للقراء والمتابعين الجادين الوعي العميق والتفصيلي حول «الجوهر العميق للإستعمار والاستعمار الجديد ودورهما المشؤوم في مصائر شعوب العالم لإسلامي» ، كما ذكر ذلك في مقدمته وفي الصفحة ١٥ من ذلك الكتاب .

٣ ـ الوعي السياسي والاحترام للمشاهد . ..ولكن ؟!

فالأستاذ محمد حسنين هيكل بقامته الفكرية النبيهة والسياسية المديدة ورؤيته الإستباقية التي تبيُّنها بشكلٍ بارز ، غالبية كتاباته السياسية / التاريخية التي تجاوزت أعوامه نصف القرن الماضي كما قلنا سابقاً ، وكذلك مقابلاته الفضائية عبر البرنامج الهام «تجربة حياة» ومقابلاته التلفزيونية مع السيد محمد كريشان التي تبُث
من على في قناة الجزيرة الفضائية[١]كلها تكشف عن مدى احترامه للمشاهد والقارئ الواعي والمتابع من خلال تفحصه وتدقيقه لمئات الوثائق السياسية والدبلوماسية بغية تدعيم وجهة نظره ، وإحضار بعض المصادر إبّان أحاديثه في تلك الفضائيات ، وعبر العمر السياسي المديد المفعم بالإخلاص والتبحر والتدقيق والمقابلات الشخصية الهائلة مع صنـّاع القرار السياسـي أو منفذيه على المستويات المصرية والعربية والإقليمية والعالمية ، ناهيك عن القراءة الواعية في الوثائق السياسية والدبلوماسية الدولية الخاصة بمجريات الوضع السياسي العربي والحوادث السياسية العاصفة التي مرت بها المنطقة ، ومن مظانـّها الأساسية في الدول الغربية الكبرى التي تحكمت في حركتها ، وبصورة أساسية ، بكل منعطفاتها التغييرية على الأغلب ، وذلك على ضوء «ذاكرة مكتنزة وغنية» و«عين انتقادية ترى وتفهم وتتبصر» ـ إذا شئنا اِستخدام مسكوكات الأستاذ هيكل اللغوية ـ[٢] .
وكل تلك المقدمة السياسية الراصدة للمنجز الثقافي «الهيكلي» إنْ صح التعبير ، هي جملة تاريخية مختزلة تحاول السياحة في الحديقة الفكرية التي زرعها في أي متابع ومهموم بالقضية العربية ، وهي حديقة تتمتع بغنى وارف وغير مألوف ، من أجل تنسّم أريجها والتجول بين ورودها ومعاينة أزاهيرها بغية اِستيعاب معانيها عبر رصد نتاجه الفكري والمعرفي والسياسي . . . أقول : إنَّ هذه المقدمة هي رؤية سياسية مكثفة ـ كما أعتقد ـ ولكنها قد تعطي لمحة مجتزئة من رؤية فكرية وسياسية غزيرة وشاملة ، كونها وبالتأكيد ، تستند على دعائم من الممارسات السياسية المسؤولة والشاخصة أمام الجميع إلا مَنْ أصيب بعمى الألوان وعشا في ليل التطورات السياسية الراهنة خلال ثلاثة أرباع القرن الماضي : سواء عندما كان في موقع المتابعة الصحفية أو في مركز المسؤولية الوظيفة في الدولة المصرية : وزيراً للإعلام أو الخارجية ، أو رئيساً للتحرير في جريدة «الأهرام» أو الجهود المبذولة في العمل الصحفي الذي يعتمد المعلومة أو الخبر كفلسفة صحفية .
في الحقيقة لقد شكل الأستاذ محمد حسنين هيكل ـ ولا شك ـ ظاهرة ثقافية ساطعة في الوطن العربي ، تميزت بالصدق مع النفس وكذلك الصدق مع الإنسان الآخر من المتابعين أو القرّاء العرب .

---

(١)كما ورد في أحد أحاديثه المسجلة بعنوان «تجربة حياة» بمناسبة الحديث عن كيفية إدخال الصواريخ على الضفة الشرقية لقناة السويس المصرية التي كان كيان الإغتصاب الصهيوني يسيطر على ضفتها الغربية ، إبّان حرب الاِستنزاف .
(٢)تعرض إلى مراكزه التوزيرية في حديثه بالبرنامج السياسي المعنون «تجربة حياة »، وجرت الإشارة إليه في مرات عديدة .

إذ أصدر عشرات الكتب التاريخية من ذات الوزن الفكري والسياسي الثقيل ، ومن المؤلفات الغنية بالوثائق الدالة على الأسباب الحقيقية للأحداث ، بشكل كبير وكثيف ، تميزت باستفاضات نظرية هامة وإخبارية مهمة ومعلوماتية أهم ، عن تطورات الوطن العربي ـ خصوصاً ـ السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والتي انتظمتها رؤية سياسية متساوقة منسجمة ومتبصرة ومتواصلة ، من جهة أولى ، وسلـَّط فيها ، ومن خلالها كذلك ، الأضواء السياسية والوثائقية على النهج الدبلوماسي والعملي للمفردات السياسية البريطانية والفرنسية تجاه المنطقة العربية من جهة ثانية ، وكذلك تابع بالفحص والتدقيق والتدبُّر : ناقداً أو محفزاً ، لكل تجليات الممارسات السياسة التي سادت الأفعال العملية القهرية للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة العربية ، من جهة ثالثة ، ودور الأيديولوجية الصهيونية في سيرورتها منذ الحرب العالمية الثانية ، إنْ لم يكن قبلها بالتأكيد ، من جهة رابعة ، وصولاً إلى الرؤية المدققة لهيمنة هاتين الحركتين : الأمريكية والصهيونية الإسرائيلية في أبعادها السياسية الخارجية . . . الهيمنة الكلية على الأمة العربية للدرجة التي صار معها الإرهابي أرئيل شارون : بطل سلام ، وجورج بوش الابن مندوب العناية الإلهية ، أقول ذلك : على سبيل المثال وليس الحصر والمتابعة التدقيقية ، وما ترتب على كل ذلك الجهد السياسي المشترك للإمبريالية الأمريكية والحركة الصهيونية وكيانها من مواقف سياسية للولايات المتحدة تجاه المنطقة العربية : أنظمة وشعوب وأمة وحضارة ، من جهة خامسة أخيرة[١] .

كون هذه الدول الثلاث من الدول الغربية : بريطانية وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية ، وبرامجهم السياسية الكونية ، هم الذين قادوا الصراع التاريخي ضد الوطن العربي والعالم الإسلامي [٢]، في المراحل الزمنية المتعاقبة طوال القرن الثامن عشر ، والقرن التاسع عشر ، والقرن العشرين والسنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين عندما احتلت قواتها الباغية العراق . أي ضد الإمبراطورية العثمانية التي كانت أغلبية المنطقة العربية تقع ضمن حوزتها السياسية ، وفق السياسة الأوروبية المعروفة بضرورة الاستحواذ الكلي على «تركة الرجل المريض» ، وفصل السواحل عن الدواخل بسبب أساسي ينبع من أنَّ قوتها الأساسية قوة بحرية ، وتجزئة المشرق العربي إلى دويلات لا حول لها ولا قوة في أي مجال يلبّي طموحات شعبها السياسية في التحرر الفعلي والتوحد السياسي والتقدم العلمي على جميع المستويات ، وتهيئة العوامل الموضوعية التأسيسية لإقامة كيان الاغتصاب الصهيوني لفصل المشرق العربي عن المغرب العربي : الحفاظ على قناة السويس كشريان مائي حيوي ، مثلما رسمت تفاصيلها البرنامجية الوثيقة السياسية الصادرة عن مؤتمر «كامبل بانرمان» المنعقد بين عامي ١٩٠٤ ـ ١٩٠٧ من جهة أخرى .

لقد أصبح الوطن العربي والمجتمع العربي وشعوب أقطاره تعاني من مرارات العدوان السياسي والعسكري للدول الغربية الثلاث كلها ، والتي أصبحت المصلحة الإسرائيلية خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، هي النابض الأساسي والاستراتيجي المعاصر لتفكيرهم السياسي الكلي ولمجموع تحركاتهم العسكرية ، قبل أنْ يدخل السلاح الأمريكي في المعركة العسكرية المباشرة لكي يفرض إرادة أصحاب شركاتها على الأمة العربية ..

---

(١)كذلك في المرجع السابق .

(٢)راجع الكتاب المذكور في الهامش رقم ١٨ ، فهناك رصد وافٍ لمجريات السياسة الأوربية وتأثيراتها على العالم الإسلامي خلال القرون التي نشأ فيها النظام الرأسمالي في بعض بلدان أوربا ، وتمظهر السياسة الاستعمارية الأوربية وحروبها الإستيلائية على الوطن العربي والعالم الإسلامي .

ولكن بالرغم من كل ذلك ، فإنَّ لنا مع الأستاذ الكبير السيد محمد حسنين هيكل : وهو القامة الثقافية الرفيعة والشخصية السياسية المفكرة وذات الرؤية والاستراتيجية الهامة ، مشكلة سياسية تتعلق برؤيته السياسية للدور السياسي الإيراني الراهن ضد الوطن العربي : الدور الفارسي الصفوي في الوطن العربي ، على وجه التحديد ، ليس بسبب نوعية وعيه العميق بشؤون المنطقة العربية فقط ، بل كونه ، كذلك ، يقول ويؤكد على إنني : «ما زلت مؤمناً بالمشروع القومي واعتقادي أنَّ دور جمال عبد الناصر كان تعبيراً عنه ، وبالتصور الاستراتيجي الداخلي والقومي والدولي لجمال عبد الناصر في وقته وفي زمنه» (١).



(١)ورد كلامه في نص آرائه التي قال بها حول ثورة مصر في بدايات العام ٢٠١١ ، وذلك في مقابلته الصحفية الهامة المنشورة في جريدة «الأهرام» القاهرية التي نشرت بمناسبة زيارته لمبنى الصحيفة ، الصادرة في يوم الأحد الموافق للثاني والعشرين مايو / أيار عام ٢٠١١ ، الصفحة الرابعة . ومن الجدير ذكره أنَّ الأستاذ محمد حسنين هيكل قد أكد على تمسكه في ذلك الإتجاه السياسي في العديد من المناسبات ، وعلى سبيل المثال ، فإنه يقول خلال مناقشته لبعض السائرين على نهج الإمام من الذين إستولوا على السفارة الأمريكية . . . يقول التالي : «إنني من المؤمنين بالقومية العربية ، وإنني ثابت الإيمان بها ، وبينت لهم أنَّ العنصرين الأساسيين اللذين جعلا العرب أمة هما اللغة والحضارة ، ولذا إذا ما تحدثت عن التاريخ العربي والقومية العربية فإنني ـ إلى حدٍ ما ـ أتحدث في ذات الوقت عن الإسلام» ، راجع كتابه المعنون بمدافع آيات الله : قصة إيران والثورة ، إصدار دار الشروق ، الطبعة السادسة ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ ، ص ٤٠ .

٤ ـ السمات العامة للوضع العربي وإشكالية التعامل مع المفاهيم:

إنني إذ أجمل المبررات الموضوعية لذلك المشكل السياسي على شكل نقاط جوهرية ، فلربما ـ كما نأمل ذلك ـ أن يتواضع السيد الأستاذ محمد حسنين هيكل ، أنْ لا يضيع وقته ووقت الآخرين ـ كما يقول في أحد أحاديثه ـ وبالتالي ، يقرأ حقائق الملف التاريخي للوطن
العربي على حقيقته وبشكلٍ كلي وكامل ، كما هو في الواقع الجغرافي لصيرورته وتكوينه الإجتماعي ، وليس كما يرغب بناءً على «معلومات سياسية غربية إستشراقية» التي سلك بعض سياسيها مفهوم «الخليج الفارسي» :

أولاً : إن الوطن العربي والأمة العربية ومصلحة الشعب العربي ، هي المعايير الأساسية للتقويم الموضوعي لما يمسهما على الصعيد السياسي . إذن ، «نحن نحتاج إلى نظرة قومية ، فالذين درسوه من قبل ، أجانب أو وطنيين ، كان الأعم الأغلب منهم مَنْ يفتقر إلى النظرة القومية العربية الشمولية . وبالتالي فقد كان ينظر إلى هذا الوطن العربي من خلال الوقائع السياسية القائمة ، أو بسبب خلفيات إستعمارية / إمبريالية أو دينية تبشيرية أو مصلحية ضيقة تتعلق بنيابتهم عن القوى الأجنبية لتنفيذ مخططاتها السياسية ، هكذا درسه المستشرقون والمبشرون عموماً لمعرفة ثرواته الإقتصادية ، وتنوعاته البشرية ، ودرسوه باعتباره واقعاً سياسياً ، وبخاصة في ظل العثمانيين ، لا باعتبار حقيقة الإتجاه التاريخي فيه . وكان الأعم الأغلب منهم يهتم بدراسة بقعة معينة ـ قطر أو جزء من قطر ـ وجماعة معينة ـ قبيلة أو طائفة ـ أكثر مما يهتم بدراسة الوطن كله ، ولهذا قدموا لنا صوراً جزئية ، أكثر مما قدموا لنا الصورة العامة ، ورأوا الجزئيات المكونة له أكثر مما رأوا الكل الجغرافي والتاريخي ، وكانوا عندما ينتقلون إلى بقعة أخرى أو جماعة أخرى ، لا يرون إلا المفارقات» [١]، السياسية والتكوينية .

ثانياً : إن هذه المسائل الثلاثة والمترابطة كتَشُوف سياسي وطموح فكري مبدئي حفزّت ملايين المواطنين العرب للتضحية من أجَل الأمة العربية وقضية الحضارة الإسلامية منذ القرون الحديثة الماضية ، وما يزالون ، بالرغم من الغموض النسبي للمفاهيم السياسية الخاصة بصددها ، وهي في أية حالٍ من الأحوال ، أبعد من التطورات السياسية التي شهدتها المنطقة العربية خلال القرنين الزمنيين الفائتين : أي أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين : كالتجزئة السياسية ، وقيام كيان الاغتصاب الصهيوني ، وانطلاقة الثورة العربية الحديثة في مصر وسوريا والعراق وفلسطين والجزائر خلال المنتصف الثاني من القرن العشرين ، وغيرها بالتأكيد ، لأنَّ توجهاتها السياسية الأساسية كانت ضد مستغليها وسالبي نعمة ثرواتها ، وشرذمة أوطانها لإضعافها ، ومصادرة بعض أراضي الوطن العربي لإقامة كيانات تخدم مصالحها .

---

(١)راجع كتيب الأستاذ ناجي علوش المعنون الوطن العربي : الجغرافية الطبيعية والبشرية ، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة الثقافة القومية : (٣) ، الطبعة الأولى الصادرة ببيروت / لبنان ، نيسان / أبريل ١٩٨٦ \ ، ص ٧ ـ ٨ . ومن المعلوم أنّ الأستاذ هيكل طالما نوه بالمركز القومي ذاك ، وأشاد بالإنتاج الفكري التي يصدره بسبب الخط السياسي العام لمحتويات ذلك الإنتاج والروح العلمية الذي تنتظمه .

ثالثاً : إن التاريخ والجغرافية كمفهومين علميين لهما دلالتهما الحسية الملموسة وهما اللذان يفرزان المفاهيم السياسية الخاصة بالمنطقة العربية ، وليس منشأهما التكويني أو الترويجي ، أنْ تصدرَ عن الكتابات الاستعمارية السياسية والبحوث الإستشراقية المشبوهة من حيث الهدف أو الاستهداف ، والتي كانت نتائجها «المعرفية» الناجمة عنها ، تشكل المحور الأساس للمناهج التربوية والتدريسية في المؤسسات التعليمية العربية خلال مرحلة الهيمنة الاستعمارية التقليدية : البريطانية والفرنسية بشكل أساس على الوطن العربي ، فقد أخذ العرب الأكاديميون الكبار وبعض علماء التأليف للكتب التاريخية والجغرافية ، تلك المفاهيم السياسية والمسميات الجغرافية المستخدَمة ، عن مَنْ انتهلوا علومهم المعرفية في جامعات الدول الغربية وقاموا بتأليف الكتب التدريسية الخاصة بدور التربية والمدارس المختلفة في الوطن العربي على صعيد أغلب مراحلها التدريسية ، بغية حشوها عبر «الدرخ والحفظ الآلي» في رؤوس الطلاب من دون تبصر سياسي أو عناية فكرية أو إثارة أية أسئلة تاريخية محفزة للاجتهاد ، كون تلك الأسئلة هي المفاتيح الأساسية لكل فعالية تربوية تتسم بالإبداع والتقدم المعرفي ، وكانت الأسباب الوظيفية لموقع تلك الرموز البشرية في الأجهزة الإدارية التربوية ، هي العوامل الكامنة وراء الأخذ غير الغائي لعموم «المفاهيم السياسية» عند مجموع الطلاب العرب الذين صار بعضهم باحثين وكتّاب ، وغدت تلك «المفاهيم السياسية»التي لها علاقة بالوطن العربي ترتكز على التكرار والترديد في المنتج «الفكري العربي» وقوامهما الأساس نشوء وانتشار روحية التقليد المعلوماتي والتوجيهات الفكرية الغربية والطموحات السياسية للدول الغربية والمدارس الإستشراقية غالباً .

وبالتأكيد فقد سادت لدى البعض العربي من أساتذة التربية المدرسية ممن ألفّوا الكتب الدراسية على نمط عقليتهم السياسية وحتى الفكرية ، روحية الصياغات المترسبة في وعيهم ولا وعيهم عن «الثقافة الإسلامية» خشية من تسرب المفاهيم الدينية الإسلامية الحقيقية والفعلية في المناهج التربوية التدريسة، ربما كان ذلك - أيضاً - يكمن في عملية تؤكيد «حداثتها المزعومة» وتبرهن على ولائها لأولي الأمر ممن كانوا يستمدون القوة المادية من الهيمنة السياسية الأجنبية، وبسبب ارتباط ذلك الدين بالرؤية العثمانية بغية تثبيت إدعاءاتها بالتخلص من الرؤية السياسية الطورانية أو الإسلامية التقليدية.

ولكن على المستوى السياسي لم يكن الحذر الفكري والسياسي عندهم مساوياً للتوجس الديني ، لذا كانت مسارات «أكاديمية» البصم هي التي إحتلت «أذهانهم وطموحاتهم» ، وعقلية «النقل» من دون تلمس موضوع التوجه التاريخي الأساسي، من وجهة نظر قومية عربية إسلامية ، فساد عندهم تعبير ما يسمى بـ«الخليج الفارسي» بدلاً من مفهوم الخليج العربي الذي هو المعبِّر عن الواقع الجغرافي العيني والعمق الإجتماعي التاريخي الموضوعي

رابعاً : إن الوطن العربي كله ، هو واقع موضوعي مفهوم حِسي ، يسوده منطق ثقافي وحضاري عربي إسلامي ، من أقصاه إلى أقصاه ، خصوصاً قبيل ١٩٢٥م ، كان ممتداً من المغرب العربي الكبير ، غرباً ، إلى العراق والأحواز العربية شرقاً . وتخوم الخليج العربي هي مياهٌ تقع على ضفافها الجنوبية أي على سواحل منطقة الأحواز العربية وبلدان الخليج العربي ، وتسكنها شمالا وجنوباً القبائل العربية : المكون الإجتماعي الأساسي للسكان منذ آلاف السنين ، تلك هي حقيقة موضوعية عصية على الإنكار مهما كانت الحجج البلاغية قوية .

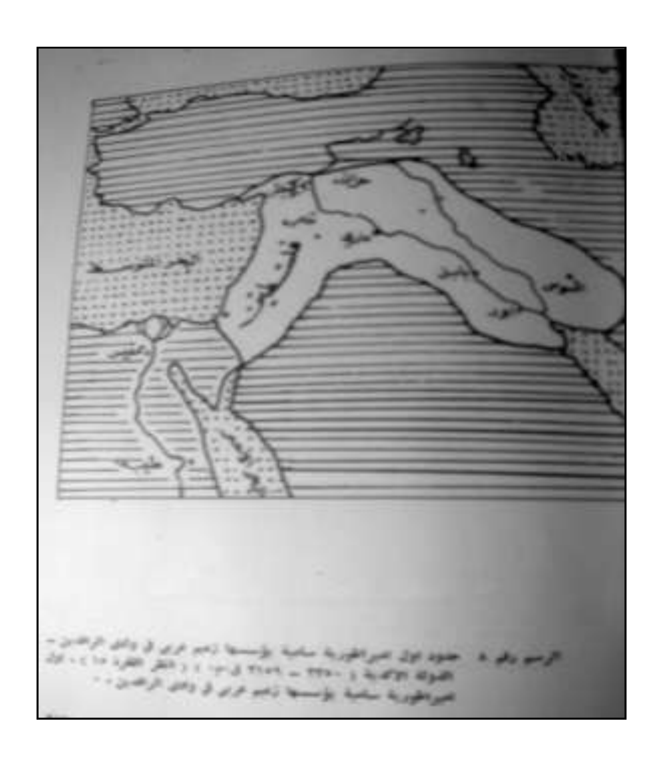
لقد أقرَّ ـ على سبيل المثال ـ أبرز قائد فارسي للقوات التي كانت تعبد النار خلال مرحلة الفتوحات الإسلامية التي كان العرب المسلمون يشكلون وحدهم قوام قوات الفتح الإسلامي للأراضي الفارسية ، بحقيقة عروبة الأحواز تحت وطأة الهزائم العسكرية التي شنها العرب المسلمون ضد ناكري عبودية الله لصالح عبودية البشر وجاء هذا الإقرار غير المقصود والإعتراف غير المعهود في إطار نزعة تجميع المهزومين لقواهم العسكرية بالإعتماد على شحذ الهمم الفارسية عبر مخاطبة الرمز الفارسي يزدجرد بحقيقة تمايز الفرس عن الآخرين ، وتدنيسهم لأراضي الأقوام الأخرى وذلك من خلال الكلمات التالية : «أرضيتم يا أهل فارس إنْ غلبتكم العرب على السواد وما والاه والأهواز ، ثم لم يرضوا بذلك حتى توردوكم في بلادكم وعقر داركم» ، وتنطوي هذه الفقرة من خطاب يزدجرد على التمايز الاجتماعي الكلي من ناحية التركيب القومي بين التكوين الاجتماعي الفارسي ، من جهة ، واختلافه عن المكون الاجتماعي الذي يقطن بلاد السواد وبلاد الأحواز [١]، من جهة أخرى ..

كما تضمن كتاب السيد العلامة المرحوم أحمد سوسة ، المعنون «حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور» وهو الخبير الجغرافي والعالم الآثاري والمثقف العراقي البارز . تضمن رسماً لخريطتين عن الواقع العربي في الفترات الزمنية السحيقة الموالية لما قبل تحرير أراضي فارس من ربقة عبودية النيران إلى فضاء عبودية الله الواحد الصمد ، تظهران الطبيعة القومية لسكان العراق الجنوبي والمنطقة الأحوازية ، نثبتهما هنا لدلالتهما التاريخية [٢].

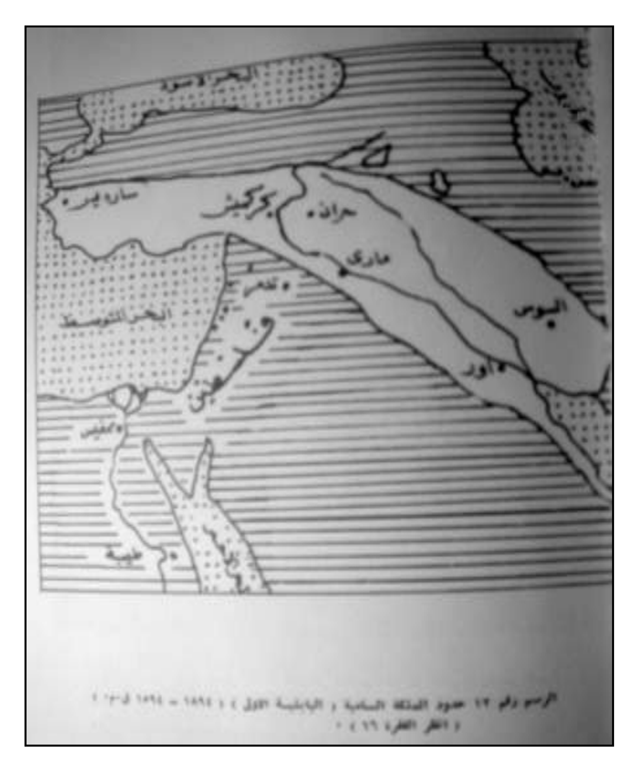
---

(١) راجع كتاب إستراتيجية الفتوحات الإسلامية : سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية ، تأليف أحمد عادل كمال ، إصدار دار النفائس ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ، ص ١٦٣ .

(٢) راجع كتابه المعنون حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور ، تأليف الدكتور أحمد سوسة ، عضو المجمع العلمي العراقي ، إصدار دائرة العلاقات العامة ، وزارة الإعلام ، الجمهورية العراقية ، السلسلة الإعلامية ، رقم وسنة إيداعه ١٩٧٩ ، ص ٢٨٣ وص ٢٨٧ .



الرسم رقم ٨ حدود اول امبراطورية سامية يؤسسها زعيم عربي في وادي الرافدين — الدولة الاكدية (٢٣٥٠ — ٢١٥٩ ق.م) (انظر الفقرة ١٥) ، اول امبراطورية سامية يؤسسها زعيم عربي في وادي الرافدين .



الرسم رقم ١٢ حدود المملكة السامية (البابلية الاول) (١٨٩٤ — ١٥٩٤ ق.م) (انظر الفقرة ١٦) .

خامساً : كما أقرت المخابرات البريطانية بلسان العالم والكاتب السيد ج . ج لوريمر على تلك الحقيقة في كتابه : دليل الخليج ، المؤلف بقسميه التاريخي والجغرافي من أربعة عشر مجلدًا ، والذي صدر في العام ١٩٠٨م والمعنون دليل الخليج ، وتُرجم في أوائل الستينات ، وهو عبارة عن تقرير مخابراتي بريطاني ميداني جرى تسجيله قبيل حلول القرن العشرين، في إطار الاستعدادات السياسية للدولة الإستعمارية العالمية المسبقة والأولى في التاريخ الأوربي الحديث. .. أي المملكة البريطانية ، لإحتلال المنطقة العربية المشرقية ، وكان مسؤولة الأمني والأساسي : أي لوريمر ، حريصا على المعلومات الخاصة به عبر حفظه في مواقع أمينة بمدينة «سملا» الهندية ، ويحتفظ به ـ فوق ذلك ـ في خزانته الحديدية ولا يترك مفتاحها إلا في حوزته الشخصية . إذ بمجرد أنْ تتضمن التقارير الإستخبارية موضوعة الأحواز في سياق الكتابة عن الخليج العربي وبلدانه ، باعتبارها جزءًا منه أبلغ دلالة مادية على كون منطقة الأحواز والخليج منطقتين عربيتين [١].

لذلك كله يمكن القول ، وكذلك ، التأكيد : إنَّ المفاهيم الإستراتيجية والسياسية، الوطنية والقومية، لا تتغير بالتقادم الزمني ، إذا شئنا اِستخدام كلمات وألفاظ الأستاذ محمد حسنين هيكل بالذات في أحد كتبه ، كون «السبب أنَّ استراتيجيات الدول مطالب جغرافية وتاريخ نشأت وترتبت عليها دواعي مصلحة وضرورات أمن ، وتلك مسائل لا دخل لها بالوحي ولا علاقة بالمفاجآت المثيرة مسرحية أو سينمائية»، فمفهوم الخليج العربي هو قائم منذ قرون زمنية ترتبط بالنهضة الإسلامية في القرن السادس الميلادي، إنْ لم يكن قبلها ، وما يزال ذلك المفهوم شاخصاً شخوصاً مادياً وواقعياً ، رغم جهود كل «العلماء الاستشراقيين» و«الأكاديميين اليهود» والحاقدين السياسيين من التكوينات الإجتماعية الأوربية الأخرى على الأمة العربية والعالم الإسلامي من الكتّاب الغربيين أو غيرهم ، خصوصاً مفكريهم السياسيين ، والذين كانوا المصدر الأساس في تحديد ونشر مفاهيم الرؤية الفارسية للخليج العربي، إذ كانوا ينظرون للمنطقة من خلال موشورين اثنين: الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية العثمانية، ويغيبون تماماً المفهوم الحضاري للوطن العربي، في حين أنهم قرروا منذ ١٩٠٤م ـ ١٩٠٧م ، في مؤتمر بانرمان الرؤية السياسية الإستراتيجية لتجزئة الوطن العربي والاستيلاء عليه عبر استخدام مفاهيم سياسية واضحة : طابعها الرؤية السياسية المرتبطة بالمصالح الإستراتيجية للدول الأوربية الاستعمارية الرئيسة .

---

(١) راجع كتاب دليل الخليج : القسم التاريخي ، الجزء الخامس ، والجزء السابع ، تأليف : ج ، ج ، لوريمر، المطبوع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، أمير قطر ، من دون تاريخ أو ذكر لمكان الصدور ، ص ٢٣٩٥ ـ٢٥٤٥ وفيها مسح لكل الشؤون السياسية لإمارة عربستان منظوراً من موشور الصراعات البريطانية الروسية ، أما الجزء السابع فقد تضمن أسماء البعثات الدبلوماسية البريطانية في الأحواز : عربستان وفق المفاهيم التي يستخدمها الكتاب . وكذلك مراجعة القسم الجغرافي من تلك الموسوعة، دليل الخليج ، الجزء السابع ، إذ تنطوي بعض الصفحات المكونة له على التفاصيل اللازمة لمعرفة القبائل العربية التي تقطن في الأحواز وتشكل الوضع الإجتماعي هناك .

لـذا كانـت طـرق البحـث العلميـة البحتـة هـي نـاظم تفكيـرهم ، كـونهم كـانوا يتعـاملون مـع حقـائق تاريخيـة وجغرافيـة ملموسـة ولـيس عبـر الأمـاني الفرديـة أو التمنيـات السياسـية المؤسسـة علـى فرضـيات رؤى سياسـية أيديولوجيـة ، ولكـن الدعاية السياسية المرتبطة بمصالحها الحيوية والإستراتيجية التي كانت تلتزم بها الـدول الغربيـة : بريطانيـا وفرنسـا ، والـبعض الأخـر مـن تلـك الـدول الأوروبيـة ، اقتضـت اللعـب بالمفـاهيم السياسـية لصـالح مطامعهـا وتوجهاتهـا الإستعمارية علـى شـتى الصُـعد ، أو ربمـا كـان ذلـك الاسـتخدام جـرى تداولـه اِنسـجاماً مـع رؤيتهـا الأوروبية السابقة(١).

إن الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل مـازال متمسكاً بـالتعبيرات السياسـية التـي سكتها الرؤية اليونانية أو الرؤية السياسية الغربية ، ومتمترساً خلف اِستخدام بعض تلك المفـاهيم السياسـية فـي الصـراع الجـاري فـي المنطقـة منـذ الأربعينـات وحتـى المرحلـة الزمنيـة التـي وجـّه فيهـا الـرئيس المصـري الأسـبق السـيد أنـور السـادات الضربة الإستراتيجية والقاصمة لمفاهيم وأفكار الثورة العربية المصرية التي قادها الـرئيس الراحـل القائـد الفقيـد جمـال عبـد الناصـر ، التـي كـان عنـوان تلـك الضـربة الأشهر هو اِتفاقيات كامب ديفيد . وأعتقد صادقاً ، إنَّ الأستاذ هيكل لا يعدّ التطـور السـابق أو اللاحق لتلـك الكبـوة السـاداتية ، علـى صـعيد الأوضـاع السياسـية للـوطن العربي ، معياراً للقراءة الفكرية والسياسية الموضوعية .



(١)وتشير بعض المصـادر العلميـة «أن المركزيـة التاريخيـة ، الدينيـة والسياسية كـان قد قـادت الإغريق إلـى إضفاء تسمية فارس على كل المجتمع الذي يقطن في الدولـة الإيرانيـة ، وهـي تسمية اِسترجعها التقليد الغربي ، مع ترميز المؤرخين والجغرافيين خصوصـاً إلـى المنطقـة من خلال اِستعمال إسم [Perside] القليل الاستعمال» ، راجـع كتـاب الأستاذ هشـام جعيط المعنون الفتنة : جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر ، إصدار دار الطليعـة / بيروت / لبنان ، الطبعة الخامسة ، كانون الثاني ، (يناير) ٢٠٠٥ ، ص ٣١٣ ـ ٣١٤ .

٥ ـ لماذا تغيرت المفاهيم لدى البعض ؟

ولكن ، هل كان الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل يستخدم تلك المفاهيم السياسية في كل الأوقات والمراحل ؟ ،وهل ما نطق به مؤخراً بالتزامن مع بروز الدعاية الصفوية الفارسية وتمسكها الحازم بمفهوم «الخليج الفارسي» كان إيماناً راسخاً في الماضي والحاضر؟ ، أم أنَّ تغيرات منطقه السياسي على هذا الصعيد قد جرى بالتتابع والتوازي مع تغييرات المنطقة العربية التي كانت عناوينها الأساس ناجمة عن المرحلة القومية العربية الحديثة ومظهرها الأساس الفكر السياسي الناصري والتجربة العربية الناصرية ؟ .

في أحد لقاءات الأستاذ محمد حسنين هيكل مع ملك العنصرية الفارسية : الشاهنشاه السابق ، أثار «الإمبراطور أريامهر» وفق توصيف الدعاية الفارسية عنه ، موضوع تسمية «الخليج العربي» الذي دأبت الأدبيات السياسية العربية على ترديده استجابة لحقائق الجغرافية والتاريخ ، وكانت الأجهزة الإعلامية المصرية في المرحلة الناصرية خصوصاً ، تلتزم بالتعبير عن محتواه بمعية تلك الأدبيات المنشورة أو المُذاعة ، أوضح الأستاذ الصحفي اللامع السيد محمد حسنين هيكل التالي : «ربما كان الذي حدث أننا وجدنا الخليج الفارسي منسوباً إلى فارس ، ثم وجدنا أنكم غيرتم اسم فارس القديم باسم إيران الجديد أنكم بهذا تركتم الخليج وحده لأنَّ البلد الذي أضفى اِسمه عليه غَيّر هذا الاِسم. وأكتشفنا نحن أنّ الخليج وحي. ربما يتيم ، وأعطيناه صفتنا التي لم تتغير ، وأصبح اسمه الخليج العربي.».

وأضاف السيد هيكل إلى ذلك تفسيراته الأخرى من خلال قوله التالي : «ربما وجدت تفسيراً آخر لا أعرف هل ترضى به أم ترفضه . . . لقد وجدنا سبع دول عربية تطل عليه وهي العراق والكويت والسعودية والبحرين والإمارات وعمان . ومن غير العرب فقد كانت هنا إيران وحدها . . . كانت نسبة العرب عليه سبعة إلى واحد . هل هذا التفسير مقبول ؟ ، فضلاً عن ذكره بكتابه «الطريق إلى رمضان» الخاص بحرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ضد كيان الاغتصاب الصهيوني ، والصادر عن دار النهار البيروتية ، ص ٢٨٧ ، مفهوم الخليج العربي بمناسبة حديثه عن إستيراد اليابان ما نسبته ٩٠% من النفط العربي .

ورغم أنَّ جواب الأستاذ محمد حسنين هيكل يتجنب أي ذكرمحدد لا سلباً ولا إيجاباً بخصوص وجود للشعب العربي الأحوازي الذي تحتل إيران أراضيه منذ العام ١٩٢٥ ، فإنَّ دفاع السيد هيكل عن المصطلح : الخليج العربي ، ينبيء بأحد احتمالين : أما كونه مؤمناً بالمفهوم الإصيل كما تتداوله غالبية الأجهزة الإعلامية العربية ، من ناحية ، أو كان مدفوعاً بالالتزام بالرؤية الرسمية العربية ، من ناحية أخرى ، ومن غير المعروف عن السيد المبدع واللامع السيد محمد حسنين هيكل : الضليع بعلمي الجغرافية والتاريخ والمستوعب العميق لمفاهيم الصراع السياسية الدولية على المنطقة العربية وفيها ، تغيير قناعاته «الفكرية» العلمية بسهولة ، ويقدم استخلاصاته السياسية مجاناً ، وعلى مذبح العلاقات السياسية «المداهنة» مع «الشخصيات السياسية الكبيرة والنافذة» كالرئيس الفقيد جمال عبد الناصر ، أو من خلال الالتزام بالمواقف الإعلامية الرسمية لدولة مصر الرسمية التي يغلب على ممارسات بعض أجهزتها الإعلامية والدعائية ، في المرحلة العربية الناصرية ، البلاغة الدعائية الخالية من أي مضمون سياسي، في بعض الأحيان أو خلال أحايين كثيرة .

وعودٌ على بدء الموضوع المُثار ، فقد يقول قائل ، إنَّ السيد الأستاذ محمد حسنين هيكل ينحو في أقواله القديمة ، والمستجدة ، على أرضية الولاء للقضية القومية المركزية في الوضع العربي : القضية الفلسطينية ، وإنها قد نجمت عن رؤية تكتيكية تتعلق بالدعم السياسي والمادي الذي يقدمه حكام إيران الجدد إلى القضيتين الفلسطينية واللبنانية الكفاحيتين ، عبر دعم بعض فصائلهما «الإسلامية» المقاومة ، لذلك ، فإننا نرّدُ على تلك الافتراضات بالقول ، إن الدعم المشار إليه ليس بذي علاقة بالجغرافية والتاريخ ، كتسمية للمفاهيم والمصطلحات السياسية .



٦ - ماذا يقول الدستور الإيراني عن أيديولوجية السلطة ؟، وماهي الطبيعة القومية للأحواز ؟

ثم أنَّ السلطة الإيرانية الحالية المذهبية وفقاً لدستورها ، والتي دعمت بعض الفصائل الفلسطينية أو اللبنانية ـ على الرغم من اختلافنا حول طبيعة هذا الدعم ومضمونه ـ غطت كل سياستها التوسعية أو العنصرية ضد الأمة العربية والوطن العربي بذريعة هاتين المساندتين الماديتين والماليتين ، والبعض يصدق أطروحاتها السياسية مع الأسف الشديد على قاعدة المثل القائل : «اطعم الفم تستحي العين» أو الوهم «بذريعة العلم» ، في حين أن كل نصوص دستورها السياسي يؤكد الطابع المذهبي لسلطتها وبشكل مطلق ! ، إذ تنص المادة الخامسة من الدستور الإيراني على التالي أنه «في زمن غيبة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) تكون ولاية الأمر وإمامة الأمة في جمهورية إيران الإسلامية بيد الفقيه العادل، المتقي ، البصير بأمور العصر ، الشجاع القادر على الإدارة والتدبير وذلك وفقاً للمادة (١٠٧)» ، فيما تنص المادة ١٢ « الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب هو المذهب الجعفري الإثنى عشري وهذه المادة تبقى إلى الأبد غير قابلة للتغيير». .

وفي أية حال ، فإنَّ نشر الأوهام عمل ضار . . . كما هو معلوم للجميع . .

فما جرى لمنطقة الأحواز العربية التي تبلغ مساحتها ٣٢٤ ألف كيلو متر مربع، هو احتلال عسكري ألحق بممارسة تستهدف القضاء على الهوية القومية لسكان الوطن المحتل لصالح مفاهيم مغايرة للحقائق العينية الملموسة ، وتزوير فظ قائم على الدعاية التي تناغمت مع الرؤية السياسية الغربية ، إضافة إلى الجزر العربية التي بلغ عددها ١٨ في مياه الخليج العربي ومساحتها ٢٤ ألف كيلو متر مربع ، كما تذكر بعض المصادر الأحوازية أو مصادر المؤيدين لها وهو ما يعادل مساحة كل منطقة هلال الخصيب : لبنان وسوريا والأردن وفلسطين ، في حين أنَّ البعض يكتفي بذكر مساحة الأحواز الشمالية على الوجه الآتي : « في حين أنَّ البعض يكتفي بذكر مساحة الأحواز الشمالية على الوجه الآتي: « ١٨٩:٦٠٠ ألف كيلو متر مربع».

لقد كانت منطقة الأحواز جزءاً من الوطن العربي قبل احتلالها من قبل إيران في العام ١٩٢٥ بتواطؤ بريطاني التي ساعدت الشاهنشاه الأسبق لتنفيذ مآربه التوسعية الخاصة، من ناحية أولى ، وجراء وجود الثروات النفطية التي تم الكشف عنها في المنطقة الأحوازية العربية ، في منطقة مسجد سليمان، من ناحية ثانية ، والرؤية السياسية البريطانية التي كانت تؤكد على توحيد إيران المجزأة ، قبالة سياسة التجزئة في الوطن العربي وخصوصاً في المشرق العرب لأسباب إستراتيجية ، تتعلق في رؤيتها للدور الروسي آنذاك ، من ناحية ثالثة ، يشكل تجاهلها أو السكوت عن معضلتها من قبيل «ظلم ذوي القربى» ، من الناحية الرابعة ، هو الألم القومي العربي الأشد مضاضة على الأشقاء العرب الأحوازيين ، فالدعاية الغربية والصهيونية أمرهما مفهوم تماماً ، أما ما هو غير المفهوم تقولات بعض «المفكرين العرب» حول تناسيهم قضية شعب وثورة تتصاعد في أحيان كثيرة وتتعرض للقمع في أحيان أخرى ، وخصوصاً بالنسبة لكل القوميين العرب المخلصين ، ويمكننا التساؤل أيضاً : ما بال العرب المفكرين يتغافلون عن ذكر الحقائق التاريخية والجغرافية ـ ويأتي الأستاذ محمد حسنين هيكل في جملة روادهم الهامّين ـ ومن أبرز طلائعهم، ويسرفون ـ مثلما يوغلون ـ من إغفال تلك الحقيقة العيانية الملموسة ! ؟ .

لقد كانت إمارة الأحواز تتمتع باستقلال سياسي كبير ، لها حاكمها وتمثيلها السياسي الخارجي ، بالرغم من ملابسات ظروف ما قبيل أو بعد الحرب العالمية الأولى التي كانت فيها بلدان خليجية عديدة خاضعة كلياً للحكم البريطاني المباشر ، أو مرتبطة بمعاهدات مفروضة تهدف إلى تقفيص حركتهم السياسية المستقبلية ، وتحدد اتجاهات مسارها على ضوء المتطلبات الإستراتيجية السياسية للدول المستعمرة لها ، ولكن هذه المنطقة العربية الحيوية : الأحواز ، والتي يسكنها حوالي العشرة ملايين مواطن أحوازي عربي ، باتت تعاني اليوم ، وبشكل أشدّ من كل الماضي التاريخي ، من رؤية فارسية سياسية مرتكزها الأساس ممارسة سياسية وعنصرية واعية من حيث الهدف والنتائج السياسيتين ، قوامها تحركات إدارية استيطانية للأرض واحتلالية للتكوين الاجتماعي والجغرافية الوطنية ، وتشريدية للسكان الأصليين ، من ناحية ، وتوطينية للعنصر الفارسي أو اللور ومصادرة الأرض وتغيير طبيعتها القومية وتجريف الأنهار ونقل المياه إلى سيستان ورفسنجان وأصفهان ، والإستيلاء على كل الخيرات المادية المتوفرة فوق الأرض الأحوازية العربية وفي باطنها أيضاً ، من دون تخصيص أية نسبة مئوية لمدخولاتها النقدية للصرف على إعمارها أو الإسهام في تقدمها البشري ، وتغييب اللغة العربية عن كل الأطفال العرب ومنعهم من الدراسة بلغتهم الأم ، وقتل المواطنين العرب بذريعة كونهم إرهابيين أو سلفيين يخالفون الدستور الإيراني القائم على الرؤية المذهبية ، من ناحية أخرى ، كل ذلك على يد سلطة تدعي «التديّن الإسلامي» ويلفّ أغلب قادتها عمائمهم البيض أو السود على رؤوسهم ، في حين أنَّ دستورها يؤكد على الرؤية المذهبية البحتة ، لنظامها السياسي ولدولتها الإيرانية مما يجعلها دولة مقتصرة على التكوين الفارسي وتحكمها عقيدة اثنا عشرية «مزعومة» في حين أنها صفوية بامتياز . كما رأينا ذلك أعلاه وهي نصوص تدل على واقع قائم لا يرقى إليه الشك ، كذلك فإنّ ملايين الأكراد والأذريين والعرب والبلوش هم وفي عدادهم من مذاهب إسلامية أخرى ، محرومون من حقوقهم المذهبية والقومية . من ناحية ثالثة .

وهذه الأعمال القمعية الشائنة ، ستفرز حتماً ردود فعل سياسية تتمحور حول الدفاع عن الذات الإجتماعية الوطنية ، بغض النظر عن طبيعة الصراعات العالمية في المنطقة ، والتي تتطلب تجريداً نظرياً عالي المستوى ، «ودوساً ثقيلاً» على العواطف الوطنية والقومية ، وهو ما يتطلب كي يتم تظهيره سياسياً : موقفاً مبدئياً وأخلاقياً وتضامنياً متعاطفاً مع قضية هذا الشعب العربي المستلب حقه والمحتلة أرضه : المظلوم حقاً وفعلاً ، و«إلا لن ينفع الصوت عندما يفوت الفوت» ، كما يقول المثل .

إننا سنقدم مثالاً سياسياً واحداً على العنجهية الفارسية.. مبالاً واحداً على المستوى الإعلامي ، وهو يتعلق بمحاولة ـ مجرد محاولة ـ أحد المفكرين العرب من المخلصين لقضايا الأمة العربية والعالم الإسلامي ، الطلب من السلطات الإيرانية الرسمية بالسماح له بزيارة «حرة» لمنطقة الأحواز كي يرى بعينه واقع الحال المأساوي للمجتمع الأحوازي ، ويصدر حُكماً سياسياً بالاستناد إلى البصر والتبصر في ذلك الواقع الذي يتبدى بأساة وقد تحولت واقعاً سياسياً قائماً ، يقيناً أنه سيواجه بالرفض مهما كانت علاقته متميزة بأولى الأمر السياسي الإيراني ، مثله مثلَ مَنْ سبقوه . ولعل الثمن الذي دفعه السيد عباس ناصر : مراسل محطة الجزيرة الفضائية ، عندما جرت معاقبته بالطرد من إيران كلها ، لأن فريق كامرته تجرأ على تصوير بعض الحقائق الإجتماعية البائسة في الأحواز ، ومن ثم عرضها على قناة الجزيرة رغم موافقة السيد هاشمي رفسنجاني على تلك الزيارة ، لقد تمَّ رميه إلى خارج الأحواز وطهران وإيران كلها رغم أنه «شيعي» موثوق ومولود في لبنان. لعل ذلك الثمن الوظيفي الفادح هو مجرد «جرة إذن» لكل مَنْ يحاول الإقدام على قول الحقيقة السياسية الموضوعية .

وغداً سواء أكان ذلك في المستقبل القريب أو في المدى البعيد ، ينبغي أنْ لا يلوم أحدٌ ما نفسه أو أنفسهم ، خصوصاً ، من المفكرين العرب المخلصين ، القوى الوطنية الأحوازية وبالتالي الاستفسار عن سبب تأييدهم أو حتى الاصطفاف أو الانخراط السياسي والإعلامي إلى جانب بعض الأطراف الغربية التي تناوئ الحضارة العربية الإسلامية ، مع «الأجنبي» ضد السياسية العنصرية الطائفية لسلطة الملالي ، التي تضطهد بشكلٍ شمولي وعام المواطنين العرب ، بلهَ ضد أبناء القوميات والشعوب غير الفارسيّة المقيمة داخل نطاق حدود الدولة الإيرانية الرسمية ، رغماً عنهم أو بموافقتهم .

تنويعات مضافة:

١ـ يؤكد ذلك الأستاذ محمد حسنين هيكل على وجود ٦٠٠٠ من قوات تابعة لمجموعات الحكيم وحزب الدعوة وغيرهما عبر القول بأنها : قوات شيعية تابعة لجماعة المعارضة ، وهو يدرك جيداً أنه جرى توظيفها سابقاً في جهد الجيش الإيراني ضد العراق في السابق ، وكذلك ضد قوات المعارضة الإيرانية التي حررت مدينة آمُل الإيرانية . راجع كتابه المعنون الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق ، الصادر عن دار الشروق ، الطبعة الثانية ، كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣ ، القاهرة / مصر ، ص ٣٧٤ . كما أنه يذكر في كتابه الآخر عن العدوان الأمريكي على العراق بهذا الصدد : «وللإنصاف أيضاً فإنَّ الحكومة الإيرانية في بداية الأزمة وحتى قرب نهاية الحرب ـ لم تتردد في تقديم تعهدات إلى الحكومة العراقية مفادها أنَّ إيران لن تستغل ظروف العراق الصعبة وتحاول تأليب الشيعة على بغداد ، لكن سير المعارك حدا بطهران إلى اِعتبار نفسها في حلٍ من سابق تعهداتها ، وفي الوقت الذي حاول بعض سكان الجنوب في الظروف الصعبة التالية للحرب أنْ يحموا أنفسهم بإظهار هويتهم الشيعية ، فإنَّ بعض العناصر في إيران لم تلبث أنْ تقدمت للساحة ، فإذا ألوف من حرّاس الثورة الإيرانيين يدخلون بسلاحهم إلى مناطق جنوب العراق ، وإذا الفتنة تتحرك» . راجع كتابه حرب الخليج : أوهام القوة والنصر ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م إصدار مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة / مصر ، ص ٥٧٠ .

وفي تقديري أنَّ المسألة ليست مجرد عناصر في إيران قامت بهذا الدور السياسي المشين والقذر ، وإنما هي سياسة فارسية إيرانية مبرمجة تعلن قياداتها العنصرية والطائفية غير ما تستبطن ، توحي بالنوايا السياسية الطيبة ولكنها تستعد بشحذ سكاكين الغدر ، وتوالي الحوادث اللاحقة برهنت عشرات المرات على أنْ الحقد الطائفي والعنصري هو الذي يحرّك المشاعر الفارسية الصفوية الحاكمة ويدفعها للممارسات السياسية المجرمة ، ولمزيد من معرفة السلوك السياسي الإيراني يجدر بنا مراجعة ملفات «إيران كيت» ، وكتاب حلف المصالح المشتركة: التعاملات بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة ، نشر مكتبة مدبولي ٢٠٠٨ ، وكتابنا المعنون الرؤية السياسية الإيرانية على ضوء التراث والتجربة ، الصادر عن مكتبة مدبولي ٢٠١١ ، وخصوصاً القسم الثاني.

٢ـ والتي شبّه فيها الأستاذ محمد حسنين هيكل المالكي بـ«الكلب» عندما أورد المثل المتداول في ريف مصر ـ كما قال ـ عندما يفتقد البعض الخيول يشدون على الكلاب سروج ، وإيراد هذا المثال هو كناية واضحة عمن يتحكم بقرار العراق على المستويات الأمنية المفصلية وعلاقاته بالأنظمة المجاورة .

٣- في الحقيقة أنَّ المرء يقف حائراً أمام مواقف الأستاذ محمد حسنين هيكل السياسية على هذا الصعيد ، لأنه يكتنز المعلومات كلها عن الواقع المادي الملموس فهو على سبيل المثال ، يؤكد على حرص العنصرية الشوفينية الفارسية في عهد الشاه على «تجاهل المراحل الأولى من العصر الإسلامي ، أو أي شيء يربط بين إيران والعالم العربي بشكل واضح» ، كان حديث هيكل ذاك بمناسبة إقامة نصب تاريخي لتخليد المراحل من عهد قورش إلى حكم الشاه ، فهل حاول الملالي من حكام إيران الحاليين تصحيح هذه النظرة العنصرية ؟ أبداً ، بل أضافوا لها نظرة احتقارية مضافة ، وليس تجاهلية لعموم التاريخ العربي فقط ، مثلما أسهموا بشكل فعّال في تفتيت وضعه الاجتماعي من خلال النفخ في نيران الأحقاد الطائفية ودعم منظماتها مالياً وتسويق مواقفها السياسية إعلانياً ودعائياً . راجع كتابه المعنون مدافع آيات الله : قصة إيران والثورة ، الطبعة السادسة الصادرة في عام ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ، من دار الشروق ، القاهرة / جمهورية مصر العربية ، ص ١٦٠ .

٤ - وأخيراً ، نود الاستشهاد بمصدرين من الإنتاج الثقافي للأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل ، الأول مدافع آية الله : قصة إيران والثورة ،ص ١٦٤ التي يتطرق إليها من خلال القول : «وينتج عن المركزية المتزايدة اضطرابات بين الأقليات في كردستان وأذربيجان وبلوخستان» ، ولكن السؤال الذي ينبثق هو أين العرب من أبناء الأحواز الذين كانت الإعدامات بحقهم تتصاعد والهجرات البشرية تتزايد والسجون تستقبل منهم المئات ، إنْ لم تكن الألوف ، أم أنّ المعلومات الفارسية غدت هي «الوقائع المقدسة» ، لذا لا ينبغي الإشارة إلى نواقصها مهما كانت صغيرة؟ .

وعلينا قراءة المعلومات التالية ، لكي نستفيق من غفلة الرؤية السياسية العابرة ، ولكي نتمكن من التدقيق في وقائع الحياة السياسية للعرب الأحوازيين ، ونستكشف مدى الإجحاف الذي حملته تلك الكلمات «الهيكلية» عن الواقع القائم غداة ثورة الملالي . . . نقرأ التالي : «انتفض الشعب العربي الأحوازي في وجه الظلم وفي وجه الاحتلال الفارسي أكثر من مرة . كان من أهم تلك الانتفاضات الجماهيرية في هذا الإقليم العربي المنسي وأكثرها دموية ، هي انتفاضة ١٩٧٩ بعد وصول القوى الدينية بقيادة الخميني إلى السلطة ، خرجت الجماهير العربية في مظاهرات سلمية تطالب بإعطائها حقوقها المدنية التي وُعدوا بها من قبل القادة والساسة الجدد ، تلك الحقوق التي حُرموا منها طوال فترة الحكم البهلوي ، هذه الجماهير وقواها السياسية التي ساهمت مساهمة كبيرة في إسقاط الشاه ونظامه الجائر من خلال الإضراب العام الذي قام به عمال حقول النفط وعمال مصفاة عبادان في الإقليم العربي ، تلك الإضرابات في حقول وتصنيع الطاقة الضرورية التي شلّت مظاهر الحياة في كل إيران ، وأجبرت الشاه محمد رضا على الرضوخ والموافقة على الخروج من طهران ، وسارعت بشكل مؤثر على إسقاط نظامه باعتراف مجمل القوى السياسية الإيرانية ، اعتقدت الجماهير العربية بأنَّ القوى الدينية الثورية الجديدة في طهران ستقدر موقف ونضال الجماهير العربية في إقليم الأحواز ضد نظام الشاه البائد ، وستتجاوب مع مطالب أبناء الأحواز العادلة في إعطاء حقوقهم السياسية والاجتماعية المسلوبة منذ عقود طويلة أثناء حكم العائلة البهلوية ، ومساواتهم [مع الآخرين] أسوة ببقية الشعوب الأخرى في إيران .

خاب ظن هذه الجماهير وهي تواجه الرصاص ودبابات السلطة الدينية الجديدة وهي تحصد أرواح الشباب والشابات والأطفال والنساء العربي المنتفضين في الشوارع والساحات العامة في مدينة الأحواز العاصمة ومدينة المحمرة والمدن العربية الأخرى في الإقليم . في هذا اليوم الأسود الذي سيبقى شاهداً على بربرية وعنصرية الحكام الجدد مهما ادّعوا وتبجحوا باتباع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف مجزرة المحمرة في ٢٩ / ٥ / ١٩٧٩ والتي عرفها التاريخ بيوم «الأربعاء الأسود» ، تلك المذبحة الكبرى التي قادها الأميرال أحمد مدني ، الحاكم العسكري المفروض على الأحواز ، أوقعت في يوم واحد فقط أكثر من ألفي شهيد {٢٠٠٠} من الشباب والأطفال والنساء والشيوخ بالإضافة إلى ضعف عددهم من الجرحى والأسرى ، يوم الأربعاء الأسود المشهود عام ١٩٧٩ ـ {أي قبل صدور الطبعة الأولى من كتاب مدافع آية الله : قصة إيران الثورة، بسنتين على الأقل ، إذ صدرت طبعته الأولى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ، كما تقول المعلومات المثبتة في الكتاب ملاحظة أكتبها بمناسبة إيراد هذه الملاحظة النقدية على ما ورد في كتاب الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل} ـ شكل العرب الأحواز نقطة فصل وطلاق نهائي مع سلطات طهران العنصرية ، وكشفت حقيقة حكام طهران الموتورة والحاقدة على كل ما يمت بصلة للعرب ، حتى لو كان الضحايا من الناحية الدستورية الإيرانية والأخلاقية الدينية من رعايا دولة الجمهورية الإسلامية الإيرانية وأخوة في الدين والمذهب التي ما انفكّ حكام إيران يحرصون على إبرازه وطرح أنفسهم بمناسبة وغير مناسبة ، كحماة لرعايا ومواطني المذهب الجعفري ، أصر الإيرانيون المتدينون في أيام حكمهم الأولى على تأكيد الهدف القومي والعرقي في سياستهم الداخلية والخارجية . كان عرب الأحواز أول ضحايا حكم المتدينين الجدد» ، راجع كتاب الدكتور خالد المسالة، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

تجدر الإشارة إلى أنَّ السيد عادل صدام السويدي قام بجهدٍ توثيقي وأرشيفي لتلك المجزرة ، وهي منشورة على الموقع الإلكتروني المعنون : www.arabistan.org، ومنشورة كذلك في المجلة المعنونة بالأحواز العربية ، عيلام ، ويمكن كذلك مراجعة دراسته ، ودراسة شاهد عيان هو السيد عمر أو زلام في الجزء الثالث من كتابنا هذا .

أما الكتاب الثاني فهو : «العربي التائه»للسيد الأستاذ محمد حسنين هيكل ، الذي أوجز في الصفحة ٢٥٢ من كتابه التالي ـ بعد أنْ ينوه عن طبيعة قراءاته وفق الترتيب : السير ، وأعمال في التاريخ والسياسة والحرب ، والنوع الثالث ما يتصل بالفلسفة والفكر . لذلك فهو يؤكد على اصطفائه الكتب التالية للقراءة على الساحل الشمالي لإجازة الصيف وهي على الوجه التالي : {صنع اليابان الحديثة} لـ: «هربرت بيكس» .حياة أنديرا غاندي ، لـ«كاترين فرانك» . بيت الأسرار (عن وكالة الأمن القومي الأمريكي) لـ«جيمس بامفورد» . شخصية الملكة فكتوريا ، لـ«كريستوفر هيبرت» . صليب الفارس عن المارشال الألماني إروين روميل) ، لـ«دافيد فريزر . يوميات الحرب الكاملة ، لـ«الماريشال آلان بروك» . فرنسا سنوات الظلام (١٩٤٠ ـ ١٩٤٤) ، لـ«وليان جاكسون» . تكوين العقل الحديث ، لـ«بيتر واطسون» . الطلسم (السباق إلى حل الشفرات السرية للدول الكبرى) ، لـ«سيباج مونتيفوري» . ميزان القوى العسكرية في الشرق الأوسط ٢٠٠١ ، لـ«أنتوني كرودسمان . } ، ولكن قراءة القائمة المختارة لما تقدم ، والتدقيق فيها ، يفرز سؤالاً بالضرورة حول غياب أي كتاب عن الواقع التاريخي والجغرافي للوطن العربي ، بأجزائه المحتلة أو غير المحتلة ، فهل يكمن تفسير هذا التجاهل لحقيقة المنطقة القومية ومكوناتها الاجتماعية ، ومآلاتها التاريخية من «تحرر» أو احتلال أجنبي ، بطبيعة تذكر أو قراءة الأبعاد العالمية ونسيان أو إغفال ما تحتويه المنطقة العربية من حقائق سياسية راهنة وملموسة . . .

ربما يكمن الجواب على ذلك التساؤل ، في أنَّ تلك القراءات كانت أحد المكونات السياسية لثقافة الأستاذ الكبير ، ولكننا نتساءل مع ذلك ، مرة أخرى ، بالقول : أين الذاكرة التاريخية التي تناست منطقة الأحواز العربية ، والخليج العربي ، والحديث عن مصير العراق المحتل، في منظومة التحليل السياسي والتقرير الاستنتاجي ، على ضوء «العقل» الذي يفكر على أنوار شاشة الذاكرة الهيكلية المكتنزة ؟ ! [1] .

في أية حال ، لم يرّدُ الإعلان «الإسلامي» الإيراني على تحية الأستاذ محمد حسنين هيكل ، وغيره من الكتّاب والمثقفين المصريين ،ممن يلتزمون الفكر الناصري ، بتحية أحسن منها ، ولا حتي بما يماثلها ، جراء مساندته المفرطة ـ ومساندتهم أيضاً ـ لإيران الرسمية بذريعة تعاطفه الكبير مع الثورة الإيرانية رغم نزوعها الشرير حول الهيمنة الفارسية على بعض البلدان العربية واضطهادها الكبير والشرس للشعب العربي الأحوازي ، بل أصدر أحد أصواتها الرسمية ، وهو ما يسمى بـ«حجة الإسلام والمسلمين / سيد هادي خسرو شاهي : رئيس مكتب رعاية مصالح الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالقاهرة . . . أصدر كتاباً مليئاً بالنقد السياسي لمصر عبر قوله أنَّ ما حدث في مصر في أعقاب ثورة عام ١٩٥٢ هو انقلاب عسكري ، وليس ثورة ، مع أنَّ الشواهد التي أعقبت تأميم قناة السويس تقول أنَّ المنطقة العربية كلها ، من المياه المغربية وحتى مياه الخليج العربي كانت أوضاعها السياسية تمور تحت تأثيرات الثورة العربية المصرية ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، خصص الكتاب على مدى ٢٠٨ صفحات لكي يناقش «مزاعم دعم مصر للثورة الإيرانية» إذ يقول المؤلف في مقدمته التوضيحية عن هدف كتابه هو دحض محتويات كتاب «عبد الناصر وثورة إيران» للسفير المصري في سويسرا ، وبالتالي فإنّ هذا الكتاب «من صفحته الأولى وحتى صفحته الأخيرة ، يبني موقفاً غريباً بالنسبة للثورة الإسلامية في إيران ويدّعي أنَّ حكومة الرئيس عبد الناصر دعمت ؟ رجال الثورة الإيرانية ، وهذا الدعم ! هو الذي ساهم في إنجاح الثورة الإيرانية ؟ ! . . . ، وظلَّ هذا الموقف يتعسف في إثبات ذلك ويحرف الحقائق بوضوح، وفي سياق التعسف أو التلفيق، يحاول أنْ يشير من بعيد بأنّ الإمام الخميني كان من بين الذين دعمتهم حكومة عبد الناصر» وأضاف رئيس مكتب رعاية مصالح الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالقاهرة:««رأينا إنَّ هذا الأمر لا يمكن السكوت عنه ، لأنه باختصار منافي للواقع ومجافي للحقائق ومخالف للموضوعية فإذا كنا أمام كتابة التاريخ، فالتاريخ لا ينبغي أنْ يخضع للأهواء الذاتية والأكاذيب أو التزوير والتلفيق، وكتاب فتحي الديب مع الأسف الشديد، منذ بدايته امتلأ بالأخطاء التاريخية والموضوعية.

---

(١)راجع كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل المعنون كلام في السياسة ، نهاية طرق : العربي التائه ٢٠٠١ ، إصدار الشركة المصرية للنشر العربي والدولي ، الطبعة الثانية فبراير ٢٠٠٢ ، القاهرة / جمهورية مصر العربية ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

ولا غرو في أقوال «حجة الإسلام والمسلمين» ضد مصر عبد الناصر ، ولا عجب أيضاً ، طالما نسب ذلك «الحجة النبيه» ، فعل ثورة الشعوب الإيرانية التي جرت فيها دماء الشهداء الأماجد من كل القوميات المكونة للدولة الإيرانية ، لشخص واحد كان قابعاً في مدينة النجف والدولة الفرنسية : هو ما يسميه بالإمام المجتهد روح الله الخميني ، في حين أنه شطب بخفة مَنْ يتعامل بقوانين التأريخ وتغييراته التراكمية ، على جهود كل الآخرين من ساكني الدولة الإيرانية في الإسهام بالثورة الإيرانية العظيمة ، بدءاً بطلائع الكفاح الشعبي المسلح في جبال «سياه كُل» : الذي ابتدأ قبل اندلاع الثورة بعقد من السنوات الزمنية الذي سبق انتصار الثورة ، كمنظمة فدائيي الشعب ومجاهدي الشعب ومجموعة فلسطين اليسارية ذات الاتجاه الصيني ، وانتهاء بحركة الشعوب والقوميات المكونة للدولة الإيرانية كلها ، والتي كان من بين أبرزها إضرابات عمال النفط في عبادان الذي يشكل العمال العرب أغلبيتهم وكل الأحزاب التي كانت تناوئ نظام الشاه العميل ، فالتزوير والتلفيق لن يتوقف أمام جبل الحقائق التاريخية العنيدة، ولا بد أنْ يطال قلم حجة الإسلام والمسلمين المليء بدعاوى المبالغة أو التلفيق ـ بالمعنى اللغوي ـ بله حتى الكذب الصريح، جميع الظواهر الكفاحية التي ساهمت بنجاح الثورة ، بدءاً بالعمل الثوري المنظم أو العفوي، وانتهاء بكلمة الإعلام الإيراني والعربي والإعلام العالمي المناضل، التي كانت تقول كلمة الحق المبين أمام ضوضاء تشويش الدعاية والإعلام الفارسي البهلوي الشاهنشاهي الجائر، وما بينهما من أفعال وطنية وثورية كثيرة ووفيرة .

راجع ذلك الكتاب المعنون «حقيقة علاقة عبد الناصر والثورة الإسلامية الإيرانية» ، تأليف سيد هادي خسرو شاهي ، إصدار دار الهدف للإعلام والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، دون الإشارة لمكان الصدور .

إضافة ذات دلالة:

ربما كان إقران الموضوع التالي ، بما تقدم نشره ، مفيداً للقارئ على العموم والمتابع خصوصاً ، لذا ارتأينا إضافته بسبب وحدة الموضوع المثار ، ومن الجدير ذكره أنني نشرته بالتاريخ المذكور في مقدمته ، في العديد من المواقع الإلكترونية وآمل أنْ يكون الصواب من الاجتهاد الذي ارتأيناه .

***

شماعة «التفكير الإستراتيجي»
واحتلال الوطن العربي قطعة قطعة

باقر الصراف
كاتب عراقي مقيم في هولندا
١ / ١١ / ٢٠١١

في كل مناسبة هامة تستدعي تفسير الأحداث السياسية «الراهنة» ، يظهر السيد محمد حسنين هيكل :والسياسي والصحفي اللامع على شاشة قناة «الجزيرة» الفضائية القطرية المرئية ، يحرص من خلالها ، على إيصال رسالة «مغلّفة بالعِلم والرؤية السياسية الإستراتيجية» إلى جمهورية إيران «الإسلامية» ، على أنهاَ هي الهدف السياسي الإستراتيجي للعدوان الأمريكي القادم في المنطقة العربية وجوارها ، وكان آخر تلك الرسائل «الفكرية والسياسية» ما تضمنه القسم الثاني من حواره مع السيد محمد كريشان الموظف في قناة الجزيرة ، وذلك في يوم الجمعة الموافق ٢٨ / ١٠ / ٢٠١١ ، ومما جاء في تلك المقابلة بما يخص موضوعنا قوله «البات الحاسم الجازم»: «أنا حاقول لك حاجة ده يقتضيك انك تضع أين المواجهات الرئيسية في المنطقة، عايز أقول لك أن المواجهة الرئيسية الموجودة في المنطقة هذه اللحظة هي إيران، وأنا قلق جدا مما سوف يجري بالنسبة لإيران، وارى التهم تلفق أو تجهز، في الملف الإيراني وإذا أردت أن تحارب إيران فلا بد أن تأخذ العالم الإسلامي إلى جوارك ، [. . .] ، دول يقدروا يساعدوه في حرب سنّة ضد شيعة، ولذلك كنت بقول للإخوان مسلمين انتبهوا لأن الاعتراف بكم ليس بريئاً ، [. . .] ، في جبهة بتيجي في المواجهة القادمة، في جبهة إيران وهذه أميركا مختصة فيها بالدرجة الأولى ومعها إسرائيل» .

إذن ، هناك المواجهة الحربية القادمة ستكون حتماً بين أمريكا وإيران ، وهو ما يجعل الأستاذ «قلقاً جداً» ، لذلك هو يرجو أنْ لا يضل أحدٌ ما الطريق في استبدال أولوياته في المستقبل ، وبالتالي قد ينخرط في الجهد الأمريكي ضد إيران ! ولا يجب على الإخوان المسلمين أن يظلوا أسرى فضل الاعتراف الأمريكي بهم .

ووعي التطورات السياسية في المستقبل ، هو دافعه الأساس في التصريح ذاك ، كما يبدو ، والذي يتكرر منذ ذلك الحين. بلهَ في كل حين . وفي أية حال ، كان رأيه الفكري والسياسي ذاك هو جوهر موقف الأستاذ الكبير هذا في بداية العقد التسعيني من القرن الماضي ، ولكن مع ذلك فقد أقدمت الولايات المتحدة على احتلال العراق بعد ثلاثة عشر عاماً من الحصار الشامل والذي أعقب الحرب التدميرية التحطيمية للعراق ، وذلك بمساعدة الميليشيات المسلحة وقياداتها السياسية ، التي كانت تعيش في جمهورية إيران «الإسلامية» ، على المستوى التحريضي الكاذب والمعلومات الحقيقية والمفبركة والمعركة العسكرية ، وبعد أنْ سمح ما يسمى بالمرشد الأعلى : علي خامنئي لمجلس الحكيم وقوات بدر بالتنسيق مع الولايات المتحدة ولكن «الهدف الإستراتيجي في الحرب الأمريكية على إيران ما زال ماثلاً».

كما أقدمت الولايات المتحدة وشقيقاتها الأوربيات على احتلال ليبيا في العام ٢٠١١ ، وجرى تحطيم الجماد والعباد من أجل أهداف إستراتيجية تتعلق بالسياسة الغربية ، وليس من بينها سببٌ يتمحور حول وجود الزعيم الليبي معمر القذافي على رأس السلطة ، ولكن مع ذلك ، ظلت الهواجس السياسية تتملك رأي الأستاذ من الحرب القادمة شاخصاً بقوة وذلك بسبب «الهدف الإستراتيجي للأمريكيين في الحرب على إيران ما زال ماثلاً».

وأسهمت إيران في تفتيت الوضع الإجتماعي اليمني عبر الدعم السياسي والمادي والمعنوي للحوثيين الذين لا يواربون في التزامهم الطائفي الكريه والموالي لإيران ، ناهيك عن دعم الانفصاليين الجنوبيين ضد الوحدة اليمنية ، ولم نسمع كلمة واحدة من الأستاذ هيكل حول هذا الإسهام التفتيتي والتدخل الصارخ في الشأن اليمني ، ربما بسبب أنَّ «الهدف الإستراتيجي في الحرب على إيران ما زال ماثلاً» .

والتدخل الإيراني الطائفي في البحرين ما زال ناشطاً على قدم وساق عبر مشارب عدة وقنوات شتى والتبرعات ما تزال تنهال على الأشقاء في الرؤية الطائفية، رغم أنَّ وحدة الأمن القومي العربي هي الضحية على شفرة المقصلة الإيرانية وتدخلاتها السافرة ، ولكن الأستاذ هيكل لم يصرح بكلمة واحدة لردع الظالم على الطريقة النبوية المحمدية ، من أجل الحفاظ على عروبة البحرين وتكامل مجتمعه ، ربما بسبب كامن قوامه «الهدف الإستراتيجي للأمريكيين في الحرب على إيران ما زال ماثلاً» .

والموقف السلبي والمطابق للرؤية الإيرانية ، من ملايين العرب في الأحواز الذين يشكلون الجناح الآخر للخليج العربي ، هي أحد «تجليات» رؤيته السياسية التضامنية مع القيادة الإيرانية ، ورغم التجربة المشعشعية التي هي أول إمارة عربية في العصر الحديث ، ومنذ ٤٠٠ عاماً تقريباً ، ورغم التفريس للبشر عبر الإحتلال وتوطين الفرس الذين قارب عددهم المليون فارسي ، ومصادرة الأرض الأحوازية لصالح تفريسها ، ونقل المياه العربية إلى أصفهان ورفسنجان وسيستان، وغيرها ، وذلك في الأحواز المظلوم فعلاً ، والذي إحتلته إيران في العام ١٩٢٥ ، وربما كان تعاطفه مع الموقف السياسي الإيراني يرجع لسبب آخر يتعلق بالتسمية الأوربية الاستشراقية للمفاهيم السياسية الخاصة : كـ«مفهوم الشرق الأوسط والأدنى والخليج الفارسي» ، أو ربما لمبرر يردده الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل يتجلى بـ«الهدف الإستراتيجي في الحرب على إيران ما زال ماثلاً» .

الحرب «السنية الشيعية» وصراعاتها المتوقعة ودورها في دعم وجهة النظر الغرب الأمريكي ، ورغم النفخ في هذه المفاهيم المذهبية لم تنشط إلا في أعقاب انتشار الرؤية الصفوية التي تتخذها إيران منذ قيام ثورتها في ثمانينات القرن الماضي ، وكم ونوع الفضائيات والإذاعات التي تروج على المكشوف للرؤية الطائفية ، وكذلك كثافة الصحف الموالية للرؤية الصفوية وخصوصاً المجانية ، وأموال الرشوات المدفوعة عبر مسارب متنوعة من بينها أموال الخمس وحقوق المؤمنين بالمهدي المنتظر الذي سيقتل عند ظهورة تسعة أعشار العرب ، وغيرها الكثير الغزير ، والسّب العلني للصحابة بما فيهم الخلفاء الراشدين : الثلاثة الأوائل وأمهات المؤمنين ، وتكفير أربعة أخماس المسلمين الذين سيمسون مخلدين في نار جهنم وفق أقوال السيستاني وأسلافه العلماء الفرس ، وهي كلها نشاطات دعوية وتحريضية مقرونة بطباعة آلاف الكتب وصدور مئات الفتاوى ، والتمدد الطائفي في الدول العربية الإسلامية في مشرق الوطن العربي وشمال أفريقيا التي تتخذ من الطعن والسّب خطوطاً فكرية وسياسية لها ، وكلها ذات دلائل مشهودة ، ومع ذلك ، فإنَّ السيد الأستاذ هيكل لا يلتفت إليها بكلمة نقدية واحدة ، رغم كونها تستثير ردود فعل واسعة من قبل بقية أصحاب وأنصار المذاهب الإسلامية من غير المدرسة الإثنا عشرية ، وتغدو مجموع هذه المواقف الإيرانية بمثابة «العثة» التي تنخر بالجسد الإسلامي كله ، وليس في الوطن العربي فحسب ، وربما كان تبرير السيد هيكل هو أنَّ «الهدف الإستراتيجي في الحرب على إيران ما زال ماثلاً» .

اليوم يمضي عقدان ونيف من السنوات على رؤية الأستاذ محمد حسنين هيكل الإستراتيجية : العدوان القادم على إيران ، وأجزاء الوطن العربي تغدو محتلة أمريكياً وبشكل مباشر قطعة قطعة ، ورغم الدلائل العديدة حول تقاسم النفوذ بين المحتلين الأمريكيين والإيرانيين في العراق ، والذي كان من بين أبرز دلائله زيارة رئيس جمهورية إيران للقصر الجمهوري الذي يقع تحت هيمنة القوات الأمريكية : قواتها التي تحرص على شمشمة كلابها لنواب ما يسمى بالبرلمان العراقي ، كلما دخل أحدٌ منهم المنطقة الغبراء التي يقع فيها القصر الجمهوري الذي زاره نجاد ، وحديث الأستاذ هيكل ما يزال متواصلاً عن «الهدف الإستراتيجي» ، كما شاهدناه في تلك الحلقة .

فهل ينطوي الأمر على «ولاء سياسي ما» للرؤية الفارسية الصفوية التي طالما «يتغنى» بها القادة الإيرانيون ووليهم الفقيه خامنئي ؟ أم أننا ـ كما هو شأن البعض الآخر ـ نتعمد رؤية جانب واحد من الصورة الكلية لمفاهيم الصراع السياسي والإستراتيجي في المنطقة وعلى المنطقة ؟ أم أنّ المثال السياسي لإدارة شؤون البلاد بما فيه أسلوب الإنتاج والمساواة بين أفراد الشعوب الإيرانية ، والحياة السياسية «الديمقراطية جداً» [!] لكافة أفراد الشعوب الإيرانية المتنوعة القوميات، هو البرنامج السياسي الجاذب للخير العميم ، والمثال السياسي المُرتجى ، أو ربما وخصوصاً عند مدعي الفكر السياسي الناصري . وبعض تجاره ، فقد يكون الذهب اللامع الذي يعشي الأبصار هو مناط الجائزة المنتظرة ؟ ! .



القسم الثاني

موضوعات تتعلق بالنهج الوطني والقومي المخلص وعمليات الاستيطان العنصرية..

سيرة كفاح وبطولة
دروس وعِبَر يكثفها مناضل



القسم الثاني: موضوعات تتعلق بالنهج الوطني والقومي المخلص، وعمليات الاستيطان العنصرية

١ ـ رثاء ليس في محله:

قصة المكافح الوطني الأحوازي : محمد شريف النواصري : أبو وائل ، قصة عريضة ولكنها ليست طويلة بالتأكيد ، كما يقال ، فهو برز أمامنا ، في خارج الأحواز مرتع هواه ومركز صبواته ومكانة روحه الشفيفة المتبسمة ، كشهاب أو نجمة مضيئة لامعة في ليلة الظلام المدلهمة الدامسة ، إلا أنها لم تستمر طويلاً مع الأسف
الشديد ، ولكن هذا المواطن الوطني المحب للعروبة حد التبتل والتوضؤ في قيمها المفعمة بالخير النبيل ، ترك بصمات وافرة ومؤثرة على وعي المتابعين للقضية الوطنية الأحوازية ، بحكم إهتمامه بالمعلومة الموثوقة والموثّقة ، التي سرعان ما يقرنها بالمصدر المتابع .

عندما كان المرء المنتبه لطرحه الفكري والمستمع لتحليله السياسي ، يتابع تدفق معلوماته عبر التحليل المادي لكل مسألة تمس القضية الأحوازية ، لذا فإنه سيدرك على الفور ، أنَّ هذا التدفق المعرفي هو في حقيقته صاف . . . نقي . . . ، يشبه جريان نهر الكارون في موسم فيضانه الأكبر ، إذ هو يمتلك عقلاً مفعماً بالإخلاص للقضية الوطنية ، والمستعد دائماً للتضحية في سبيلها ، من ناحية ، والإحتقار الأبدي للعدو الفارسي الصفوي ، والإزدراء العميق لمرتزقة السياسة وللمتاجرين بمأساة الوطن والمساومين على حساب القضية الوطنية ، وما أكثرهم في العصر المنفوط ، من ناحية أخرى .

كان يتساءل على الدوام عن هذا الطنين الذي يطل من على الشاشات المرئية ، ويستفسر صارخاً مستغرباً : هل يصدق هؤلاء أنفسهم عندما يثرثرون عن «كم»و«نوع» المعلومات المختلطة بالإفتراءات ؟ . إنني شخصياً ـ هكذا كان يرى ونؤكد القول معه ـ لا أطلب من أي فرد سوى أنْ يكون صادقاً مع نفسه ، قبل أنْ يكون صادقاً مع التاريخ والشعب والوطن . . . أقول : لا بد من المصداقية السياسية وكفى ، لابد من التمتع بنزاهة الضمير من أي موقع وفي أي صعيد .

كان يتابع الأسماء التي يلمّعها الإعلام الدعائي والقنوات المشبوهة ويتساءل : أين كانت تلك الأجهزة الدعائية يوم تم جزر الشعب الأحوازي ومطاردة شبابه ورجاله . . . ملاحقة فتيانه وفتياته ؟ ومصادرة حقوقه الوطنية كلها . . . ؟ ! ، وأين كان هؤلاء المتقولون الملفقون ، الذين أساءوا للقضية الوطنية الأحوازية ، وبالتالي أرادوا رهنها عند جلادي شعوب أقطار الأمة العربية وعلى رأسها الولايات المتحدة : التي تتحكم بالمنظمات الدولية ؟ هل هؤلاء الذين يقودون بعض الجماعات التنظيمية «السياسية» تتحرك على أرضية قضيتـ«ـهم» الوطنية أم على أرضية الرغبات الدولية التي ترتبط بإستراتيجية سياسية معلومة ومفهومة ومقترنة بالتحرك على كل الصعد العالمية ؟ هل يستوي الذين يعملون ويطاردون وتسلمهم المخابرات الأجنبية للسلطة الفارسية ، مع الذين يجري تلميعهم يومياً؟ هل يستوي الذين إعتلوا أعواد المشانق وإعتقلوا وعذبوا مع الذين يفبركون البيانات ويرصفون الإدعاءات ويشهرون مسؤوليتهم عن العمليات البطولية التي يجترحها المكافحون المجاهدون في أحواز البطولة والفداء والكفاح الوطني ؟ ! .

كان أبو وائل يرصد كل تفصيلٍ يصدر في الداخل والخارج ، في سياق عمله الدائب والصامت من أجل معشوقته المستقلة على مشارف الأهوار والأنهار والعراق وسواحل مياه الخليج العربي ، والمبتلاة بالإحتلال منذ العام ١٩٢٥ ، ولكنه مع وعيه بالشروط التاريخية التكوينية وثباتها الجغرافي ، لم ينسَ للحظة زمنية واحدة طابع الظرف العالمي المعاصر من حيث القطبية الواحدة ، والتي تستهدف الوطن العربي كله ، تلك هي قضية الأحواز . . . وشعب الأحواز . . . ومراتب المجتمع .

وعندما كان يواجه بالسؤال عن التغييرات التي عصفت بقناعات البعض السياسية والفكرية ، كان المرحوم أبو وائل ينتفض بسرعة مرتعشة ، إرتعاشة من سلُبت كرامته على حين غرة واستفزت مشاعره الوطنية والقومية ، ويجيب على ذلك : إنَّ المسألة ليست تناقضات البعض مع ذاته من دون مراجعة فكرية أو سياسية لممارساته السياسية السابقة في أية مرحلة كانت ، على أهميتها في العمل السياسي المخلص ، إنما المسألة في جوهرها تتكثف في كيفية نقل البعض لبندقية من كتف أيسر وأحمر والإيمان بحق الشعوب في تقرير مصيرها إلى كتف أيمن وطيش «يساري» ، وذلك في سياق محاولة العربشة على بعض المفاهيم السياسية التي أبرزتها فلسفة سياسية معينة ، من دون أنْ يكون الهّم السياسي المبدئي له أي حضور سياسي محدد في بناء «القرار السياسي» المتخذ تجاه أية قضية وطنية أو قومية وتغيير المنطق الفكري والموضوعي ، وكذلك إشغال الضمير السياسي بأبعاد التحليل السياسي للمسألة الفكرية الواحدة ، في لحظات زمنية متفاوتة . . . والتخلي عن «الأيديولوجية الطبقية الشمولية» : التي كانت من وجهة نظرهم «العلمية الوحيدة» رغم أنّ التجربة السياسية العملية قد أثبتت تحجرها وبرهنت على مدرسيتها الجامدة ، ولكنها مع ذلك غدت تـُنفذ عناصر روحيتها السياسية لصالح رؤية تتوافق مع الرؤية السياسية الأمريكية والصهيونية ، في الوقت الذي لم تتغير فيه أي مَعْلم من معالم الرؤية السياسية الغربية أو الصهيونية . إنها المأساة / الكوميدية السوداء التي يتفجر منها التزوير الفكري والباطل السياسي ، وهو ما يستحق التوقف ملـّياً عندها ، أولاً ، ومن ثم تناول الشخوص من ناحية سياسية للقيادات التي تمثلها ، ثانياً .

إنَّ ما تحتاجه القضية الوطنية الأحوازية العادلة هو وجود مناضلين مستقيمين ومبدئيين وصادقين ، يضعون القضية الوطنية والقومية أمام حدقات عيونهم ، مركزين بصيرتهم وباصرتهم في مركزها الكفاحي الحيوي ، من جهة ، وتبقى ذاكرتهم متوقدة بشكل ثابت وشاخصة بصورة دائمة ، من جهة أخرى . المطلوب اليوم وغداً هو المكافح الجريء الذي يصدق مع القضية الوطنية الأحوازية ويصدق مع نفسه قبل أي اعتبار آخر ، لقد رحل المناضلون الشهداء في سبيل الوطن قبل التفكير بأي امتياز ، وفي الحقيقة أنهم قدوتنا وروادنا في حلنا وترحالنا وما تحتاجه القضية الوطنية الأحوازية الدراسة العينية للقوى الإجتماعية ، للواقع الإجتماعي ، لقوى الثورة ، وقوة أعدائها ، الأصدقاء وحلفاء الأعداء ، رسم البرنامج السياسي البديل عن الواقع السياسي القائم ، المعزز بتوفر الإرادة الواعية والقوية، وهو مناط التفكير الدائم والمعاناة اليومية عند الفقيد النواصري ، من جهة ثالثة وأخرى ، وليست الأخيرة بطبيعة الحال ..

هكذا كان يعض على جراحه الوطنية المفتوحة أشداقها على النزف الدائم ، والحمية التي تساور نفسه وإرادته المقدامة دائماً ، وخصوصاً عندما يتبادل الحديث مع الآخرين وأمام المجموع الوطني المتابع في نطاق اللقاءات السياسية الحميمة والخاطفة ، وربما التنظيمية كذلك ، عندما تبرز المسائل العملية الشائكة في نطاق العمل اليومي أو المرحلي ، أو تطفو أمام الجميع إحدى معضلات الممارسة اليومية والفكر السياسي ، التي ينظر إليها بمنظار الرؤية السياسية الإستراتيجية للقضية الوطنية الأحوازية في مسارها الجدلي ، والتي كان يودع «أسرارها» عند أحد الأصدقاء المثقفين المتعاطفين مع نهجه السياسي . كان كلامه السياسي التحليلي العميق والمحدد يتدفق مثلما تتكركر مياه كارون وتتلاحق موجاته .

ولكن ما هي الظروف التاريخية لنشوء الفرد السياسي الوطني ، وتصلّب إرادته في نطاق الصيرورة «الرمزية» ، والتي جعلت من هذه «الخامة الوطنية» معدناً أصيلاً ، ولا تلتفت إلى مغانم اللحظة السياسية التاريخية «الراهنة» التي يجري توظيب عناصرها «المحتملة» في العمل السياسي والدبلوماسي السرّيين ، وتقوم بضخها لاحقاً : أجهزة السي أي وعملاؤها «المفكرون أو الكتاب الصحفيون ، وينشرها بعض شيوخ إمارات الخليج العربي ، والعديد من العملاء ومرتزقتهم ، ويقوم على ترويجها بعض الأجهزة الإعلامية والفضائيات المشبوهة، التي تدور بفلك المخابرات الغربية الدولية ؟ .

إنَّ المأساة السياسية الكبرى التي تواجهنا خلال المرحلة الراهنة ـ هكذا كان يضيف السنوات الراهنة ـ ليس اِكتفاء البعض بترويج الخطوط السياسية التي تقوم على الرؤى الدعائية حول ما يسمى بحقوق الإنسان وإنصاف المؤسسات الشرعية الدولية وتنفيذ المتطلبات السياسية للآخر الدولي التي تعجز عن تسويقها مؤسساتها الدبلوماسية وأجهزتها الرسمية ، بل حتى القيام بالمتاجرة في الشأن السياسي الذي يخص القضية الوطنية الأحوازية وغيرها من القضايا الوطنية والقومية العادلة ، ومن ثم ترويج الكذب المتتالي الذي نشاهد عمليات تسويقه من قبل «هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالقادة السياسيين» ، بهمة غير معهودة على الطالع والنازل .

ولا يتوانون في سياق عملهم التضليلي عن الإقدام «المتهور» على محاربة الوطنيين والسفر إلى بعض الجهات الجغرافية المؤثرة على أبناء الأحواز الوطنيين المخلصين ، من أجل الضغط المادي المتعدد الوجوه : من قبيل محاربتهم في لقمة عيشهم والشغب عليهم بذريعة «الإرهاب» كي يمنعونهم من إعطاء الإقامات في بعض البلدان ، أو تسفيرهم في ظل فقدانهم لأية جوازات سفر تصلح للسفر ، على ذوي اليراع المبدع والفكر الوطني الثاقب ، بغية عرقلة انخراطهم في كتيبة الكلمة المناضلة المكافحة الصادقة التي تدافع عن القضية الأحوازية عن قناعة سياسية تامة ، ومن دون متاجرة أو اِتجار . . . من غير مساومة أو تخاذل ، أو المراهنة على انتظار «غودو» بغيض وكريه ، مستغلين بعض العادات المتخلفة وأولها الوشاية والنميمة والمخاتلة ، للتحذير ، {أو الإرهاب الشخصي} ، من المستقبل المجهول الذي ينتظرهم جرّاء تعاونهم مع الوطنيين الأحوازيين ، وهو حديث ستتبين ملامحه خلال أحاديث قادمة من دون أنْ يسفر عن تفاصيلها ، ولكنه رحل مع الأسف من دون أنْ يزيد ، فهل أودع أسراره عند البعض ؟ ربما ! .

من الطبيعي أن لا أتعرف على الظرف التاريخي العام لنشوئه المبكر ، وبالتالي معرفة كيفية تكونه الفكري والسياسي ، وهو في داخل وطنه ، ولكن مع اضطراره لترك عواطفه المتأججة في مراتع الطفولة والتقدم المعرفي وصولاً إلى كُنه الصيرورة المتكاملة في الواقع الأحوازي المخلص والقائم ، والتقائي به على أثر دعوة وجهتها له ولصديقه / رفيقة الأستاذ عادل السويدي ، تعرفت على اهتمامه الفكري وولعه المعرفي وهمومه السياسية ، كنا اثنين : أنا وضيفي من مدينة ألبورغ الدانمركية : السيد عامر الذرب : أبو علي ، عندما استقر مرغماً في هولندا بسبب عرقلة البوليس له كونه لا يحمل الفيزا المطلوبة ، وهو الذي كان ينوي الذهاب إلى بريطانيا لكي يواصل مشروعه الدراسي في العلوم الإجتماعية ، لكي ينال درجة تخصصية ، ويترجم رؤيته الوطنية السياسية في سبيل وطن أحوازي مستقل وذي سيادة وشعب عربي في وطن محتل ينال حقه السياسي والثقافي على أرضية رؤية مجتمعية متكاملة .

كان يطيل التوقف المتمعن المتدبر أمام محتويات رفوف المكتبة التي أمتلكها، والتي اعتلت رفوفها مئات الكتب عن تاريخ المنطقة العربية التي تبحث في مختلف مناحي شؤونها المعرفية والسياسية والثقافية ، يأخذ هذا الكتاب الذي ينتقيه بعد قراءة العنوان ليلقي نظرة سريعة عليه مقَلِّباً صفحاته مطلعاً على محتوياته ، ويتناول آخر ليمارس ذات الطريقة على مضامينه الفكرية لكي «يخطف» فكرة فواحة ومركزة عنه . كانت تلك الكتب المنتقاة ضيفنا الآخر وتشاركنا الأحاديث حتى درجة الغيرة على الوقت القصير المتاح لنا في التبصر بالأحاديث السياسية العامة ، والسعادة المنتشية بهذه الهواية المشتركة المحببة على نفسينا . وكان يقول رحمه الله : سأحتاج هذا الكتاب أو تلك المجموعة ، وفي عصرية واحدة جمع عشرات الكتب كي يطلع على مضمونها بشكل تفصيلي لاحقاً .

تطرق الفقيد النواصيري طويلاً لمفاهيم «الحجتية» الإيرانية ، ودورها السياسي في ادارة عجلة السلطة التي تقود إيران تحت ذرائع تمثيلها «للإمام المهدي» ، وتركيب الأجهزة الأمنية الفارسية المتحكم الأساس في الشؤون الإدارية والسياسية لكل إيران وفق أسس قمعية وعنصرية وطائفية ، والتوزيع السكاني لمكونات الدولة الإيرانية المعاصرة ، من الناحية القومية وأعدادهم التكوينية ، ونسبهم المؤية قياساً لكل الشعوب الإيرانية ، بغية البرهنة العينية على كون الأقلية التكوينية في الدولة هي التي تتحكم في البلاد والعباد وفي الداخل والخارج : إنها الأقلية الفارسية ، فيما مبدأ الشعوب والقبائل القرآني مُتجاهل في إيران «الإسلامية» تماماً .

كان يسلط الأضواء بالمعطيات الملموسة والأرقام الموثوقة على مفارقات الأبعاد العملية العنصرية الفارسية لوقائع الإضطهاد السياسي الشامل والمتعدد الوجوه والأبعاد والذي يشمل الرجال والشباب والفتيان والنساء والشابات والفتيات التي تطال كل المعارضين في إيران ، المناضلين الأحوازيين منهم على وجه الخصوص ، ودور المرتزقة الطائفيين من بعض التكوينات الإجتماعية اللبنانية والعراقية في تنفيذ المخططات السياسية الفارسية ضد القضايا العربية الأحوازية . كلها معلومات موثقة تتدفق على لسان وطني أحوازي مخلص بما يجعلها واقعاً ماثلاً أمامي ، وأتأسف اليوم لعدم تسجيلها بحكم الأمل بلقاءات أخرى قادمة ، والتمني له بحياة مستقرة وآمنة لمستقبله المنشود ، ومجيء عائلته الفاضلة إلى هولندا ، ولكن وآه من لكن.

تحدث سريعاً عن تجربته الشخصية والكفاحية ضمن الطلائع العاملة في حزب «الوفاق الإسلامي» ، ومشاركته الفاعلة في تجربة الإنتفاضة الشعبية الأحوازية الواسعة ، ودور الوثيقة السياسية المكتوبة تحت إشراف رئاسة مجلس وزراء الحكومة الصفوية حول آليات واستهداف العمل الاستيطاني لتغيير معالم الأرض الأحوازية القومية العربية ، وهي الوثيقة التي كانت خطوطها الفكرية والسياسية والعملية تتضمن كيفية استيطان الأرض الأحوازية من قبل الزمر الفارسية . لقد كان نشر الوثيقة تلك ، والتي كان يحتفظ بها لسنوات بانتظار الظروف الملائمة لنشرها كانت بمثابة الشرارة التي أشعلت سهل المجتمع العربي الأحوازي في ١٥/ ٤ / ٢٠٠٥ الذي يحيا مرغماً تحت براثن أجهزة القمع الفارسي والسلطة الحاكمة ، وكذلك لم ينسَ في سياق عرضه السياسي دورَ الوعي السياسي والعمل التنظيمي المثابر تمهيداً للتأكيد على أهمية مفهوم التيار العربي الديمقراطي الذي قاد تلك الإنتفاضة الوطنية العارمة . . . إلخ ، إلخ .

لم يتكلم عن الأنا أبداً ، التي غدت اليوم إحدى السمات الأساسية عند بعض السياسيين المنتفخة أوداجهم ، انتفاخة الديك الرومي وصوته المتقطع الأجوف ، ولكنه تحدث برصانة عن دراسته الجامعية ، الذي مضت كطيف في حلمٍ لذيذ ، وكيفية استكمالها رغم اليتم وقلة ذات اليد ولكن الإصرار والعزيمة والإرادة والتفوق كانوا شركاء فعالين في التمكن من اجتياز صفوفها ، وإنه ـ كما يخبرنا ـ أنه اليوم أشد تصميماً على مواصلة بحوثه الإجتماعية الجادة والمفيدة والنافعة من أجل تقديم رؤية فكرية وسياسية أكاديمية عن قضيته الوطنية الأحوازية ، كونه يمتلك مصادر فارسية غزيرة تتحدث عن التركية التاريخية لنشوء القضية الوطنية الأحوازية في معترك الصراع بين الثلاثي الإيراني والروسي السوفيتي والتطلعات الاستعمارية البريطانية ، في تنافسهم على المواقع الإستراتيجية والبحث عن الثروات النفطية ، وهي موضوعات طموحة في سياق البحث الجاد والهادف ، وكونه ـ كذلك ـ يتقن اللغة الفارسية إتقاناً متميزاً بحكم الدراسة المفروضة عليه من قبل الدولة الفارسية المحتلة ، من ناحية ، مثلما حرص حرصاً متميزاً على استيعاب مبادئ اللغة العربية : كلاماً وقراءة وكتابة جراء الدراسة المواظبة والدءوبة للتراث العربي الإسلامي ، والتحصيل الجاد على علوم فقه اللغة العربية : اللَغة الأم . سأحتاج إلى هذه المصادر في القريب ، إنْ شاء الله ، هكذا ختم أحاديثه الغزيرة الغنية جداً .

في مرحلة لاحقة ، عرفت أنه ابن أحد شهداء الأحواز ، والوريث النجيب لمثالة الكفاحي ، وقدوته النضالية في مساره الجهادي . وأبوه الشهيد بحكم دفاعه عن أرضه وحقه الإنساني في الحياة والجهاد ، من الذين اكتحلت أجسادهم في التربة الأحوازية الندية المعطاءة ، جراء قرار «قضائي» جائر صنفته وقررته ـ أساساً ـ سلطة الملالي الظالمة ، ونطق به الطاغية المجرم «حجة الإسلام والمسلمين» صادق خلخالي الذي سيقضي نحبه في طهران تحت وطأة جور جرائمه ومعاناة نفسيته السافلة ، جراء إصابته بمرض السرطان . كان ذلك عقابه في الدنيا الفانية ، وسيلقى الزقوم والصديد في الحياة الباقية ـ إنْ شاء الله ـ .

لقد أرسل هذا المجرم الخلخالي بإسم الدين والله ـ وكلاهما بريء من أفعاله وأعماله المخالفة لشريعة الله ـ حوالي ٨٠٠٠ رجل وامرأة غالبيتهم لم يرتكبوا أية جناية بالقتل أو الاعتداء على أي فرد ، إلى منصة الإعدام والتصفية الجسدية متحججاً بالقول : إنَّ الله سيضعكم في الجنة إذا كنتم أبرياء ، بذريعة مناهضة أغلبهم لسلطة خميني الثيوقراطية المطلقة ، كما يقول الصحفي البريطاني روبرت فيسك في أحد أجزاء كتابه الضخم والمعنون الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة ، ناهيك عن اغتيال السلطات الأمنية الفارسية لعشرات الألوف من الشباب والشابات في وهم في مقتبل العمر ، أي أنهم لما يبلغوا سن الثامنة عشرة من العمر ، كما أكد ذلك حسين علي منتظري الذي شغل في فترة ما منصب نائب «المرشد الأعلى للثورة الإسلامية» ، وذلك غيلة وغدراً ، أي بأسلوب فارسي صميم .

إذن ، لقد تفتح وعيه السياسي الذاتي ، وتصلـّب عوده الكفاحي ، في ظل معاناة عائلية مثلما ترعرع في بيئة أحوازية عربية شهدت بصور مجسدة المأساة الشخصية والوطنية معاً ، ونما في عائلة وطنية صدقت العهد بالإخلاص للوطن والوعد بالمضي في دروب تحرير حتى الفوز بأحد الحسنين : النصر أو الشهادة ، وقدمت التضحية المطلوبة والدماء الزكية من أجل الوطن والمجتمع ، لقد ابتدأ رحلته مع الإخلاص الوطني الصادق ورضع حليب الوفاء والتضحية منذ سنواته الأولى ، إذ استشهدَ أبوه وهو لمّا يبلغ سنّ العاشرة من العمر ، أو أزيد من ذلك بقليل ، لذا أدرك أنَّ السبب الكامن في سلسلة القمع الإيراني لسلطة الملالي في تصرف ما يسمى بـ«الثوار الجدد» هو الوعي «القومي العنصري» الفارسي الحقير ، المقرون بالبعد الصفوي الطائفي الأحقر ، وهي مقاييس فكرية وسياسية يمكن قراءة التطورات التي تواءَمت فيها على ضوء «المصلحة الفارسية العنصرية» الذي لم يتغير طابعها السياسي خلال ثلاثة أرباع القرن العشرين خصوصاً ، رغم اختلاف السلطات السائدة فيها ، من ناحية ، والتمعن في ثناياها على ضوء مقولات علي شريعتي الذي أرسى دعائمها ـ أساساً ـ في كتابه عن التشيع العلوي والتشيع الصفوي ، من الناحية الأخرى .

كان الراحل بجسده المفتول وابتسامته البريئة وقوامه الرياضي القوي ، والذي تشرب سمرة الأرض الأحوازية وتنسم عطر أريجها الفواح ، كان رحيله المفاجئ وهو في ريعان العطاء الكفاحي ، قد توسد الأرض بعيداً عن تربة وطنه ، للأسف الشديد ، بعد أنْ عاش غريباً في وطنه جراء القمع السلطوي الفارسي الطائفي ، لكنه مع ذلك ، بقي المقيم بيننا بذكره وفكره ومثاله المخلص ، تاركاً بحوثه السياسية والفكرية غير المنشورة ، وزوجة وفية وكأنها الإخلاص وقد تجسد امرأة كريمة وحيية ، وصبياً ندياً غضاً بشخص وائل المتسائل دوماً عن موعد عودة الأب الذي أعتقد إنَّ رحيل الأب هو رحيلٌ مؤقت .

وكل ذلك يبرهن على صدقية وجرأة مجموع استخلاصاته السياسية من خلال التدقيق بمعنى الوقائع اليومية ، والإستراتيجية والرؤية الطائفية البحتة ، أي غير المزوقة أبداً ، للزمر التي تتلبس الرؤية الدينية وهي المتعصبة عنصرياً وطائفياً من الرموز السياسية لسلطة الملالي الحاكمة في إيران .

إنَّ التطرق لمضمون نشوئه في ذلك الواقع العملي والشخصي ، والإستطراد بدلالاته ـ أي النشوء ـ العملية الملموسة ، يغري بالمزيد من البحث السياسي والحديث الفكري ، كون حياته القصيرة التي قضاها مكوناً لنفسه نهجاً صادقاً مقروناً بالوعي والمعرفة شكلت حياة عريضة حقاً ، وفاعلة فعلاً ، ومؤثرة جداً ، في الإطار الوطني والإجتماعي الذي عاش في وسطه ، ولكن لابد من التوقف بهذه المناسبة التي لن يكون رثاؤه في محله أبداً ، بل الذي ينبغي وضعه كقدوة دائمة في كل العمل الوطني الأحوازي المخلص .

١١ / ٤ / ٢٠٠٧

٢ ـ ظروف موضوعية تحضُّ على التبلور:

بمناسبة ذكرى مرور ٨٤ عاماً على الإحتلال الفارسي للأحواز العربية في ٢٠ نيسان ١٩٢٥، والذكرى الرابعة لإنتفاضة الشعب العربي الأحوازي ، إستذكار مناضل ورصد لنضال .. محمد النواصري : الأمل الموؤود منذ رحيل الفقيد محمد النواصري : الشخصية الأحوازية العربية المرموقة ، وصورته الباسمة الضحوكة هي التي ترفرف على مخيلتي وتأخذ بتلابيب العقل عنوة لا راد لها ، فكلما حضر الحديث عن القطر العربي الأحوازي أو عنَّ في باصرتي أو جرى النقاش السياسي حوله ، تبدو قامته المديدة ـ [بالنسبة لي على الأقل] ـ شامخة يحملها جسد مفتول العضلات ، قوي القسمات والملامح ، مفعم بالحيوية والنشاط والمثابرة ، وعيونه القلقة النفّاذة المليئة بالأمل اللا محدود ، تستقر في وجه دائري حنطي اللون ، وهي تنبيء ـ فيما تنبيء إليه ـ عن ذكاء عربي فطري متوارث ، تلك الهبة المتوارثة عن جينات أو المعبرة بشكل واضح عن القدرة السماوية الإلهية المعروفة باسم «مفهوم الفراسة» ، مجموع تلك الخِلال الجسدية والعقلية جعلت منه مشروعاً سياسياً قيادياً مأمولاً .

لكنه كان ـ وبشكل مؤكد ـ يشكل لحظة وعي سياسي عام وشامل كلي ، فيما يتعلق بالمسألة الوطنية الأحوازية ، كون ذلك الوعي السياسي التمثلي التكاملي في النمو الطبيعي في الدماغ قد تدرج النمو فيه في معمعان الممارسة ولهيبها القادر على صهر تلك السمات وصياغتها في فرد أهِّل لكي يكون قائداً ، تَمَثـُل عناصره المعلوماتية والفكرية لبنة فوق لبنة ودرجة مبتدئة بعد درجة متمهلة ، وهو في أية حال: فإنَّ الوعي السياسي يمثل أرقى أشكال الوعي الثقافي في شتى الميادين، لذلك يمكن القول بخصوصه أنَّ حضوره السياسي قد مرق كالسهم المثقف . مرق كشهاب مضيء ولامع في سماء معتمة الظلمة ، فخطف أنظار المتابعين : خصوم وأصدقاء ، بسبب أنَّ جرأته وإقدامه وممارساته العملية وخصوصاً في قيادة المظاهرات الشعبية في المناسبات الوطنية ، وجرأته تلك بالذات قد رفعت في ذاته الثورية وتيرة التفكير الجدلي بالمستقبل السياسي للمنطقة الأحوازية بالآتي الغامض ، ولكنه بدأ الطريق الصحيح في مسار التغيير الفكري والسياسي عبر تلك الخطوة في عالم الممارسة ، الثابت الجنان ، الهادئ الأعصاب ، الذي يتفحص صلابة ما تحت قدمه قبل أي تحرك ، كما هو في تقديري .

كانت هذه الملامح الشخصية الثرَّة قد بقيت عالقة في ذهني وراسخة في ذاكرتي، رغم أنَّ اللقاء العيني بهذه الشخصية «الكارزمية» وفق المفهوم المتداول في علم الإدارة السياسية ، لم يتعدَ عدد أصابع اليد الواحدة ، بلهَ لم يتجاوز المرات الأربع ، على وجه التخصيص والتحديد ، فمنحني الوعيُ عبر إلتقائه شخصياً ، الوعيَ العميق بهذه الظاهرة الإبداعية المتقدمة في مجالها التخصصي : علم الإجتماع + النشاط الدؤوب في ميدان التفكير ، كانت تلك اللقاءات تتوزع في مناطق هولندية مختلفة ، بما فيها إستضافتي له لليلة واحدة ، ويتيمة ، مع الأسف الشديد في مدينة «كوخ آن دي زان» ، التي تقع شمال غرب أمستردام : العاصمة الهولندية ، تبادلنا خلالها أحاديث الهموم القومية العربية فكرياً : قال لي ، وقلتُ له، وطال الحوار حول تلك النقطة التاريخية ، وتشعب الحديث حول هذه المسألة الإجتماعية ، وتعمَّق النقاش بصدد ذلك المفهوم السياسي والفكري المقرون بتاريخ المنطقة أو غيره من المفاهيم الثقافية والإجتماعية .

لقد دارت تلك الحوارات السياسية المعمَّقة المتشعبة التي تميزت بالثراء الفكري والاكتناز المعرفي ، كان محتواها ـ أساساً ـ يدور حول مسائل عربية / تاريخية تجريبية في الماضي ، لم يحضر فيها الـ«لو» أو الـ«ربما» ، إنما كانت تحدد معالم ذلك التفكير العالي الديالوجي الحواري : إنْ صح التعبير ، والنطق المسموع من دون انفعال ، أو ـ في بعض الأحيان ـ الخفيض الصوت المقرون بالإشارات اليدوية ، وهي عادة مكتسبة بالتأكيد ، كان خلالها الفقيد محمد النواصيري يتجلى باكتناز المعلومات الجغرافية العريضة والواسعة والعميقة ، والغوص في طبيعة الواقع الإجتماعي لجهة انتشار العنصر العربي في المواقع «الجغرافية الإيرانية» المختلفة ، وخصوصاً في جوار المناطق البحرية ، والملاحظة التي كان المرء يدركها أنَّ كل أحاديثه بخصوص جغرافية السكان العرب ، توشّيها أبعاد تاريخية مستخلَصة من وقائع عينية ملموسة ، وتتوارد فيها الأرقام التفصيلية الدّالة على وعي بالمفاهيم السياسية والآراء الفكرية المحددة أرقام ذات دلائل أساسية بصدد أي حدث يرد ذكره في النقاش ، سواء أكان يخص منطقة الأحواز العربية المحتلة خصوصاً ، أو يشمل جغرافية العراق الطبيعية الاجتماعية والبشرية ، أو يسبر عبرها غور شؤون الوطن العربي ، بشكل عام ومعمَّق .

في هذه الليلة الوحيدة ، واليتيمة كما قلنا أعلاه ، تكومت عشرات الكتب والكراسات والمجلات المُستشهَد بها ، من تلك المصادر المعرفية التي تنير تفصيلات نظرية أو معلوماتية محددة حول هذه النقطة الجوهرية أو تلك ، خصوصاً وإني عند ذِكر كل مفْصَل تاريخي أو موضوع ثقافي ، بل الأحرى في أي تطور سياسي أو فكري شهده الوطن العربي ، كنتُ أقول للفقيد الخالد : لقد كتبتُ حول هذه النقطة المفصلية بعض الأفكار والآراء : وأحرص على تقديم ذلك المنجز أمام عيونه المتبصرة ، تلك العيون التي تشي بملامح الذكاء الوقّاد الواعد ، أو أمتلكُ مصدر معرفي غني المعلومات ثر المفاهيم حول نشوئه أو تطوره أو مدى تأثيره في الواقع ، ساعياً في الآن ذاته إلى مكتبتي الشخصية المليئة بالكتب والمراجع لجلب بعضها ، مستلاً منها هذه النسخة المعبرة عن تلك المعرفة أو مصطفياً ذلك المصدر الهام ، مما هو جدير بتقديمه له .

كان الفقيد محمد النواصيري أملاً متنامياً ومتفائلاً ينمو في وعينا وذاتينا وعقلينا ، ويشي باللقاء الدائم ، كطموح مرتجى وأمل موعود ، ولكن ذلك الأمل قد تحول برحيله المفاجئ إلى أمل موؤود ، ومع ذلك فقد ظل هذا الأمل الموعود ومن ثم الموؤود يحفزني قطعاً لضرورات الحديث المتواصل عنه والتفكير فيه ، والرؤية السياسية المشتركة لكلينا تحفزنا لإمعان التفكير في الماضي وملابساته والتدقيق في وقائع الحاضر وهمومه ، فتدفعه للجزم ـ قبل رحيله المفاجئ ـ بأنه متى ما يستقر في منطقة معينة من هولندة ـ وإنْ كان مجبراً على الإقامة فيها بسبب حجز حريته ومنعه من الذهاب إلى بريطانيا حيث كان يرغب في الإقامة هناك ـ ستكون مكتبتي الشخصية التي تتضمن مئات العناوين الهامة وذات الشأن المتعلق بالشؤون العربية ، وستكون هي المنجد له في كل ما يحتاج إليه من مصادر حول المعلومات المطلوبة لبحوثه القادمة في المستقبل ، وربما يجد فيها أرقام تعزز أطروحاته السياسية التي سجّل بعضها عندما كان مقيماً في طهران .

كان عربي الروح ، عربي الفكر ، علمي المنهج ، عربي النظرة للمستقبل السياسي ، وعربي النزوع المتفائل ، كان متماهياً والعروبة كمفاهيم وأفكار وقناعات سياسية في كل أبعادها ومختلف مراميها السياسية .

من النادر حقاً ، أو هكذا رسمت مخيلتي صورة عنه ، أنْ تجد رجلاً ناضجاً في منتصف العمر ، أو رجلاً وسيماً بهياً متفائلاً ، لم تصنع السنون الزمنية معالم محددة من أية خطوط مترهلة على بشرته ، أو تظهر بعض معالم الشيخوخة أو الكبر على محياه أبداً ، رغم متاعبه ومعاناته اليومية ، وعلى وجه التحديد ، لم يتخط من العمر الزمني الخامسة والثلاثين عاماً إلا بقليلٍ من السنوات ، لقد ولد المناضل الفقيد بتاريخ ١٠ / أيلول / ١٩٦٩ ، ورحلَ مبكراً بتاريخ الثاني والعشرين من آذار العام ٢٠٠٧ ، وهو في قمة مسار عطائه الفكري والواعد المأمول ، فهل جاء هذا الرحيل المفاجئ جرّاء المصادفة الغريبة الصدف ، أم كان الأمر يتعلق بإرادة فاعل كما قال أصدقاؤه الأطباء ومحبوه المطلعون ، عندما قيل لهم أنَّ الزَبَد الأبيض الكثيف قد طفا على شفتيه قبيل وأثناء موته المأساوي المفاجئ ، وهو السبب الكامن وراء اِزدياد هذا الإفتراض البحث عن السبب الأساسي الذي أحدث وفاته عن طريق السم الزعاف القاتل ، هو «التقليد المتوارث» عن أساليب الغدر الفارسي والقتل غيلة مع إبراز اِبتسامات البراءة الخبيثة ، هذا من الناحية الأولى ، وكذلك علينا استخدام المنهج العلمي المماثل لوقوع هكذا حالات ، واتباع القاعدة القانونية التي يطرحها المحققون الجنائيون حول الهدف من عملية القتل، أو الاِغتيال ، أو التسميم ، ومن ثم طرح السؤال الإفتراضي التالي : عن مَنْ هو المستفيد من حدوث الجريمة البشعة ، ومقتل الشخص الذي ينبغي التعرف على قاتله أو المتسبب بجريمة اِغتياله ؟ وأيضاً معرفة الغاية التي ستتحقق على ضوء ذلك ؟ من الناحية الثانية ! .

كانَ فؤاده يحمل بين جوانحه كل هذا الهَّم الوطني الأحوازي والطموح السياسي القومي العربي ، مثلما كان يمتلك عقلاً سياسياً تحليلياً وقّاداً مؤمناً بالمصير المشترك لما هو مقنون بين الجزء الأحوازي ، والكل العربي المترامي المستلقي على الأطراف العالية من الصخور الشمالية الغربية في المملكة المغربية، الواقعة على سواحل المحيط الأطلسي ، وجنوب الوطن العربي ، واِنتهاءً بالصخور الصلدة للجبال الأحوازية المسماة بسلسلة جبال زاغروس ، والتي تشكل متراساً شامخاً وحداً فاصلاً يميز الوطن العربي عن الكيان الفارسي، والدولة الإيرانية المترامية الأطراف المكونة من عدة قوميات تتباين في أصولها وثقافتها مع القومية الفارسية في كل شيء ما عدا الدين الإسلامي الحنيف، وليس التعصب المذهبي بالتأكيد الذي ينصُّ عليه الدستور الإيراني ، بعبارة أخرى أقول بلغة واضحة ، تنتظم العلاقة القانونية بين الجزء الوطني القطري والكل القومي العربي وسمات هذا الوضع هي من طبائع الجغرافية وهو ما يتطلب الدراسة العينية العميقة ، على الرغم من القرارات السياسية الغربية : البريطانية خصوصاً ، التي عمقتّت التجزئة السياسية بين الأجزاء المشرقية من الوطن العربي ، وسلمت بعض الأجزاء العربية لمشاريع سياسية أجنبية : أوربية أو إقليمية أجنبية، أو تستهدف تجزئة الوطن الواحد أو اِستباحة وجود بعض أقطاره .

كانت أحاديثه الفكرية الوطنية والهموم السياسية منتظمة مسترسلة من حيث العرَض الكلي لمسألة هذا القطر العربي الأحوازي المحتل منذ عام ١٩٢٥ ، على يد القوة الفارسية الغاشمة من تاريخ احتلال هذا الجزء العزيز من الوطن العربي ، خصوصاً وأنَّ قيادتها السياسية قد تمكنت عبر التنسيق السياسي بين قوتها العسكرية ، من جهة أولى ، والقوة البريطانية التي كانت تسيطر على العالم ، بشكل عام ، وعلى المشرق العربي على وجه الخصوص ، من جهة ثانية ، ومن المعلوم أنَّ السياسية البريطانية كانت قائمة على الوعي السياسي لملابسات تاريخ المنطقة والتخطيط الإستراتيجي المسبق ، كون خطتها السياسية ترتكز على الدراسة العملية فضلاً عن استفادة إستراتيجييها ومخطِّطيها ومطبقّيها من المعاني الجوهرية لمفهوم الحروب الصليبية وغزواتها التسع للوطن العربي ، وأهدافها السياسية والاقتصادية ، والتمعن في دروسها التاريخية والأساسية في كيفية انحدار قوتهم العسكرية والانهزام لبعض غزواتها في المعارك العسكرية ، وصولاً إلى اندحارها بعد قرنين من الغزو الأوربي الذي استهدف العرب : مسلمين ومسيحيين شرقيين ، ورحيلها نهائياً ، ودور الوحدة العربية الإسلامية المقاومة والمقاتلة في صيرورة هذا الغزو الصليبي الأوربي في موضع الهزيمة التامة ، وجعلها في خبر كان ، وثم التلاشي التام من الوجود الفعلي على الأرض العربية ، وخصوصاً في فلسطين وجوارها .

لقد تمكن الإثنان الفارسي والبريطاني اللذان خضبت يديهما الثروة النفطية ومدخولاتها النقدية التي لا تراعي حرمة ولا تقدس كلمة ولا تفي بوعد ، من العمل السياسي المشترك لينجزا مشروع احتلال الأحواز ، وتصفية إمارة عربية مستقلة كانت قائمة ، أو شبه مستقلة كما يذكر بعض الكتّاب المحايدين ، ويرأسها رمز معنوي كبير لشعبها المظلوم ، هو الأمير الشيخ خزعل الكعبي ، لشعب يمتد من شمال الأحواز إلى مضيق باب السلام أي ما يسمى بمضيق هرمز وفق التعبير الفارسي ، ومن المعلوم المستمد من تفحص دقيق لوثائق كثيرة وكتابات وفيرة أنَّ الشيخ خزعل كان أوعى الحكام العرب الخليجّيين قاطبة ، ومن بين القلائل الذي يتميز حسهم وعقلهم بالوعي السياسي على المستوى العربي ، ولم تخدعه أية حوادث في المنطقة سوى عامل «الثقة» بالعنصر البريطاني المتحكم في المنطقة .

لقد قامت الدولة الإيرانية منذ ذلك الحين بانتهاج خطة سياسية قوامها الخطوات العملية القاضية بمحاولات دمج هذا الكيان العربي ومجتمعه الناطق باللغة العربية بمنظومة العمل والتكوين السياسي الفارسي ، وإنْ أمكن الفكري من خلال الأبعاد الأيديولوجية الطائفية أيضاً ، على الرغم من أنَّ محتويات الثقافة الدينية العربية الإسلامية هي المنظومة الفكرية الرئيسة وكذلك المشتركة عند كلا الشعبين بشكل خاص ، وعند عموم شعوب أقطار المنطقة العربية وجوارها ، ولكن للعنصرية الفارسية الساسانية في ممارسة تدابيرها التدجينية كانت لها الرأي السياسي الآخر وذلك عبر قوانين ملزمة ، وتعليمات إدارية وأمنية ، وأجهزة بوليسية علنية وسرية ومسار تدريسي هادف طويل الأمد، من أجل محاولات تفريس الأحواز .

ولكن ، في الآن ذاته وكذلك ، كما لاحظ الفقيد محمد النواصري ، أنَّ وتيرة تلك المحاولات التي تسعى للدمج والتذويب للوجود العربي كلياً في منظومة المفاهيم الفارسية ، أخذت تضطرد مناسيبها العملية بشكل متوالٍ ومتزايد يوماً بعد آخر ، مع مجيء «سلطة حكومة الملالي وقيادتها المعروفة باسم الحجتية» ، ناهيك عن مصادرة الأراضي لصالح تفريسها بعناصر مستوردة من خارج القطر العربي الأحوازي .

وهذا المصطلح «السياسي : الحجتية» كان مثار اِختلاف فكري وسياسي بيننا، إذ أنه كان يفضل اِستخدام مفهوم «القيادات الحجتية» كون المعممين من هذا الصنف هم «العقل الذي يقود التجربة السلطوية الإيرانية» وقلبهم النابض«الحجتية» الذي يقود تياره الفكري والسياسي المدعو مصباح اليزدي ، ومن هنا ينبع ، كما كان يقول ، طبيعة رؤيتها الأيديولوجية الحديدية التي تحاول تقفيص الواقع العربي ـ فضلاً عن الأجزاء القومية الإجتماعية الأخرى من غير القومية الفارسية ـ على قد مقاس «الذات المعممة» ، وسعي هذه «القيادات الحجتية» لتفسير آليات سيرورته السياسية وعلى الصعد كافة : في إيران في ظل حكم الملالي ، وبالتالي ، فرض رؤية سياسية برنامجية ، متصورة مسبقاً وبشكل ملموس ، محددة المعالم وواضحة قسمات المضمون ، يجري تطبيقها وبنشاط متواصل على واقع سياسي متحرك داخلياً أي أحوازياً ، ومتشابك إقليمياً : أي عربياً ، ومتداخل دولياً على الصعيد العالمي .

في أية حال لم نتوقف طويلاً حول هذه النقطة الخلافية المسماة بالحجتية ، والتي تم تجاوزها بسرعة ، كون الهدف السياسي لكلينا متفقٌ عليه ، إذ كانت ملاحظتي تقول أن الواقع التذويبي لمفهوم العروبة على كل المستويات كان قبل صعود فئة الحجتية على سدة السلطة الفارسية الصفوية .

ولكن هذه الشخصية الكاريزميا التي ذهب أمل وجودها لتشكل قطباً ضرورياً، إلى عالم الغيب بسرعة لافتة للنظر ، كيف تكونت ونشأت وصارت وعياً سياسياً حاداً ؟ ! .

وما هي الظروف التي عملت على تشذيبها وتهذيبها وتثقيفها وتصييرها رمزاً واعداً ؟ ! .

كان هذا السؤال الذي يؤرق ذاكرتي بشكل دائم حول هذه الشخصية الأثيرة على النفس ، في سياق أي تناول للقضية الأحوازية على مستوى النقاش ، هو الذي دفعني للجوء إلى الأخ المناضل عادل السويدي الذي كان مسؤولاً عن معرفتي بالفقيد محمد النواصري : «الأمل الموؤود» . كنا أربعة أشخاص يوم زيارة الفقيد محمد لي في كوخ آنْ دي زآن : الكاتب أنا ، والمتحدَث عنه : محمد النواصيري ، والأخ أبو خالد : أي عادل السويدي ، والعزيز الغائب في منطقة ألبورغ / الدانمرك عامر الذرب : أبو علي ، الذي منحَ الفقيدَ الوعيَ بدوره وجدد نشاط الذاكرة حول عمله الكفاحي كونه عمل من أجل القضية الأحوازية في ليبيا في عقد السعينيات من القرن المنصرم ، ولذلك ظل الراحل الفقيد محمد يسأل عنه دائماً وبكل الأريحية والحرارة والحيوية ، كلما اِلتقينا سواء في بيته بروتردام ، أو جرى التخابر الهاتفي بيننا .

كان المنطلق الأساس ، كما اِستخلصته من الأحاديث العديدة المتواترة بصدده ، وفي المناسبات المتوالية التي تصادف اِنعقادها ، هو النشأة العائلية لبيت المناضل الفقيد محمد ، حيث أبى والده الدعة والعيشة العفوية ، ليرتقي بدلاً من ذلك ، جبال الدروب الكفاحية في سبيل القطر العربي الأحوازي المحتل، والمجتمع الأحوازي المضطهد ، ومواجهة عدو طائفي بغيض والنضال ضد توجه عنصري أبغضْ ، وذلك وفق كل الإمكانيات الذاتية ، كان شريف النواصري ـ وهذا اِسم والده الشهيد المثال المجسَّد أمام عيونه المتوفزة وعواطفه المتحفزة وإرادته المتوثبة والمتصدية ، كون اِرتياد هذا الطريق الكفاحي يتضمن المعنى الأخلاقي الحازم حول معنى الثمن المطلوب إيداعه في عنق التضحية القادم ، وأمام الخيار الواضح الذي تراكم أو الذي سيتراكم : كفعل كفاحي متجذر ومتفجر ، يوماً إثر آخر ، من حالة الإختيار الذاتي وصولاً إلى حالة الخيار الموضوعي ، ألا وهو الشهادة أو المعتقل والتعذيب .

كانت سريرة أبو وائل الكفاحية تتنامى وسيرته الكفاحية تتوطد ، من دون أنْ يلتفت إلى شؤونه الفردية الذاتية الخاصة ، بعبارة أخرى : لقد تماهت ذاته الشخصية الحياتية بذاته الوطنية العامة ، إذ كان الفقيد ذائباً في الأنا الجماعية للمجتمع الأحوازي المضطهد ، ويعبِّر عن خصائصها التاريخية والراهنة ، مثلما استلهم خصالها المكتنزة في التقاليد الكفاحية للمجتمع الأحوازي ، ليتدفق منه مفردات عقلية عبر المقالة السياسية والملاحظة النقدية ، والحوار السياسي الهادف ، والشعر والنثر في الميادين الكفاحية ، وذلك في إطار خط من الكتابة الجميلة والرصف المستقيم كما رأيته في دفاتره المخطوطة ، لقد كانَ كل كيانه الذاتي يعبِّر عن روح مبدئية صادقة مع نفسها ، ومنسجمة مع رؤيتها السياسية ، ومتطلعة للتوائم الكلي مع التوجه العربي الآخر: سواء أكان في الأحواز أو في بقية أجزاء الوطن العربي .

الخطوط العريضة لتكوين الحياة في إطار القناعات الفكرية لروحية الأب السياسية تتحدث عن : رجل نبيه مرهف الشعور الوطني ، متفتح الرؤية السياسة ، صلب المعدن ، رفض أنْ يبقى في الإغتراب «الكويتي» التي رحل إليها من أجل كسب لقمة العيش للعائلة التي تركها في الأحواز وعلى وجه التحديد بمدينة : المحمرة ، ولكنه تركها تحت وطأة الشعور الأخاذ من ناحية التفكير الجاد في خلفية الوجود السياسي لوطنه ومأساوية الواقع الإجتماعي لأشقائه من الأحوازيين كلهم .

وهناك نما تفكيره وراحت معاناته تكبر رويداً فرويداً ، جراء إختمار المعاناة اليومية والتدبر في شؤون المجتمع الأحوازي ، كان يفكِّر عميقاً بالأسباب الكامنة وراء رحيله لهذا البلد النفطي الصغير ، الواسع الثراء جراء طفرة الدخول المالية الكبيرة المتولدة عن اِستغلال الشركات النفطية الأجنبية الغربية للثروات الكامنة في أرض هذا البلد العربي ، في حين أنَّ وطنه الأحوازي يطفو على بحيرة نفطية واسعة ، وواعدة بالثراء جراء الاستغلال الإقتصادي ، كما هو مفترض . لولا العامل الفارسي الإيراني المستغل لكل الثروات الأحوازية .

وفي حمأة التفكير الجاد بالمجتمع الأحوازي ومستقبل أفراده ، وألم المعاناة اليومية جرّاء العمل المضني والشاق والتمييز من قبل البعض «الكويتي» المغرور بطفرة بلده النفطية والمستعلي على الآخر العربي ، على مستوى الحياة الفردية أو الجماعية ، ومشاهدة الفروق الطبقية الهائلة بين ما هو كائن حالياً في الكويت الذي يعيش عاملاً فيها ، من جهة ، وبين ما كان متوضعاً في الأحواز من حيث الفقر والعوز والإفقار الثقافي والتمييز بين القومية المسيطرة المستغلة ، والعرب المحتلة أرضهم ، من جهة أخرى ، هذا أولاً وأساساً .

والوعي السياسي والفكري ، والدروس الكفاحية الذي نشرته التجربة السياسية في مرحلة القومية العربية خلال فترة الحكم الناصري ، والدعم السياسي لقضية الأحوازية الذي قدمته الجمهورية العربية المتحدة ـ مصر ـ كلها كانت عوامل جياشة ، لنشوء الوعي السياسي والفكري عند الأب شريف النواصري ، ذلك الوعي القائل بضرورة إلزامية دور الفرد الواعي في العمل الكفاحي ، وبالتالي بوجوب الثورة الشاملة على الظلم المرتكب بحق وطنه وشعبه ، فضم جهده الشخصي إلى جهود أقرانه في الوعي السياسي الذي تبلور خطوة إثر أخرى على خلفية معاناتهم اليومية والمرحلية ، ثانياً ، وبدرجة معينة .

كان مفهوم العروبة المناضلة العنوان الأبرز للحركة الشعبية الكفاحية الهادفة إلى تصفية الوجود الاحتلالي والقضاء على عملائه من شتى القوميات التي تكون الدولة الإيرانية ، تلك هي بتركيز شديد «المهمة السياسية الأساسية» للشعب الأحوازي وجهوده المتناثرة التي تحتاج إلى طليعة واعية للم صفوفه ، وقيادات تعطي المثال المحسوس والشاخص الذي يحث المجموع على احتذاء المثل الكفاحي المعطاء . ومضى الأب على هذا الطريق مكافحاً كفاحاً عنيداً وصلباً ، وصل به درجة من العمل الكفاحي اليومي الذي تكلل بنيله السمة الأرقى في سلَّم سمات الشهادة الإنسانية في سبيل الوطن والمجتمع ، راسماً خط سيره بدمائه الزكية المسفوحة على طريق الكفاح المسلح طريقاً رئيساً لتصليب الإرادة الوطنية الأحوازية ضد النزعة العنصرية الفارسية الإرادة التي تتطلع إلى أحواز عربية أحواز مستقلة وحرة وسيدة .

كانت أوامر أو «حكم» المجرم صادق خلخالي الذي سيتلقى العقاب الإلهي العادل عبر مرض السرطان القاتل ، وآلامه الفادحة والممضة ، قد وضعت حداً فيزيقياً لحياة هذا المكافح الأبي الذي رفض الخنوع للسلطة الفارسية وثار على الظلم الصفوي . كانت هذه المآثر الكفاحية المنزلية والعائلية والتنظيمية هي المدرسة التي ترعرع في حومة فعلها المشع الفذ : المناضل محمد ، وتشرب المعاني الحقيقية للكفاح الوطني الأحوازي والقومي العربي ، وكذلك ، أدرك متبصراً لمعنى الثمن الحياتي المطلوب تقديمه .



٣ ـ طبيعة الأرض وهويتها: المنطلق للتقويم والمبادرة:

كانت رحلة الفقيد محمد الكفاحية قد استمرت في دروب متعددة ومسارات مختلفة وتوجهات متواشجة ، ولكنها كانت كلها تصبُّ في مجرى كفاح وطني واحد ، من ناحية الهدف الإستراتيجي المحدد ، والتوجه السياسي المشترك نحو بؤرة واحدة والمسار الواضح بغية إنجاز غاية تتماهي وتراث عائلي ووطني وقومي أثير على قلبه وعقله ، تناسل ذلك التوجه السياسي من موشور الإخلاص المفعم بالإيثار للقطر الوطني الأحوازي ، المبنية قناعاته الفكرية والسياسية على أرضية صُلبة تستمد رسوخها من يقين متجدد ومتنامٍ على الدوام ، وتعتمد على امتصاص معايير الأخلاق الكفاحية المتواصلة مع جذور قوية متراصة متصالبة القوة ، المتضافرة المتآلفة النسغ الساري ليلاً ونهاراً باتجاهين : الصاعد أو النازل ، بهدف العمل باتجاه النماء والإستمرار والتوطد ، أي كون هذه الغاية كامنة في الرؤية السياسية الواضحة ، عرّامة الروح التعرضية والحيَّة المخضـلة بالأمل والمتألقة في نظرتها المتفائلة بالمستقبل ، الريانة العروق المتدفقة بالدماء النقية الحمراء كالوردة الجورية الفواحة بالعطر ، المخضـَّرة الفروع والسيقان الناعمة الزاهية ، الوارفة الأوراق اليانعة النافرة التي تتطلع لبناء المزيد والمزيد مثل شجرة الدوحة الكثيفة الظلال التي توزع فيافيها على الآخرين، العالية الرأس المرفوعة الهامة مثل نخلة عربية خضراء تطاول السماء وتعتمد على ساقٍ ضخمة من السنديان الصُلب .

كان الأمل الفكري في المستقبل المشرق يراكم الفعل الإنساني اليومي ، الفردي والجماعي ، ويستنهض المعاني المضيئة والدروس الجوهرية لكل مفاصل التاريخ العربي الإسلامي ، ويعتمد الطريق الموضوعي الذي يراهن على الذات الشعبية الأحوازية التي رأت في الأب الشهيد الذروة السامقة لأمانة الموقف وصلابة المبدأ التي ينبغي لها أنْ تتواصل في الأرومة الطاهرة الناكرة للذات ، في خضَّم الإيثار المفعم بالجرأة ، وروحية التضحية المتولدة في الإبن والمعجونة حدَّ الذرة الأخيرة المتفاعلة مع الرؤية السياسية الوطنية والقومية للأمة، وصراحة الجرأة المتدفقة بالجرأة والمضي بحياة حارة نازفة وهي تتحمل الثمن عندما تحين لحظة الخيار الحاسم ما بين عيش «الحياة بذلةٍ» ، أو قضاء الحياة / «الشهادة بعزةٍ» فداءً للوطن والشعب ، الذي سيواجهه الرجال الأفذاذ المتماهين بالإخلاص . . . رجال المبادىء المستقيمة الواضحة المؤثرة كفعل الطلقة المستقيمة الذاهبة بسرعة الضوء ، وهي تستقر في صدور الأعداء المحتلين الظالمين الخلخاليين ، كان الخيار لدى الإبن الفقيد خياراً واضحاً ومستقيماً وصادقاً .

لقطع المسافة بين المبتدأ في العمل السياسي الهادف ، والمنتهي في دروب العطاء اللا نهائية ، مسارٌ من الأفعال التاريخية الطويلة ، لا تختزل مسافاته دروب الحياة العسيرة فقط ، ولكنها الشهية أيضاً ، مع الدروب القاسية التي تُوصل إلى الموت ، وإنما هو مسار ـ مع ذلك ـ يبقى خالداً سرمدياً أبدياً متجذراً في روحية الشعب وطليعته المواجهة ، وكانت روحية «التيار العربي» الذي يقوده النواصيري قد ترافقت ولادته عند الإبن الشهيد : محمد ، مع ما تمخضت عنها تجربة الأب في «الجبهة العربية لتحرير الأحواز» ، وتجربته الشخصية في البناء التنظيمي عندما تبوأ العضوية المركزية في الهيئة القيادية لـ«حزب الوفاق الإسلامي» التي تطلع لها المجموع «الوفاقي» وفق الفهم الخاص بالشهيد إلى أنْ تكون رحلة أخرى مكتنزة بالمعاناة منطلقها من «الذات الفردية» لكي تصل إلى روحية «الذات الجماعية» المشتركة . . . من روحية التشظي العشائري والتفرق القبائلي إلى جماعية المجتمع الأحوازي ، فكانت تلك التجربة التنظيمية شاخصة واعدة بالأمل على أرضية الصراع ما بين روحية الإخلاص للمجتمع الأحوازي، من جهة ، وضد الذات المتعجرفة المحتلة للأرض والمستغلة للبشر المدججة بالسلاح والثروات المنهوبة ، من جهة أخرى ؛ والسياسة ـ في أية حال ـ مفهومٌ متخصص في تخيل المستقبل ، كما ينبغي ويجب أنْ يكون عند المناضلين الحقيقيين.

كانت تجربة الإنتخابات على مستوى القاعدة الإجتماعية في المجالس الطلابية والبلدية ، وما نتجت عنه من دروس جوهرية ومُثُل مسّت صميم الواقع بين الطرفين النقيضين على مستوى الأماني والآفاق من حيث الدفاع عن الوطن والمجتمع ، من ناحية ، وأهمية الوطن والأرض المحتلة من قبل الطغاة اللؤماء التي تعشعش في أدمغتهم أمراض الأوهام لإمبراطورية كانت قائمة على العبودية المطلقة للفرد الذي يمتلك «إمبراطورها» كابراً بعد كابر سواء أكان آريامهر أو «المجتهد الأكبر» «النائب الحاضر» عن القدرة الإلهية السماوية ، «النائب عنه» في أرض الواقع السياسي الإيراني : يأمر وينهى من دون قيود ويصدر الأحكام من دون حدود ، ومن غير مساءلة من قبل الناس المظلومين ، من ناحية أخرى .

لقد أثبت الواقع أنَّ : التحول الإجتماعي مع ما هو مضمر على صعيد الذات القيادية يأخذ مجراه بهدوء عميقاً في تلاوين المجتمع الأحوازي من حيث التركيب الطبقي والإجتماعي والمستويات الثقافية . إنه الحراك الإجتماعي الموّار الجياش الذي سيفرز وعداً بالتغيير نحو الأحسن والأرقى ، وهو ما أحسَّت به السلطة الفارسية من خلال مجسّاتها الأمنية ، فبدأت باتخاذ الخطوات العملية نحو تقفيص التطور الأحوازي والحد من جموح تطوره نحو «المجتمع الأحوازي الموحد» على حساب التفرق العشائري والتمزق القبائلي وانسياق البعض ـ مهما كثر عدده ـ للولاء الطائفي على حساب الإلتزام الوطني . . . وبالتالي: الولاء لغير الذات الأحوازية والإخلاص لمستقبلها .

كانت هذه التلمسات الأولى على صعيد الوعيد الفارسي الذي تقرر في الغرف السياسية الأمنية للسلطة الإيرانية هو المكتشَف من خلال المعلومات المتيقنة المتوضعة في الذهنية الفارسية ، سواء عبر التفكير المتيقنْ والإعـْمالْ المدروس بما تراه العيون وتحسُّه الأنفاس وتتلمسه التجربة العملية : الشخصية والجماعية ، أولاً ، أو من خلال الإستماع المباشر لمنفذي المشروع الفارسي المتخيل والمخصص لمستقبل القوميات في إيران بشكل عام ، وتجاه القومية العربية على وجه الخصوص ، ثانياً ، قبل أنْ يطرح حلاً متصوراً لما هو ينبغي ويأتي لجس نبض القادم والمستقبل ، كانت فكرة ضرورات وجود الأداة التنظيمية هي المنبعثة من روحية «التيار» الذي يعني فيما يعنيه هو الديمومة والإستمرار ما دام الصراع قائماً ويتخذ صفة السيرورة ، كانت كلمة / مفهوم التيار يعبر عن معنى سياسي عميق يتضمن الحركة الفوارة منقولاً في مبناها الفكري والسياسي ومعناها الإجتماعي لتدّل على حركة موجهة نحو هدف سياسي جوهي ماثل على الدوام ومحدد القسمات ، كونه يتضمن مفهوماً سياسياً عميقاً يكثف المعاني الجوهرية التي تتضمن حركته المضطردة نحو الإستقلال والسيادة الكاملتين ، ولن يكتفي قطعاً بأنصاف الحلول حتى إذا كان وعودها صحيحة ، وليست للمخاتلة والتظاهر وتمرير السم بالدسم ! ! .

ولكن قبل ذلك كانت عقليته العلمية تفكر في وضع «تصور ملموس» عند مَنْ يستطيع مواصلة الصراع وإدامة عملية الجدال الخشن مع كلِّ مَنْ يحاول فرض أشكال النضال ومحتواه وهدفه على الخصم أو النقيض ، وكان له : أنْ انطلق من بديهية سياسية تتعلق بـ«ملكية» الأرض الأحوازية : أتعود لأصحابها الشرعيين أم تظل أسيرة عند محتليها ، فعلى الحدود الفاصلة لطبيعة هذه «المُلكية» ، ومن خلال الجواب على ذلك السؤال ، تتحدد المواقف السياسية اللاحقة .

إذن يجب قراءة التصورات الفارسية حول تلك المسألة الهامة والحيوية ، والتعرُف التفصيلي حول مضمون الخطط السياسية العملية التي تتحرك هذه الرؤية على ضوئها ، فكان المنطلق أساساً في التحليل والتقويم ، هو وعي الرؤية الإيرانية الفارسية بصدد مستقبل الأحواز .

لذا كانت دراسته المعنونة «إيران وخفايا التوزيع الديموغرافي بالأحواز» التي جاء فيها وتحت عنوان فرعي : السياسات المنهجية ضد الأحوازيين . . . والتي قال الشهيد محمد فيها ما يلي :

«إن سياسة النظام الإيراني تجاه الشعوب في إيران بشكل عام والشعب العربي الأحوازي بشكل خاص بعد الاحتلال العسكري المباشر، كانت ولا تزال منهجية على مختلف الصعد ، حيث استهدفت هذه السياسات العنصرية غير الإنسانية البنى السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية . الهدف منها صهر هذا الشعب في بوتقة النظام الفارسي من خلال طمس هويته العربية المتمثلة باللغة والثقافة القومية وكذلك اقتلاعه من جذوره العربية ومن الأرض التي عاش عليها و تجذر فيها آلاف السنين حيث كانت على الدوام ممنهجة من قبل صانع القرار السياسي في طهران .

بدأت تلك السياسة مع الاحتلال علي يد رضا شاه البهلوي و وضعت اللبنة الأولى لتلك السياسة المنهجية من خلال إقطاع الأراضي العربية للعسكريين الفرس و رجال الدولة من السياسيين و الإداريين و الأمنيين و كذلك سحب ملكية بقية الأراضي من المزارعين العرب وإعطائها إلى مؤسسة المنابع الطبيعية بغية تسهيل مصادرة تلك الأراضي في خطوات مستقبلية مدروسة ، و تهجير مئات الآلاف من المزارعين و المواطنين إلى المناطق المركزية في إيران والعراق والدول الخليجية. واستمرت هذه السياسة على يد محمد رضا بهلوي الابن و أصبحت أكثر شراسة بسبب التوجه الفارسي العنصري وحقده ضد العرب والعروبة ، وذلك من خلال سياسة ما يسمى بالإصلاح الزراعي في الستينات من القرن الماضي وتحديدا سنة ١٩٦٣ م تحت عنوان الإصلاح الزراعي أو الثورة البيضاء، حيث تمت مصادرة مئات الآلاف من الأراضي الزراعية ومن ثم تمليكها للمستوطنين الفرس ، و كانت أولى مشاريع قصب السكر قد دشنت في تلك الفترة على أنقاض عشرات القرى العربية بالأحواز .

وتوجت تلك السياسات الإجرامية بعد وصول رجال الدين إلى سدة الحكم ، وتحديداً بعد انتهاء الحرب العراقية ـ الإيرانية وكان لطبيعة التكوين الأيديولوجي لهذه الحكومة الدور البارز في شراسة واتساع دائرة هذه السياسة حيث يجتمع فيها التطرف الطائفي والحقد التاريخي و كذلك العنصرية الفارسية والعداء لكل ما هو عربي .

وتم تدوين الإستراتيجية لهذه السياسة تحت مسمى التوزيع الديموغرافي أو (امايش سرزمين) بموجب التعميم الصادر من المجلس الأعلى للأمن القومي برئاسة هاشمي رفسنجاني برقم ٩٧١ / ٢ ب ـ ٣٤١٦ و تاريخ ١٤/ ٤ / ١٣٧١هـ . ش الموافق لسنة ١٩٩٢ م وكذالك التعميم الصادر من مكتب محمد خاتمي بصفته أمين عام المجلس الأعلى للأمن القومي برقم ٢٧٦٨٦/ ١٢ وتاريخ ١ / ٥ /١٣٧٧ هـ ش الموافق ١٩٩٨ م .

نتائج بعض تلك السياسات العنصرية :

ـ مصادرة أكثر من ٧٠ ألف هكتار زراعي في منطقة الشعيبية والميناو والشوش ومناطق شمال الأحواز ، لصالح شركات من أهمها شركة كشت وصنعت إيران ـ أمريكا وكشت وصنعت إيران ـ كاليفورنيا وشركة دز كار وشركة شل وشركة كلاسنو وغيرها من الشركات الأمريكية والإسرائيلية في عهد حكومة الشاه.

ـ وبعد نجاح الثورة الإيرانية تمت مصادرة أكثر من ١٣٥ ألف هكتار من أراضي المزارعين الأحوازيين جنوب مدينة الأحواز وشمال مدينة المحمرة وعبادان وعلى ضفتي نهر كارون وهنَّ من أخصب الأراضي الزراعية ، وجرى مصادرة كل هذه الأراضي بذريعة إقامة مشروع قصب السكر ، حيث أنّ الشركات القائمة على هذا المشروع تعود ملكيتها إلى رجالات الدولة الإيرانية والمؤسسة المذهبية الصفوية الحاكمة في إيران .

ـ مصادرة أراض بمساحة ٤٧ ألف هكتار لغرض إقامة مشروع معاقي الحرب العراقية الإيرانية في منطقة الجفير ، المحاذية للحدود العراقية الإيرانية .

ـ مصادرة أكثر من ٢٥ ألف هكتار لغرض إقامة مشروع مزارع الأسماك جنوب مدينة الأحواز وتمليكها للمستوطنين الفرس من الوافدين الجدد إلى الإقليم .

ـ مصادرة أكثر من ١٠٠ ألف هكتار شرق مدينة الحويزة تمتد حتى شمال مدينة المحمرة تحت ذريعة منطقة المناورات العسكرية لفرقة ٩٢ المدرعة ، ومن المعلوم أنَّ كل تلك المنطقة هي من الأراضي الزراعية وفيها عدة قرى عربية يسكنها الآلاف من العرب هجروا من أراضيهم .

ـ مصادرة آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية في مدن الخفاجية و الحويزة و البسيتين بحجة تطوير حقول أزادكان النفطية والتي تتصل بحقول مجنون النفطية بجنوب العراق وتشرف على هذا المشروع شركات يابانية .

ـ مصادرة أكثر من ٦ آلاف هكتار من الأراضي الزراعية في مدينة الشوش وتمليكها للعسكريين الفرس من الحرس الثوري وقوات القدس والتي تسمى بمشروع استيطان رجال الدين في الشمال والشمال الشرقي لإقليم الأحواز وتم تسريب وثيقة ذلك المشروع وتسمى بوثيقة (سردار رشيد) وهو من كبار قادة الحرس الثوري و قوات القدس .

ـ إضافة إلى تهديم أحياء عربية بأكملها وتهجير الآلاف من الأحوازيين كسياسة منهجية لغرض قلب التركيبة السكانية مثل تهديم حي سبيدار في مدينة الأحواز سنة ١٩٩٨ م ، وتهجير أهالي هذا الحي ومعظمهم من الطبقة المسحوقة اقتصادياً .

بموازاة سياسة مصادرة الأراضي ، هنالك سياسة لا تقل شراسة وعنصرية يجري تنفيذها على قدم وساق ، وهي تحريف مجاري الأنهر الرئيسية في الأحواز مثل نهر كارون والكرخة والجراحي وأنهار أخرى، وسرقة المياه وضخها إلى المناطق المركزية الفارسية مثل أصفهان ويزد وكرمان لغرض الري في حين يتم حرمان المزارعين العرب من هذه المياه ومحاربتهم في قوتهم اليومي ولقمة العيش وكذلك افتعال السيول من خلال السدود التي تم إنشائها لهذا الغرض بشكل دوري، بغية تهديم البنية التحتية للقرى الأحوازية ، لغرض تسهيل عملية مصادرة الأراضي الزراعية وتهديم القرى والأرياف العربية في الأحواز .

كل هذا الغرض منه هو تهجير المزارعين من قراهم والتدمير المنهجي لاقتصادهم القروي وإلحاقهم بالضواحي المهمشة والذي يسمى (بحزام الفقر العربي) ومن ثم محاصرة المدن العربية بالمستوطنات الفارسية والمدن التي أنشئت لهذا الغرض وهي بالعشرات، مثل مستوطنات (شيرين شهر) جنوب مدينة الأحواز، وسط القرى التي تم تهديمها لغرض مشروع قصب السكر ومزارع الأسماك و تتسع لأكثر من تسعين ألف نسمة كخطوة أولى قابلة للاتساع ، وكذلك مدينة (رامين) العملاقة شمال مدينة الأحواز ،حيث تتسع لأكثر من مليون مستوطن فارسي من الوافدين الجدد إلى الإقليم .

ويتم تهميش (حزام الفقر العربي) بشكل مدروس ومخطط، حيث يتفشى الفقر والإدمان والجريمة وكل الإختلالات البنيوية على صعيد البنى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، والعيش على هامش المجتمع كإفراز طبيعي لهذه السياسات اللا إنسانية.

ومن أهم مضاعفات تلك السياسة هي الكوارث البيئية وتلوث المياه وزيادة نسبة الملوحة في الأراضي وتلوث البيئة وتفشي الأمراض المعدية،حيث ورد ذكر كل هذه المضاعفات بالتقرير الذي رفعه (ميلان كوتاري) مبعوث الأمم المتحدة إلى الإقليم قبل اقل من سنتين ، حيث وصف تلك السياسات بالكارثية بالنسبة للسكان الأصليين من عرب الأحواز.

تصاعد سياسة المصادرة والإستيطان:

أخذت هذه السياسات الإجرامية تتصاعد و تتسارع وتائرها خلال الخمسة عشر عاما الماضية وعلى الأخص بعد تسلم طاقم التكنوقراط صاحب الميول والتوجهات الفارسية من جماعة كوادر البناء أثناء رئاسة هاشمي رفسنجاني ومحمد خاتمي وبعد تسلمهم ملف التنمية في إيران ، حيث تمت مصادرة عشرات آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية الخصبة في مختلف مدن الأحواز ، ضمن الخطة المعروفة بالتوزيع الديموغرافي الإستيطاني

كما بلغت ذروتها ، أيضاً ، بعد تسلم احمدي نجاد و طاقمه من «جماعة الحجتية» خاصة بعد اندلاع انتفاضة ١٥ / نيسان / ٢٠٠٥ م ، وكعقاب جماعي للأحوازيين على شق عصا الطاعة ضد الاحتلال العسكري الإيراني ، والدليل على ذلك هو البدء في مصادرة ٣٠ ألف هكتار من الأراضي الزراعية في مدن الأحواز والخفاجية والهنديان (التميمية) ، حيث ورد ذكر هذه الخطة في التقييم الصادر من دائرة الثروة السمكية بالإقليم ، خلال الثماني سنوات الأخيرة .

وتنص هذه الخطة على :

- البدء في المرحلة الثانية من مشروع يبلغ ١٢٤٠٠ هكتار تحت عنوان «أزادكان أهواز» حيث تم مصادرة ٢٥ ألف هكتار في المرحلة الأولى من المشروع .
- البدء في مشروع يشمل ١٠ آلاف هكتار في مدينة الخفاجية .
- مشروع تربية الروبيان يشمل ٨ آلاف هكتار ، شرق و غرب نهر زهرة في مدينة الهنديان (التميمية) .
- إضافة إلى إنشاء موانئ في بحر كان الهنديان ونهر القصير في عبادان وغيرها من الموانئ ، والمعروف أن تلك الموانئ لا تخضع إلى سلطة ورقابة دائرة الموانئ ويتم استغلالها والاستفادة منها لغرض التهريب والالتفاف على القرارات الدولية ضد إيران في مجال حظر استيراد السلاح وغيره من قبل الحرس الثوري ، حيث تكتسب تلك الموانئ أهميتها لأنها تقع بالقرب من العراق والدول الخليجية .

أهداف هذه السياسات :

إنَّ وراء هذه السياسات المنهجية والبنيوية ضد الشعب العربي الأحوازي أهداف اقتصادية وأمنية وتاريخية وسياسية ، وبنظرة متفحصة على الخارطة السياسية لإيران ودول الجوار العربي ، سنلاحظ أنّ الأراضي التي تمت مصادرتها في الشمال الغربي والغرب والجنوب تقع بمحاذاة الحدود العراقية ودول الخليج العربي ، الغرض منها تسهيل عملية التدخل في الشؤون الداخلية لتلك الدول بعيداً عن عيون الأحوازيين وخلق بيئة ومنطقة عسكرية لوجستية تؤمن الحماية وتؤمن الإمداد الكافي للتدخل الإيراني المستمر في شؤون تلك الدول ، وكذلك إفراغ هذه المناطق التي يقع فيها اكبر مخزون وحقول النفط والغاز، من الأحوازيين ، كخطوة أولى وتمليكها للمستوطنين الفرس والوافدين الجدد كخطوة مستقبلية من أجل قلب التركيبة السكانية بالإقليم لصالح الفرس والحكومة المركزية حيث دأبت كل الحكومات الإيرانية المتعاقبة على هذه السياسة منذ تكوين الدولة أو بالأحرى الإمبراطورية الإيرانية الحديثة على يد رضا خان .

من ضمن هذه الأهداف أيضا هو تقطيع أوصال الشعب العربي الأحوازي، وعزله في تجمعات سكانية محاصرة ، في مدنه و قراه و مناطقه المختلفة وكذلك حرمانه من عمقه الإستراتيجي المتمثل بالوطن العربي كالعراق والخليج العربي ، وهذا ما يفسر اتساع دائرة سياسة مصادرة الأراضي والتهجير الجماعي و التي نصّت عليها الوثيقة التي تم تسريبها من مكتب خاتمي والتي سببت مع تراكم التناقضات والظروف الموضوعية انتفاضة ١٥ نيسان عام ٢٠٠٥ ، حيث سقط على أثرها مئات الشهداء والجرحى وتم اعتقال الآلاف وتنفيذ أحكام الإعدام بحق ١٢ شخصا لحد الآن ، والقائمة قابلة للازدياد . كما شملت هذه الخطة مناطق شمال الإقليم ووسطه وشرقه وجنوبه وهي الأخطر على الإطلاق والتي تم الكشف عنها بالوثيقة و التعميم تحت عنوان: مشروع أروندان الصناعي والتجاري في مدن المحمرة وعبادان والذي سيتم بموجبه تهجير مئات الآلاف من الأحوازيين العرب من مدنهم وقراهم التي تقع ضمن نطاق هذا المشروع الاستيطاني الكبير وسيتم تهديم عشرات القرى الأحوازية . ويضاف إلى ذلك تهجير أكثر من ٣٠٠٠٠٠ مواطن أحوازي من مدن وأرياف المحمرة وعبادان أثناء الحرب العراقية الإيرانية ولم يعودوا إلى قراهم التي هجروا منها بسبب تهديم البنية التحتية وغياب الخدمات ، وكذلك انتشار حقول الألغام في تلك المناطق وهي من مخلفات الحرب ، ولم تعمل الحكومة الإيرانية على تطهيرها لكي لا يعود العرب إلى قراهم من منفاهم بالمناطق الشمالية والمركزية في إيران .

في الختام لابد من التأكيد على أنَّ كل هذه السياسات الإجرامية وهي بالطبع من مصاديق التهجير الجماعي والتطهير العرقي والجرائم الكبرى التي يعاقب عليها القانون الدولي ، يتم تنفيذها أمام مرأى ومسمع الدول العربية والمجتمع الدولي حيث تتجاهل هذه الأطراف المأساة الأحوازية بدعوى أنها شان داخلي وهي ضمن مفهوم السيادة ، لكن المتتبع الحصيف لمجريات الأمور يلاحظ أنَّ الأحواز لم تكن يوما ما إيرانية ، بل هي أرض عربية محتلة بالقوة الغاشمة منذ ١٩٢٥ م ولحد الآن و الدليل الأبرز على ذلك هو الانتفاضات المتتالية لأبنائها العرب ضد الحكومات المتعاقبة على سدة الحكم في إيران ، وهي عبارة عن منطقة متنازع عليها بين سلطة الاحتلال الإيراني والشعب العربي ومقاومته الوطنية وهذا ما أجمعت عليه فصائله الوطنية بمختلف توجهاتها ومشاربها الفكرية ، ونشير هنا إلى ضرورة التدخل العربي والدولي بهذا الخصوص لكي يتم لجم هذا الغول الفارسي المتغطرس وإنقاذ الشعب العربي الأحوازي من سياسة التطهير العرقي ، والحد من التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية كيف ومتى يشاء تحت ذريعة الطائفية الصفوية تارة والحفاظ على المصالح الحيوية والأمن القومي الفارسي ، تارة أخرى والهدف من وراء ذلك هو الهيمنة والتي هي جزء لا يتجزأ من طبيعة وعقلية الفرس وتركيبتهم السيكولوجية ، رجال دين كانوا أو علمانيين»

لذا كان إنتهاج طريق مواجهة الذات الأحوازية الوطنية لهذا الواقع السياسي الذي يرمي إلى خلقه الفرس المحتلين ، وفق خطة عملية مدروسة ، مفروض بحكم التطورات الموضوعية التي تشهدها المنطقة الأحوازية المحتلة ، أي أنه خيار وليس اختيار . لاسيما وأنَّ تجربة «حزب الوفاق الإسلامي» الذي تأسس عام ١٩٩٨ قد أفرزت نتائج عامّة وهامّة على المستوى الذاتي الأحوازي ، من جهة أولى ، وعلى المستوى الفارسي الصفوي ، من جهة أخرى ، المحكوم في نطاق الصراع القومي المفروض على الطرفين بحكم مآلات وضعهما السياسي والإجتماعي ، وكان ضرورة إنتهاج العنف الثوري المنظم هو الخيار السياسي المفروض وليس الإختيار السياسي المتبوع .

لقد تناسلت التنظيمات الثورية التي تؤمن بطريق العنف من رحم تنظيم التجربة «الوفاقية الإسلامية» ، ففي حين بقي البعض المنضوي تحت روحية لواء «تجربة الوفاق» واقفاً يدور حول المنطلقات الفكرية والسياسية التي نشأ ذلك الحزب على ضوئها في لحظة تاريخية معينة من «تفجر الصراع السياسي» في الأحواز المحتلة ، أولاً ، ومهمة تبنّي أطروحة بناء المجتمع الأحوازي الموحد على أمل الإحتفاظ بما يمكن الإحتفاظ به من منجزات سياسية من دون ولوج طريق تطويرها المتناغم المتعاضد ، ثانياً ، و«المغانم المعنوية» التي إستطاع البعض العامل تحت لواء تحت تلك التجربة التنظيمية ، أنْ يراكمها من خلال إتصالاته بالسلطة السياسية الفارسية الصفوية القائمة التي تدير شؤون الإحتلال ومن خلال «علاقات دبقية لا تخفى معانيها على الأقربين من رفاق الأمس» ، ثالثاً ، هذا من الناحية الأولى .

في حين غادر البعض الآخر هذه «التجربة التنظيمية» بعدما تيقن أنَّ «الطرف الأقوى : وهو السلطة الفارسية الصفوية» في دائرة الصراع القومي الكلي الذي تشهده الساحة الأحوازية ، هو الذي يعمل جاهداً على الإستفادة من «الوجود السياسي الشكلي» لذلك التنظيم الذي فُرِّغَ من مضمونه السياسي وعمله الإستراتيجي .لهذا التنظيم خصوصاً ، لاسيما وأنْ العدو الفارسي قد تمكن من إخوانه وتجويفه من شحنة العمل الجدّي والفاعل التي كانت تثوي في خطوطه السياسية والتحريضية ، وفق قناعات العديد من قيادييه الأساسيين .

كان الخط السياسي الكفاحي للفقيد محمد النواصري - إلى جانب خيارات أخوته المصرّين على التواصل الكفاحي - هو خياره الذي فرض عليه تكتيك التسلل إلى خارج منطقة الأحواز ، واللجوء إلى هذا البلد الأوروبي : هولندا ، بعد أنْ كانت وجهته الأساسية الذهاب إلى المملكة البريطانية المتحدة لمواصلة دراسته الأكاديمية التخصصية في العلوم الإجتماعية ، والتفرغ لمسألة خدمة القضية الأحوازية ، ذلك البقاء في هذه الدولة جرّاء ملابسات لعبت المصادفات الدور الرئيس فيها ، لاسيما بعد ذلك الدور الريادي الذي لعبه الفقيد في الإنتفاضة الشعبية التي إندلعت بتاريخ (١٥ / ٤ / ٢٠٠٥) والتي نطق بإسمها في حديث عنها أدلى به الفقيد ، بإسم الصحفي محمد أحمدي من مكانه في الداخل الأحوازي ومع محطة «الجزيرة» القطرية التي إتصلت به يوم ١٨ / ٤ / ٢٠٠٥ فجاء فيها التالي الذي نبينه في الهامش رقم....

لم تثنِ عزيمته الجياشة أو تثنِي إرادة رفاقه المصرِّين على التواصل الكفاحي العقلية الفردية لبعض الأشخاص المتورمين بحب الذات التي تعتقد أنها تمتلك دروس تجربة «الوفاق الإسلامي؟» وبالتالي فرض القيمومة الشخصية على تراثها فلجأ إلى التباهي المفرط ببنيتها البنائية السابقة التي استنفدت أغراضها ـ كما هو اعتقادنا ـ بسبب موقف السلطة الفارسية منها والتدخل في شؤون المواطنين الأحوازية كلها ، وبالتالي صار هؤلاء المغرورون المتوهمون «بأدوارهم السابقة» هم الذات القيادية التي تتحاور بكل الخشونة العدوانية مع هذه الشخصية النضالية اللامعة : محمد ، وتسيء إلى ذلك الوجه الكفاحي المضيء .

على اِعتقاد يكمن مضمونه بشكل أساسي في تورم سياسي قائم على مفهوم النرجسية الذاتية المبنية على العصاب المرضي المفرط التي تتصور بأنَّ الآخرين سيكونون طوع يديها ورهن إشارتها ، مفترضةً في نفسها المفهوم الذاتي على قاعدة «الزعامة» المنتفخة بالرضى عن النفس والتغني بالذات الشخصية ، وهذه الإشارة موجهة ، أساساً ، إلى أولئك الذين يستمدون «قوتهم الخاصة والمفترضة» ـ كما يعتقدون ـ من اِتصالاتهم ببعض رموز السلطة الفارسية التي أتقنت لعبة توزيع الأدوار في ما بين قياداتها ، أولاً ، أو ، بالاِعتماد على القوى الدولية التي نصبت بعض الموالين لرؤيتها على «مراكز معنوية ومادية» في المؤسسات الدولية ، وتستطيع من خلالها فرض رؤيتها السياسية على البعض المخدوع فيهم أو المحتاج إليهم ، ثانياً .

إذاً ، كان طريقه / نهجه السياسي واضحٌ صادقٌ مع نفسه ومع الآخر . . . هو خيار النهج الثوري في مواجهة واقع مفروض ، وله في التجارب المماثلة ، فضلاً عن تجربته الخاصة ، وتجربة شعبه ، المعين الذي يغترف منه الدروس التاريخية القيمة ، تاركاً كل مغريات «الزعامة» الفارغة خلف ظهره وبعيداً عن تفكيره .

وإذاً ، أيضاً ، تم اِستخلاص الأداة التنظيمية بناءً على دروس عينية مستمدة من طبيعة الاِحتلال الذي يسعى لتفريس الأرض العربية ، وهذا التناقض بين الطرفين: المحتل للأرض ، من ناحية ، والممثل للوطن والمجتمع الأحوازيين ، من الناحية الأخرى ، هو تناقض موضوعي ، وهو الذي سيفرز ـ حتماً ـ تصور سياسي محدد يبين المسار الكفاحي المطلوب ، وذلك من خلال اِتخاذ العنف الثوري المنظم القائم على الجهاد المتعدد الأشكال الذي يأتي في مقدمتها الكفاح الشعبي المسلح باِعتباره خطاً رئيساً ، لأنَّ ذلك هو الخيار السياسي المفتوح لأي كفاح وطني جدي ، أما الكفاح الإصلاحي ، فإنه يوفر الفرصة ، أساساً ، للعدو المتحكم بالعملية السياسية والإدارية ، كي يمضي في تفريس الأرض ، وتشريد الشعب ، بناء على وعي سياسي مسبق ومشروع سياسي مخطط له ينفذ عبر سنوات مديدة .

دروس التجربة الفلسطينية مفيدة لمن يتطلع لاِستيعاب الدروس التاريخية للتجارب المماثلة على مستوى الصراعات أو النزاعات المتعددة المستويات ما بين المحتلين ، من جهة ، وأصحاب الأرض ، من جهة أخرى ، وعلى سبيل المثال، نورد الوضع السياسي للحالة الفلسطينية في المرحلة السياسية الراهنة ، كونها مسألة تتعلق باحتلال الأرض وتتعرض للتهويد ، وهو ما يتشابه وضعها مع الوضعية الأحوازية الحالية التي تتعرض أراضيها للمصادرة والتفريس ، إذ في أعقاب بحث قيادة منظمة التحرير الفلسطينية عن خط سياسي جديد ورئيسي ، جراء عجزها عن مواصلة الصراع المسلح مع الوجود الاِغتصابي الصهيوني ، ودخولها في نفق الاِتصالات مع العدو الذي صادر الأرض وشرد الشعب ، وذلك بناء على نصائح «عربية رسمية» ، كما نعتقد ، و«مطالب دولية : غربية بشكل رئيس ، على وجه التحديد» ، وتجاهل مضلل لإرادة الشعب الوطنية.

في سياق بحثها المضني عن الحلول التبسيطية لمعضلة الصراع التناحري حول طبيعة الأرض القومية ، ولمن ستؤول ملكيتها في نهاية الصراع الذي ينبغي استمراره طالما العدو يحتل الأرض ، من خلال «حل ما يسمى بالدولتين» أو «الفيدرالية» أو «الحكم الذاتي» ، فإنّ ما يسمى بتلك التجربة التفاوضية العملية الطويلة الأمد ، والمتنقلة في بقاع جغرافية متعددة وبعيدة عن مركز الصراع أي البعيدة عن نسبة القوى بين المتصراعين لدى طرفها الأضعف ، وربما تحت إشراف دولي في بعض الأحيان ، لم تأتِ بنتائج إيجابية ملموسة ، بل على العكس من ذلك تماماً فقد جلبت تلك السياسة ، المَزيد من استيطان الأرض ، ومصادرتها ، وبناء جدار يقسم أجزاء الوطن ، والإبعاد لبعض المناضلين الفلسطينيين ، والقتل اليومي للكثير من الكوادر المنتمية لبعض منظمات المقاومة الفلسطينية ، وغير ذلك من الوقائع المأساوية التي يمكن إيرادها مطولاً وبالاِعتماد على الأرقام المتوفرة لمن يريد أنْ يقرأ ويستوعب .

مع ملاحظة هامة يمكن إيرادها في هذه المناسبة ، من تلك الملاحظات التي تتعلق بمفهوم الصراع بين النقيضين التاريخيين ، وهي التي تتعلق بميزان مفردات الصراع بين القوتين على الأرض الفلسطينية : الغزاة للأرض والمدافعين عن أرض الآباء والأجيال الصاعدة ، والتي تتمحور حول نسبة القوى التي تميل لصالح موقف العدو الإسرائيلي ، التي تخوض لجّة الصراع على المستوى الفلسطيني ، أي بين العدوين الفلسطيني والصهيوني أو الأحوازي والفارسي ، من جهة أولى ، و«كم» و«نوع» المنظمات السياسية والدبلوماسية والوزن السياسي والمسلح الفاعل محلياً وعربياً وإقليمياً وحتى عالمياً ، على مستوى الحضور الفلسطيني في ميادين الصراع مع العدو الصهيوني مقارنة بالوضع الأحوازي ، إذ من المؤكد أنّ التجربة الأحوازية ، راهناً ، تفتقر إلى ما يماثلها على المستوى الفلسطيني ، من جهة ثانية ..

تحدث المناضل الفقيد محمد مطولاً عن رحلة الكفاح والمعاناة والممارسة ، وأتى على ذكر الأمثلة العملية التي ترافقت وتجربته السياسية والتنظيمية الخاصة ، مما لا يمكن ذكره في هذه المناسبة ، لأسباب تتعلق بالمناسبة وقدسيتها ، وكذلك لأسباب أمنية و«تراثية» ، ولكنني وفي نطاق التعمق في مسار تجربة التعرف على ظروف نشأة ظاهرة سياسية عينية تنطوي على دروس جوهرية وتاريخية ، وذلك من خلال التعرف على أبعاد تفصيلية حول «تجربة عملية محددة» ، أسهمتُ شخصياً بالقدر الذي أستطيع في دعمها وخدمتها ، كما أعتقد ، تناولت العديد من الزوايا التي ترتبط بـ«اشتقاق المهمات العملية» على ضوء الحقائق السياسية التي أفرزتها حقبة الصراع التاريخي بين النقيضين ، خصوصاً ذلك الذي لحظه الفقيد محمد حول إفرازات التناقض بين المعطيين القوميين في إيران : أحدهما مضطهِد والآخر مُضطهَد ، وبناء على تجربته السياسية والشخصية الخاصة والعامة من وجود تناقض موضوعي في لوحة الصراع ما بين الشعب العربي الأحوازي ، من جهة ، والمحتلين الفرس ببرنامجهم لتفريس الأرض ، من جهة أخرى ، لقد كان عرضه جديراً بالتطرق له ، ولكن الظرف الحالي لم يسمح بذلك ، وربما سيكون حديثاً مستفيضاً في وقت ما ، قادم إذا ما توفرت فرصة مناسبة .

المعتقلين طبعاً بالمئات ، أما بالنسبة لليوم فهنالك سبعة قتلى في منطقة الكورة ، كورة معشور .....



القسم الثالث

عينــات مــن الممارســات الفارســية الصفوية الإجراميــة الـتي تجاهلـها الأستـاذ محمد حسنين هيكل

القسم الثالث : عينات من الممارسات الفارسية الصفوية الإجرامية التي تجاهلها الأستاذ محمد حسنين هيكل

١- المقدمات الموضوعية والتاريخية التي أسهمت في صنع المجزة ، كما طرحها الشيخ شبير الخاقاني أمام الخميني وأمام بعض المسؤلين الإيرانيين:

وهذه المادة التوثيقية التي دونها ابن الشهيد شبير الخاقاني، الذي كان حاضراً تلك الجلستين ، ويبين مضمون تلك المحادثات وعدالة المطالب ووجاهتها من الناحيتين السياسية والاجتماعية ، وتبدو شهادة رئيس الحكومة الأسبق السيد مهدي بزركان : كم هي مطالب تاريخية ومنصفة ، ولكن «المفهوم الفارسي الصفوي» هو الذي تحكّم بالسلوك السياسي للقيادة الدينية والسياسية لما يسمى بالثورة الإسلامية.

***

ما قدمه الوالد من المطالب للسيد بازركان والسيد الخميني

بقلم الشيخ محمد كاظم الخاقاني

المطالب التي قدمّها المرحوم الوالد لكل من السيد مهدي بازركان : [رئيس الوزراء الأسبق الذي جاء في أعقاب نجاح التغيير] والسيد الخميني [المرشد الأعلى للقيادة الإيرانية والمتحكم الأساس في توجهاتها ومسارها آنذك] كانت على نحوين: منها ما كان يتعلق بحقوق الشعوب غير الفارسية ومنها ما كان يتعلق بتطبيق الشريعة والعدالة العامة على صعيد إيران عموماً ، أما ما كان يتعلق منها بحق الشعوب غير الفارسية ومنهم العرب في إقليم الأحواز ، وهذه المطالب هي التي تقدم بها أبناء الشعب العربي إلى المرحوم الوالد ، وهو تقدم بها إلى كل من السيد بازركان والسيد الخميني :

أولاً : أنْ تصبح المدارس من الابتدائية إلى الجامعات تدرس موادها باللغة العربية لأنها اللغة الأولى للشعب العربي التي يفهمها كما هو الحال بالنسبة إلى من يتكلم باللغة الفارسية فإن من حقه في بلاده أن يتكلم باللغة الفارسية ولا تفرض عليه أية لغة أخرى ، وما جاء الإسلام ليمنعه منها . ومن المعلوم لدى كل مسلم أن العربية هي لغة القرآن ، وفي ضمن ذلك تدرّس اللغة الفارسية في جميع المدن كلغة جامعة للتفاهم بين الشعوب جميعاً في المناطق التي هي غير فارسية كإقليم الأحواز وكردستان وأذربايجان وبلوجستان وغيرها من المناطق المتكلمة بغير اللغة الفارسية.

ثانياً: أنْ يكون القضاء لكل عربي أو غيره من الناطقين بغير اللغة الفارسية بلغته الأم حتى لا تغدر حقوق الشعوب لعدم إحاطتهم بالمراد تماماً ، ولعل البعض منهم عاش حياته ومات في القرى ، لم يفهم من اللغة الفارسية جملة واحدة ، فكيف تضيع حقوق القوميات بقضاء فارسي بما له من شؤون المحاماة وهؤلاء هم أكثر عدداً من القومية الفارسية ؟.

ثالثاً: أنْ يخصص من ثروات البلاد التي تعيش الفقر والحرمان ، وعاشته مدى عقود من الزمن في عهد النظام البهلوي ابناً وأباً ، عشرين بالمائة من عائدات النفط والغاز وما في البلاد من خيراتٍ أخرى أو على الأقل أنْ لا تخرج خيرات البلاد إلى غيرها كما صنع الرسول محمد ^، إلا بعد سدّ جميع حوائج الناس من أبناء إقليم الأحواز التي عاشت التمييز العنصري طيلة العقود الماضية وهي تمتلك أكبر رصيد من الخيرات في حين أنها لم تستفد منه شيئا.

رابعاً: أنْ تكون الأولوية في جميع الأعمال في إقليم الأحواز لأبناء الشعب العربي ، لا أنْ يؤتى بالأصفهاني والشيرازي وغيرهما ، ليعمل في البلاد على جميع الأصعدة من الرئاسة حتى العامل البسيط ، وأبناء الشعب يعيشون البطالة والفقر والحرمان ، والمتكلم منهم بحقه يُتّهم بالخيانة والعمالة ، فإما أن يموت فقراً أو يُقتل متهماً.

خامساً: أنْ يكون الحاكم في البلاد هو مَنْ ينتخبه الشعب بنفسه ، لا أن يفرض عليه بالقهر والجبروت من قبل الحكّام ، كما صنع رضا خان وابنه أو يؤتى إليه خداعاً بأراذل من هذا الشعب من بيعة الضمير والدين ، ليقال للعالم ها هو المسؤول في البلاد العربية هو من أبناء الشعب نفسه ، وهؤلاء المرتزقة الخونة هم أشد ضرراً على أبناء البلاد من أي متسلط آخر من بقية الشعوب ، لأنهم يحاولون بكل جهدٍ أن يخدموا أسيادهم وأن يظهروا لهم الولاء ، ومع شديد الأسف إن هذا ما يشاهد جلياً بعد حدوث الثورة من اختيار دولتكم لكثير من هؤلاء الأراذل وتسليطهم على البلاد في حين أن الرسول محمد ^ ما أسلم قومٌ وما فتح بلاداً، إلا وجعل عليها سادات القوم وأشرافهم من نفس تلك البلاد ، ولم يزل شعبنا يضج منذ هذه الثورة من جرائم الأميرال أحمد مدني ولا آذان صاغية لضجة هذا الشعب ومظلوميته أهكذا أمركم الإسلام؟ والحال أنَّ شكوى امرأة واحدة في زمن حكومة الإمام علي عليه السلام جاءته تشتكي ظلم واليه على البصرة ، فلما أثبتت ذلك ببينة ، عزل الإمام علي الوالي على الفور ثم بكى وقال: اللهم اشهد إني لم أولّهم ليظلموا عبادك.

سادساً: أنْ يحاسب كل من ارتكب جريمة بحق هذا الشعب وبقية الشعوب غير الفارسية بقضاء نزيه بعيداً عن روح الجبروت والعنصرية ، وأنْ يشرف على ذلك من له أهلية الإشراف على القضاء ، لأننا نشاهد ومع كل الأسف عودة الظلم والجور على هذه الشعوب ، بعناوين وألبسة أخرى ، وأن يعوّض من تضرر جرّاء هذه الأعمال ومن كان قد انتقل إلى جوار ربّه فعلى الحكومة أن تعوّض أهله وتعتذر إليهم.

ووجدت ها هنا من اللازم أن أشير إلى مطلبٍ وجدته من مهازل الدهر ، وهو ما أجده على بعض المواقع في حق رجلٍ عظيم كانَ قد ترك الدنيا بما فيها لمرضاة ربه وراح ليخاطب أبناءه وبني عمومته إنّي قد نصحت السيد الخميني أن يبتعد عن الحكم لكي نبقى نحن رجال الدين كآباء مرشدين فاعلموا يا أبنائي وبني عمومتي إن من دخل منكم مع هذا النظام أو غيّر ما كان يعمل من عملٍ قبل الثورة ليتقرب لهذه الدولة ، فلا يدخل بيتي بعد اليوم فإنّا ما وقفنا تلك المواقف وما عرّضنا بأنفسنا للأخطار لكي نستلم المناصب ، بل لنأمر بالحق وندعو إلى إقامة العدل فاحذروا من ذلك وابتعدوا من الدخول مع السلاطين ولذا أقول مرة ثانية إن من المهازل أنْ أقرأ أو أسمع أن الشيخ الخاقاني كان مرشحاً لرئاسة الجمهورية في إيران وهو القائل للسيد الخميني أيضاً حينما اتصل به وأراد منه أن يتولى القضاء في إقليم الأحواز إن رقبتي لا طاقة لها يوم الحساب لتحمّل مثل هذه المسؤوليات ، وجرى في هذا المقام حديثٌ سأذكره مفصلاً بإذن الله تعالى.

سابعاً: أنْ يرتبط كل إقليمٍ في ما يكون أمراً مشتركاً لوحدة البلاد بالمركز وتكون القضايا الخاصة يبتّ بها الصلحاء من أبناء الشعب بعد المشورة في مجلس شوراهم فهم أعرف بها وأحرص عليها من غيرهم وهذا هو ما كان جارياً في البلاد قبل مجيء رضا خان بالنسبة إلى الشعوب غير الفارسية لكن جعل رضا خان كل شيء تحت قدميه بجبروته وطغيانه ومن راجع قانون المشروطة الذي دوّن تحت إشراف علماء الدين ورجالات السياسة آنذاك ، أي في عهد السلطة القاجارية سيجد ذلك جلياً.

ثامنا : وأن يكون لأبناء الشعب العربي سهما مخصصا في البعثات الخارجية لإكمال الدراسات العليا وذلك لما في بلادهم من غزير الثروات والخيرات.

أما المطالب العامة:

فتلك هي المطالب التي طرحها المرحوم الوالد على السيد الخميني فقط بدون أن تكون محل بحث مع السيد مهدي بازركان رئيس الوزراء آنذاك وهي التي كانت ترتبط بأصل الثورة وما حصل من انحراف عن الشرع القويم في إيران باسم الدين.

فإما المطلب الأول فهو العفو العام : لأنه منهج الرسول ﷺ وأهل بيته الكرام وقد جسّد ذلك الرسول محمد ﷺ بسيرته في فتح مكة على الرغم مما ارتكبته قريش مخاطباً القوم قائلاً اذهبوا فأنتم الطلقاء وكرّر هذه السيرة اقتداء برسول الله ﷺ الإمام علي عليه السلام في فتح البصرة حينما عفا عن الجميع حتى عن قادة الجيش كعبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم وغيرهما ، ما بال هذه الثورة يُعدم فيها في كل يومٍ العديد من مسؤولي النظام السابق ، حتى وصل الأمر إلى الجندي والشرطي.

المطلب الثاني: الذي اعترض عليه الوالد هو مصادرة أموال المتهمين وقطع رواتبهم في حين أن الرسول ﷺ لم يصادر أموال قريش ولا غيرهم ، على الرغم من أنهم كانوا قد صادروا أموال المسلمين وكذلك هي سيرة الإمام علي عليه السلام فإنه لم يصادر مالاً من أموال من قاتلوه في البصرة بل قال : (من أخذ درهماً من أحد أقمت عليه حدّ الله).

المطلب الثالث : تعرّض فيه الوالد لمسألة القضاء وقال يجب أن يكون القضاء بيد الفقهاء المجتهدين لا بيد كل من هبّ ودب حتى راح ليقع القضاء بيد بعض المجرمين كالشيخ الخلخالي ونظائره من الجناة ، وأنه يجب أن يكون للمتهم مَنْ يُدافع عنه ، لأنه قد لا يكون عارفاً بالقوانين فيحتاج إلى المحامين ، وهذا كله مع الأسف مفقود في محاكم الثورة ، بل حتى لا يفسح المجال فيه للمتهم أن يحضر الشهود للدفاع عن نفسه ، وكم من محكمة أقيمت وحكم فيها بالإعدام على الشخص ما كانت لتستغرق من بدايتها حتى نهايتها نصف ساعة، والكثير من الناس أعدموا بلا محكمة باتباع الهوى وصودرت أموالهم كذلك.

المطلب الرابع: الاعتراض على كثير من الرجالات الذين كانوا آنذاك على رأس الحكم وهم ما كانوا أهلاً لذلك وذكر الوالد على سبيل المثال للسيد الخميني الأميرال أحمد مدني والسيد أمير عباس انتظام وعدداً آخر من أشباههم من الذين عاثوا في الأرض الفساد.

المطلب الخامس: الذي اعترض عليه الوالد أنه قال: يجب أن لا تعنونون الأمور التي تجري في إيران بعنوان الحكومة الإسلامية بل يجب أن نقول: إنا جئنا نسعى بقدر الإمكان لتحقيق العدل ودفع الظلم حتى لا ينسب كل ما يرتكب من الأخطاء إلى الشرع الإسلامي القويم الذي هو عين الحق والعدل ، فأين نحن من هذا المستوى الرفيع حتى ندّعي بأن ما نقوم به ونفعله هو شرع الله تعالى ؟ .

المطلب السادس: قال فيه الوالد للسيد الخميني إنه ليس بخفي عليكم الظلم الذي عاشته الناس على أيدي النظام السابق وبالأخص ما عاشته الشعوب غير الفارسية من الظلم والفقر والاضطهاد وعلى رأسهم الشعب العربي في بلادنا لما كان عليه النظام السابق من العنصرية التي دفعت به أن يظلم شعبنا العربي ظلماً مضاعفا ويستهين من كرامته ، فإذن أقول لابد من إعطاء جميع القوميات سواء العرب أو الأتراك أو الأكراد أو البلوش أو التركمان أو غيرهم جميع حقوقهم كما وأنه لابد من مراعاة حقوق الأقليات المذهبية كاليهود والنصارى والصابئة وغيرهم ، كما وأنه لابد من النظر بعين الاعتبار للحريات التي كانت مكبوتة بكل قسوة وعنف على عهد النظام السابق وعليه فلابد أن تكون للصحافة والإعلام حرية بما تتماشى مع روح الإسلام ما لم تبلغ الحرية عدواناً على الآخرين.

المطلب السابع: تعرّض فيه الوالد لحرس الثورة وغيره من اللجان الأخرى معترضا على كثير من أعمالهم ، وما كانوا يقومون به من نهب وسلب و إرعاب وقتل باسم الدين.

المطلب الثامن: أشار فيه الوالد لمسألة تصدير الثورة إلى الخارج التي أصبحت الشغل الشاغل لكافة وسائل الإعلام وكثير من الخطباء والمبلغين بعد الثورة فقال الوالد معترضاً على ذلك مخاطباً السيد الخميني أن هذه الطريقة بالتعامل مع الآخرين المبنية على التحدي والاستفزاز لا أظنها تعود بخير ونفع على أحد ولو كنّا حقاً نريد تصدير معالم الرسالة المحمدية إلى الخارج فعلينا أن نحقق العدل وموجبات الإحسان والرفاه للمجتمع في الداخل حتى يعيش الناس جميعاً على اختلاف قومياتهم وطبقاتهم ومذاهبهم الإخاء ثم نفتح الأبواب لكل قادم ليشاهد بنفسه آثار العدل والإحسان فإن بذلك سيصبح كل قادم إلى إيران صحفياً وداعية في الخارج يحمل إلى أهله وبلده معالم الرسالة بعدلها وإحسانها ، وهذا هو ما سيكون دافعاً وباعثاً لتقتدي به بقية الشعوب الإسلامية وغيرها في العالم ، وأما ما يجري الآن من عنوان تصدير الثورة إلى الخارج فهو الاستفزاز بعينه لخلق الأعداء والوقوع في متاهاتٍ لا يستحسن عقباها.

المطلب التاسع: تعرّض فيه الوالد لمسألة نزاع الدولتين الإيرانية والعراقية على شط العرب وبعض المناطق الحدودية الأخرى ، وقال مخاطباً السيد الخميني إنه قد بلغني من عين صافية مقربة منكم أن هناك الكثير من بطانتكم تسهّل عليكم الأمر بل وربما راحت لترغبكم في الحرب ، من أنه لو وقعت بينكم وبين العراق حرب لكون أغلبية سكان العراق من الشيعة فسيسقط العراق في غضون أيام بأيديكم فأقول لكم : إنَّ النزاع بين الطرفين إنْ لم يُحل بالطرق السلمية أو بطرحه على المحاكم العالمية ، فإنه ربما يؤدي إلى حربٍ تأكل الأخضر واليابس.

المطلب العاشر: تعرّض فيه الوالد لمسألة شورى الفقهاء وقال : لابد من مشورة رجال الدين وأهل الاختصاص والمعرفة في جميع ما يرجع إلى شرع الله تعالى وكيفية تطبيقه في الخارج كحكومة حتى لا تجري الأمور بمجاري الاستبداد، ثم قال للسيد الخميني : إنكم لتعلمون علم اليقين أن من راح ليطلق عليه اسم الفقهاء في مجلس الخبراء ليسوا بفقهاء ولا بمراجع دين بل أقول أكثر من ذلك أن أكثرهم لا معرفة له بشرع الله و إن الكثير منهم هو من الخطباء لا العلماء وأغلبهم ممن يرجع إليكم بالتقليد فكيف جاز أن يصبح هؤلاء بديلا عن مراجع الشيعة وعلماء المسلمين.

هذه المطالب هي ما أسعفتني بها الذاكرة من حقوق الشعوب غير الفارسية بعد أكثر من ثلاثة عقود من الزمن.وإنه من بعد ما تم بيان الوالد لهذه المطالب كان موقف السيد مهدي بازركان يختلف عن موقف السيد الخميني.

أما السيد بازركان فقال مخاطبا الوالد شيخنا آية الله الخاقاني أنا لست من أصحاب القرار بل أقول ليس بيدي من الأمر شيء ونحن شيخنا من حضرتكم وأمثالكم نتعلم مناهج ديننا وكيف يناقش أو يعترض مثلي على حضرتكم لكني أقول بحسب الظن والتخمين أن بعض هذه المطالب سترَدّ بكل قوة وشدة من قبل بعض أصحاب القرار لما أعرف من بواطنهم وبالأخص ما كان منها يرتبط باللغة العربية فإنهم لا يطيقون سماع ذلك أبداً.

ثم اعتذر السيد بازركان عمّا كان قد بدر من أمير عباس انتظام بأعذار ، وكذلك اعتذر أمير انتظام عن نفسه وليس هاهنا محل بيان ما قيل في هذا المَقام ، ولا ننسى أن الجلسة التي كانت بين الوالد والسيد مهدي بازركان رئيس الوزراء آنذاك وكثير من وزرائه عقدت في المحمرة في بيت الوالد.

وأما السيد الخميني فقد كانت الجلسة معه محاطة بكثير من الغضب من جهة الوالد رحمه الله حيث كان يرى السيد الخميني هو الكل في الكل والمسؤول عن كل شيء بخلاف السيد بازركان وقد كانت دواعي الغضب لشدة ما كان متأثراً منه الوالد من أمور كانت تجري باسم الدين وهي لا تمتّ بأي صلة بشرع الله تعالى ومذهب أهل البيت عليهم السلام ، لكن على العكس من موقف الوالد وغضبه في تلك الجلسة ، كان السيد الخميني طيلة الجلسة مبتسماً يحاول بشتى الطرق أن يهدّيء من غضب الوالد ويظهر له أني تحت أمركم ، حتى قال في ضمن كلامه : شيخنا أنت المرجع وأنا طالب بين يديك ، تأمر فأمتثل ، وقال السيد الخميني في ختام الجلسة مخاطباً الوالد : شيخنا إن جميع ما قلته وشرحته من المطالب هو عين الصواب والشرع والعقل وبإذن الله تعالى سوف يتحقق جميع ما طرحتموه من المطالب وسأبادر إلى ذلك بأسرع وقت ممكن وإنّ صحتكم شيخنا تهمنا بما لكم من المكانة العلمية والمواقف المشرفة قبل الثورة وبعدها.

هكذا أيها الأخوة والأخوات ختمت الجلسة بين السيد الخميني والوالد وما ناقش السيد أبداً أياً من المطالب التي قدّمها له الوالد لا ما كان يرتبط بحقوق الشعوب غير الفارسية من العرب وغيرهم ، ولا ما كان يرتبط بالقضايا العامة ، كالقضاء والإعدامات وغيرهما مما ذكرته مفصلاً في المقالة المسماة بالإطلالة على الثورة في إيران والتي نشرت على موقعي الشخصي ، لكن من المؤسف أنَّ ما تحقق بعد ذلك كان يخالف تماماً ما تضمنته الجلسة إجمالاً وتفصيلاً.

وفي الختام قال الوالد للسيد الخميني : إنْ كنت قاصداً حفظ إيران فبالعدالة تُحفظ ، لا بالظلم والاستبداد ، وإنَّ العدو سيصبح صديقاً إن وُجد العدل والإحسان ، وإن ابنك سيلتجئ إلى عدوك ، إنْ عاش معك الظلم والعدوان.

وإني لأقول إن من المؤسف جداً أن يكون رضا خان البهلوي مظهراً لكل جريمة واستبداد في كل ما قام به وأنه كان عميلاً لبريطانيا بمنظار أصحاب القرار في إيران إلا فيما كان يرتبط بحقوق القوميات غير الفارسية التي سحقها تحت قدميه وهي كانت ثابتة في الدستور المدوّن في المشروطة حيث أن القادة في إيران ساروا على مساره في ضياع الحقوق وهم ينسبون إلى الإسلام.

كما وأنه من المؤسف أن نسمع بين آونة وأخرى من القائمين على الحكم في إيران ومن جملتهم من هو من رجال الدين كالشيخ الرفسنجاني ممن هو غير مختش ولا مبال بحقائق التأريخ وما هو من الثوابت التي لا ريب فيها من أنَّ اسم كثير من بلدان بلادنا التي قد غيّر اسمها رضا خان من المحمرة مثلاً إلى خرمشهر ومن عبادان إلى آبادان ومن الفلاحية أو الدورق إلى شادگان ، نشاهده وهو يقول على رؤوس الأشهاد : إنّ هذه الأسماء إنما افتعلها النظام العراقي.

والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين.

محمد كاظم آل شبير الخاقاني

٢ - قصة المجزرة التي أقدم على ارتكابها مجرم الحرب «أحمد مدني»في الأحواز يوم الأربعاء السوداء:



الاسم : أحمد مدني
مواليد : ١٩٢٩ م.
مكان الولادة : كرمان الإيرانية.

مما لا شك فيه أنَّ عماد أي نظام سياسي في أية دولة، هوالقوات المسلحة بما فيها المؤسسات الأمنية، وشكل الجيش الشاهنشاهي الذي هوخامس جيش عالمي، كما قيل آنذاك، عماد القوة العسكرية الإيرانية، كان يتباهى الشاه الإيراني المقبور أمام ضيوفه بدوره في الداخل والخارج ، مثلما كان يتغطرس بها أمام أبناء شعبنا من كل القوميات، ويقمع كل المعترضين على العنصرية الفارسية من خلالها، أوالتهديد بها من خلال رفع العصى بوجه كل القوميات عبر الإجتياح الشامل والهجوم الشرس لمختلف المناطق الإيرانية، هذا من ناحية، كما شكلت مؤسسة السافاك القمعية، التي هي جهاز الأمني القمعي الأكبر في البلاد، الذراع الثاني لماكنته القمعية، تتصرف على ضوء ما هو ممنوح لها من صلاحيات و أموال مخصصة ، كانت في حقيقتها العملية عبارة عن «دولة داخل دولة»، من ناحية ثانية. لقد شكل هذان الجناحان القوة الحقيقية المسيرة للدولة الإيرانية على المستويات الداخلية والخارجية.

وكـان الجـيش الإيرانـي، كمـا بينتـه التجربـة اللاحقـة، يخضـع فـي قراراتـه الإسـتراتيجية الأساسـية لسـلطة الدولـة الإمبرياليـة الكبـرى التـي كانـت تحتـل كـل المواقع الأساسية فـي تركيبـة السلطات الأساسية للنظام السياسي الإيرانـي، بشكل غير مباشر ، وهي الولايات المتحدة الأمريكية، إذ هـي التـي منعت كل الجنرالات المسيطرين علـى الجيش مـن تنفيذ الأوامـر التـي أصـدرها شـاه إيـران، وأضـطر لمغادرة إيران جراء هذا العصيان، لينفرط الضبط والربط فـي مؤسسات الجيش الشاهنشاهي، إذا لـم تـتلاءم مـع مصـالحها الإسـتراتيجية، وعلـى أمـل تجميـع قـواه الأساسية من أجل التغيير لصـالح نظـام ليبرالـي ذي توجـه أمريكـي، ويتلـو ذلـك التغيير حكومتي مهدي بزركان وأبوالحسن بني صدر، قبل أنْ يسفر التيار الديني المتشدد عن وجهه، ويمسك بقبضته الشمولية الكبرى كل المفاصل الأساسية للدولة والنظام، ويطبق برامجه السياسية علي مختلف الصُعد، مستغلاً ظروف الحرب العراقية الإيرانية لتهميش الجيش الذي قد يحتل موقعاً متميزاً في دائرة تلك الحرب القائمـة والمسـتعرة آنـذاك والتـي اسـتمرت ثمانيـة أعـوام ١٩٨٠ ـ ١٩٨٨ لتتـرك بصماتها الأساسية علي الجيش الإيراني، لجهة تحجيم دوره السياسي والعملي في رسم المعالم الأساسية للمستقبل الإيراني .

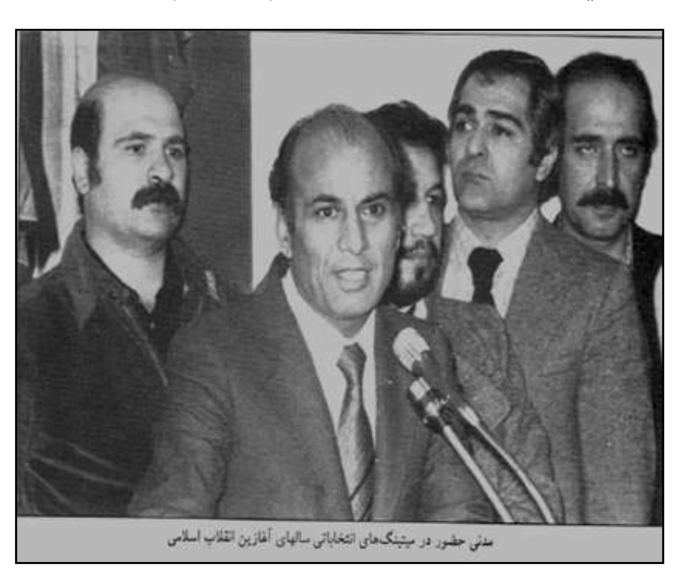
كان الجنرال مدني أحد أولئك الجنرالات العملاء فـي ذلـك الجيش، والذي كـان يتبوأ مركزاً مهماً في إطار ذلك التغيير، الذي نجم عن الثورة الشعبية الكبيرة فـي إيران . كان بعيداً عن المكان الذي يستطيع من خلالـه التحكم بالأحداث المفصلية لإيران، على المستوى السياسي وفق المنظور الأمريكي، ولكنـه تمكن من خـلال موقعـه العسكري الجديد، توجيـه نشاطه القمعـي الفاشـي الغـادر ضـد أبنـاء شـعبنا العربي الأحوازي، مما سنتعرض له تفصيلياً في الصفحات التالية .

وفي الحقيقة إنّ عمله العسكري القمعي ذاك كان هو الترجمة الأمينـة للعنصـرية الفارسـية التـي نشـأ فـي أجوائهـا وتشـرب معانيهـا فـي زمـن نظـام الشـاه الفارسـي العنصري السابق . ونقوم عبر هذا الملف تقديم صـورة عمليـة وأمينـة وموثقـة عن هذا الجنـرال وسـلوكه القـومي العنصـري ضـد الأبريـاء العـرب مـن أبنـاء شـعبنا المجاهد ممن طالبوا بحقوقهم القومية المشروعة ، متصورين أنَّ مـا يسـمى بالنظـام الإسلامي الجديد ، القادم على أثر تلك الثورة الشعبية التـي شـارك فيهـا المجمـوع المنـاهض لسياسـة الشـاه العميـل ، اِحتـوى تغييـراً جـذرياً سيصـب لصـالح كـل القوميات التي تكون المجتمع الإيراني .

كانت المجازر التي اُرتكبت ضد أبناء شعنا قد تزامنت مـع المجـازر المرتكبـة بحق أبناء الشعب الكردي، ولكن الأضواء الإعلامية تركزت علـى الأكـراد، جرّاء ظروف عديدة، من دون أنْ تشمل بوهجها الإعلامي ـ وليس الدعائي ـ قضية شعبنا الأحوازي البطل المجاهد .

نُبْذة عن حياة مدني ومن ثم إطلالة على المجزرة وموعدها:

ـ درس المجرم أحمد مدني في المدرسة الإبتدائية والمدرسة المتوسطة في كرمان، وفي عام ١٩٤٧م حصل على شهادة الثانوية العامة، ومن ثم انتقل إلى طهران : العاصمة الإيرانية، للدراسة في الجامعة ، منضمًّا إلى كلية الحقوق، حيث درس لمدة سنتين فقط، إذ وجد في نفسه ميلاً للعنف فابتعد عن ميدان همومه الرئيسة تتعلق بقيم العدالة ، وانخرط في سلك القسم العسكري، فترك دراسته في ذلك المجال الحقوقي ، ليلتحق بالمجال العسكري البحري[١].



مدني حضور در میتینگ‌های انتخاباتی سالهای آغازین انقلاب اسلامی

في عام ١٩٤٩م انتهى إيفاده إلى المملكة المتحدة، عندما أنهى تخصصه في كلية العلوم البحرية البريطانية، فعاد إلى إيران، فعُيِنَ ضابطاً في المجال البحري بمنطقة الأحواز العربية : (محافظة عربستان) ، وكانت له أدوار سياسية مهمة في فترة حكم الشاه المقبور، محمد رضا بهلوي، واتضحت بدايات أدواره المخاتلة، المزدوجة إبّان ثورة الشهيد محمد مصدّق عام ١٩٥٢، التي لم يسعفها الوقت للقيام بعملية تطهير لمؤسسة الجيش من العناصر العميلة ، وبذلك أتيحت الفرصة لكي يلعبَ «دوراً مزدوجاً» في تعامله مع ثورة الدكتور محمد مصدَّق الوطنية، في الوقت الذي حرصَ على تعميق اتصالاته السرية بمندوبي المخابرات الأمريكية، السي آي أيه، «C I A» [٢] .

ـ في عام ١٩٧٩ عندما نجحت الثورة الإيرانية الجديدة، جراء الاصطفاف الوطني الشعبي بقيادة الإمام الراحل روح الله الموسوي الخميني الذي تكتم على أطروحاته السياسية الحقيقية ، والذي قام بتعيين المرحوم مهدي بزركان، بمنصب رئيس الدولة الإيرانية المؤقتة، مثلما اختار الأخير أحمد مدني قائداً للقوات البحرية الإيرانية برتبة أدميرال بحري، نظراً لأهمية المنطقة من الناحية البترولية.

---

(١)كتاب نيمه بنهان .
(٢)نفس المصدر.

في نفس تلك الفترة، أقدم السيد مهدي بزركان على تعيينه وزيراً للدفاع، في أعقاب تعيينه الأول . ولكن الوزير الجديد تخلى عن منصبه بعد شهرين فقط من توليه من منصبه الجديد، ربما كان الابتعاد عن أضواء الوزارة أحد الأسباب، بذريعة أنّه لا يستطيع تحمل مسؤولية العملين أو الوظيفتين[١]، لذا اكتفى بمنصب الأدميرال البحري لأنه يتلاءم مع الخشونة التي تأتلف وروحية القتل التي تشكل هوايته، وتتناسب مع الأدوار المُقبلة التي يتطلع إلي تنفيذها الجنرال أحمد مدني، في حال عدم تمكنه من الإرتداد بالوضع السياسي إلى سابق عهده عبر التعليمات الأمريكية .

ـ بتاريخ ١٩٧٩/٤/١٠ المشؤوم عُيَنَ المدني رئيساً لمحافظة عربستان (الأحواز)، لتبدأ مرحلة أخرى من الصراع بين أهل الحق الوطني الأحوازي من جهة ورموز العهد الشاهنشاهي المعمم ، والقوة القمعية المدججة بأنواع الأسلحة ، من جهة أخرى ومن الجدير ذكره، أنَّ أحمد مدني كان محسوباً على القوميين الفرس العنصريين، ممن لا يؤمنون بالمساواة بين المواطنين، ولا يؤمنون بحقوق القوميات الأخرى، وحق الشعوب المختلفة في إدارة شؤونها الحياتية الخاصة، التي تعيش ضمن الخريطة الاجتماعية الإيرانية جراء ظروف سياسية متباينة، ولذلك كان يحِّسُ بخطر مطالبة القوميات الإيرانية (الأتراك، الأكراد، العرب، وغيرهم) بحقوقهم المشروعة على «الأمة الفارسية» المسيطرة، الأمر الذي يكشف عن محتوى الإيمان الإسلامي لتلك الثورة الإيرانية، ولذلك اِختير الجنرال أحمد مدني لإدارة محافظة (عربستان) ـ الأحواز ـ لما كان للعرب من دور بارز وحسّاس في نجاح الثورة الإيرانية وتبلور وعي ثوارهم في أهمية دورهم السياسي، وكذلك، بسبب موقع أرضهم الإستراتيجية في إيران، وبعد ذلك حاول لعب دوره السياسي في (الأحواز) أن يسيطر على رئاسة محافظة كردستان أيضاً، كي يهيمن على أوضاع هاتين القوميتين (العرب والأكراد)، ولكي يعيد إنتاج السياسة الشاهنشاه هبه بشكل أكثر ضراوة وأبشع صورة، ولكن كان هنالك من الموانع ما لم يحسب له حسابٍ، فقد أثَّرَ تطور الوعي السياسي للثوار الأحوازيين والأحزاب والشخصيات الدينية للشعب الكردي على مسار التطورات كلها ، وجراء الظرف السياسي والإجتماعي الثوريين، والطموحات السياسية للشخصية المحورية في التطورات القائمة آنذاك التي تتجسد بالدكتور محمد حسين بهشتي ووعيه بالأوضاع السياسية الإيرانية، الأمر الذي حدَّ من الطموحات الذاتية للجنرال أحمد مدني، كون بهشتي محسوب على ما يسمى بـ«الجناح الثوري» في قيادة تلك الثورة وأقرب أصدقاء مرجع الثوار المتزمتين دينياً الخميني، وأحد الموثوقين السياسيين بالنسبة لديه. إنَّ مجموع تلك الأسباب هي التي منعت وصول مدني إلى كردستان في إيران ، وبالتالي، نجاحه بالسيطرة السياسية والأمنية عليها، لذلك اِستقر وضع أحمد مدني فقط في محافظة عربستان (الأحواز) [٢].

(١)نفس المصدر.
(٢)نفس المصدر.

المجزرة التي قام بها مدني في عبَّادان والمُحمرَّة:

لقد وقعت المجزرة في يوم الأربعاء ١٩٧٩/٥/٣٠م في المحمرة وعبادان وسميَّ هذا اليوم، أو المجزرة، باسم (مجزرة الأربعاء السوداء)، وقد تمت بدايات الخيوط الأولى لهذه المجزرة بالعدوان الإقتحامي على المركز الثقافي العربي، والمنظمة السياسية للشعب العربي في محافظة عربستان (الأحواز)، واستمَّرت متواصلة لمدة ثلاثة أيام على التوالي، الأربعاء والخميس والجمعة بتاريخ ٣٠ - ٣١ من الشهر الخامس (أيار)، والأول من شهر حزيران من عام ١٩٧٩، وقد قُتِلَ في هذه المجزرة، وبأمر الأدميرال، والمحافظ أحمد مدني، أكثر من ٣٠٠ شخصاً، وأصيب المئات من الجرحى الذين تصادف وجودهم بين، أو بالقرب، من المُحتجِّين، وشملت الاعتقالات العشوائية أكثر من ٥٠٠ مواطن، ناهيك عن المفقودين، كما أُعدِمَ في مدينة المحمرة عشرات المواطنين العرب رمياً بالرصاص فوراً، أو بعد إصدار الأحكام الشكلية العاجلة بحق المناضلين الأحوازيين، وفي أعقاب محاكمات سرِّية لم تتوفر بها أي شروط الحد الأدنى للمحاكم العادلة أو التي تتناسب مع التعليمات والقيم الإسلامية ، وهم ممن لم يرتكبوا أية جناية بحق البشر أو أفراد السلطات أو حملهم للسلاح، وكذلك لم تتوفر أي فرص للمواطنين للدفاع عن أنفسهم .



المظاهرات العربستانية الاحتجاجية التي خرجت تنديدا بالمجزرة في المحمرة وعبادان:

لقد دفع أبناء الشعب العربي الذين يقطنون الأحواز، ثمنا باهظاً جرّاء السياسة القومية العنصرية الفارسية بشخص الحاكم أحمد مدني وأعوانه ورعونة ما يسمون بالثوار الفرس وأزلام النظام «الجديد»، إذ كان للشعب العربي الأحوازي دورٌ كبيرٌ، وأساسي كذلك، في الإطاحة بحكم الدكتاتور الفارسي : محمد رضا بهلوي، شاه إيران، جنباً إلى جنب الشعوب الإيرانية المختلفة، من فرس وترك وكرد وبلوش و. . . إلخ . ومعلوم، أنَّ القوميات قد عانت صنوف الاضطهاد والعذاب والتهميش والتهجير القسري خلال مراحل حكم أسرته الباغية الظالمة، وتلقى عشرات الطلائع منها أحكام الإعدام والسجون المديدة والأعوام الطويلة الأجل.

كانت تلك القوميات تطمح بحياة حرة قائمة على التمتع بالكرامة البشرية، في ظل رايات الثورة الإيرانية الجديدة التي أسهموا في نجاحها، وكان العرب كقومية، يتمتعون بخصوصية كون أرضهم مليئة بالخيرات الزراعية والثروات المائية، وتضم أجواف تلك الأرض الذهب الأسود، بالإضافة إلى الغاز الطبيعي، والتربة الصالحة للزراعة ولإنتاج المحاصيل المختلفة. . . إلخ . ولكن الصدمة فاجأت الشعب العربي الأحوازي، إذ بدأت بوادر سياسة النظام الجديدة تتضح سريعاً، وخطواته الظالمة تلوح في الأفق، التي لم يكن يتوقعها أحدٌ منهم أبداً.

وكان أول مَنْ كشف الحقائق السياسية المريرة لنزعات حكام إيران الجُدد، ما نتج من ملامح سياسية ظالمة، نجمت بشكل واضح في أعقاب اللقاء الذي جرى خلال الأيام الأولْ لإنتصار الثورة، بين المتنفذ في شؤونها السياسية وقائدها الأساس، ما يسمى بآية الله روح الله الخميني، من جهة، وبين الوفد السياسي للشعب الأحوازي الذي توجه إلي طهران لطرح مطالب المنطقة العربية، من جهة أخرى، إذ لم ترق للقيادة الإيرانية ما كانت تطالب به قوميات الشعوب الإيرانية الأخرى (كالأكراد، الأتراك، البلوش) الذين كانوا يطرحون مطالبهم السياسية آنذاك، والتي تتلخص بالحكم الذاتي، ويشترطون بكونه حكماً ذاتياً كاملاً غير منقوص .



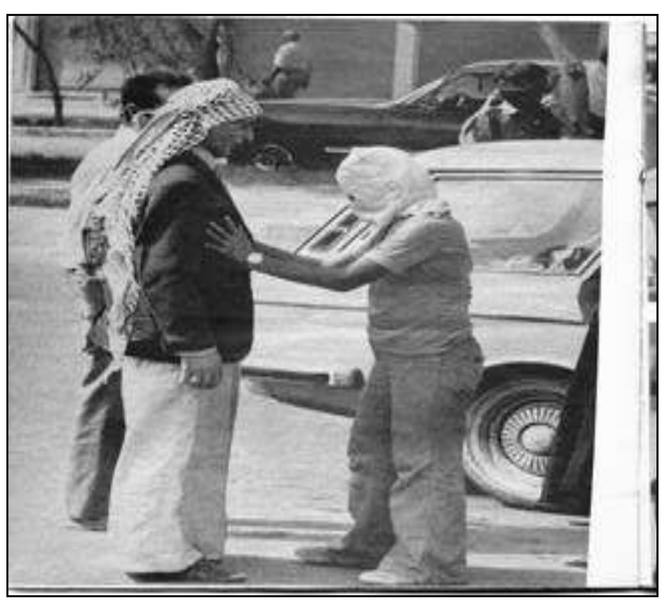
المقاومة التي أبداها الأهالي والأطفال في عر بستان ضد العنجهية الفارسية الإيرانية في ١٩٧٩ م

تجدر الإشارة أيضاً، إلى أنَّ الشعب العربي في الأحواز رشَّحَ ثلاثين شخصاً لكي يشاركوا بالوفد الوطني الأحوازي، و بالتالي، الذهاب إلى العاصمة الإيرانية ـ طهران ـ بغية التحدث إلى الخميني هناك، وتقديم مطالبهم السياسية المشروعة في ذلك الظرف السياسي الدقيق مراعين الوضع السياسي القائم آنذاك، وكان يقود الوفد الزعيم الروحي للعرب، الذي يتخذ من مدينة المحمرة مقراً سكنياً له، وهو الشيخ آية الله الشبير الخاقاني، والذي يُعَّدُّ من كبار المراجع الفكرية الدينية، وله مؤلفات متعددة وأبحاث كثيرة، في المسائل الفقهية وميدان الفلسفة، ولعل من أشهر كتبه : «نقد المذهب التجريبي»، وكان في الوقت نفسه زعيماً سياسياً وروحياً للعرب والفرس ممن يسكنون في الأحواز على حدٍّ سواء، وكان يشغل المركز التمثيلي للخميني في مدينة المحمرة، في الأيام الأولى للثورة، فنشر توجه الوفد العربي برئاسة آية الله الخاقاني نوعاً من الأمل لدي نفوس أبناء الشعب، وأشاع الأماني السياسية بالعدل والإنصاف الذي راود آمال الشعب العربي المحروم من أبسط حقوقه السياسية المدنية خلال عهد الشاه، الذي أسقطته الجماهير الإيرانية بمختلف قومياته وتكويناته[١].

خصوصاً، أنَّ الشعب العربي، وطلائعه الواعية، والمتعددة، قد تمكنت من إقامة المؤسسات السياسية، والمراكز الثقافية، خلال أيام الثورة، وفي هذا الإقليم، مثلما شهدت هذه المؤسسات والمراكز نمواً ملحوظاً وسَّعَ من قاعدتها الإِجتماعية، تبلورت عند كافة قطاعات الشعب، وفي كلِّ أنحاء المحافظة، وعلى ضوء ذلك، جرى تنظيم المسيرات السياسية، وتمَّ عقد الندوات الجماهيرية الواسعة، والتأَمَت الإِجتماعات الشعبية التي تتناول المسائل الفكرية والمطالب السياسية، بهدف رفع مستوى الوعي السياسي والثقافي للعرب، وأدرك المجموع القومي العربي، ولأول مرّة في تاريخه العربي الحديث خصوصاً في مرحلة ما بعد الِاحتلال الفارسي للقطر العربي الأحوازي وإنهاء الحكم المستقل، أهمية الصحوة القومية العربية الشعبية الواسعة في المنطقة، لاسيما بعد تحررها من هيمنة قمع قبضة الحكم الشانشاهي القوية، وأجهزته الأمنية الإرهابية[٢].

عندما أحسَّ النظام الإيراني، مثلما شعرت كذلك، القوى العنصرية الفارسية، بنمو النهضة القومية العربية في المنطقة، والنهوض القومي في سائر إيرانِ بشكلِ عام، أخذ يعدُّ العُدة لإحتواء هذه الحركة الجماهيرية الواسعة، والعمل على تقييدِ الحريات السياسية، تمهيداً لضربها عسكرياً وتكميم أفواه الجماهير بمنع المظاهرات وتحريم عقد الِاجتماعات وإغلاق المؤسسات الثقافية النشيطة .

(١)الكاتب الأحوازي :فؤاد الكعبي .
(٢)نفس المصدر .



الجنود أتباع الحاكم العسكري لعر بستان (أحمد مدني)
وهم يفتشون العرب في المنطقة

وأدت هذه الإجراءات الغاشمة إلى ردود فعل واسعة، حتى شملت المراكز الدينية المتقدمة، فضَمَّ آية الله العُظمى الشيخ محمد طاهر آل شبَّير الخاقاني، وهو من أكبر الزعماء الروحيين لعموم أبناء الشعب العربي الأحوازي، صوتَه إلى الجماهير العربية، في مطالبهم الوطنية والقومية العادلة، ضمن الحقوق التي أقرتها الشرائع البشرية الإنسانية، وقدَّستها الشرائع الإلهية السماوية، بعد تيقنه من التنكر المسبق للنظام الإيراني الجديد، والإجحاف الشنيع الذي لحق بأبناء الشعب العربي، وشعوره المؤكد على عزم النظام الإيراني على اِحتواء حركتهم السياسية وقمع تحركهم الجماهيري، فراح يشدد على ضرورة الاِعتراف بالحقوق القومية والثقافية لكافة الشعوب الإيرانية، من عرب وأكراد وأتراك وآذاريين وبلوش، وغيرهم، لاسيما أنها توافق تعاليم الإسلام وتنسجم مع القيم الدينية التي تحّض على التعاون والتعارف بين الشعوب

من جهته، قام الأدميرال أحمد مدني، الذي عينه مهدي بزركان في مركز الحاكمية المطلقة لمحافظة عربستان (الأحواز)، بتهيئة قوته النيرانية فور توليه المسؤولية الإدارية والسياسية، فنظم صفوفه، واستقدم قوات «كوماندوز» من خارج المنطقة، وأقدم على اتخاذ خطوات عملية واسعة بغية تركيز خطواته الإجرامية المرتقبة، شملت التعاون المشترك، والعمل المتكامل بين القوات المُستَجلَبة وقوات البحرية، من أجل تنفيذ مهمته التي تستهدف مدينة المحمرة بشكل خاص، التي وضعتها السلطة الإيرانية في دائرة اهتماماتها للقضاء على حركة أبنائها، على اِعتبار أنَّ مدينة المحمرة تعَّد المركز الرَئيس للنشاط السياسي والثقافي للحركة القومِية العربية، ورمزاً لعروبة المحافظة آنذاك، إلى جانب مكانتها المعنوية الدينية الروحية، حيث أنَّ المرجع الخاقاني وحوزته الدينية، فضلاً عن أهميتها التاريخية المتمثلة في كونها العاصمة للأحواز، والمقر لإقامة آخر أمراء الأحواز عاصمة الشيخ خزعل الكعبي، الحاكم العربي الأحوازي[١].

(١)نفس المصدر .

أقدم المجرم أحمد المدني وزمرته، بادئ ذي بدء، على اقتحام المحمرة، وكذلك مهاجمة المواطنين الآمنين، مستخدماً في هجومه الهمجي الشرس القوات المسلحة الإيرانية، ضد المراكز العربية، ووفق خطة عسكرية مبرمجة ومدروسة، أَعَدَّ لها مُسبقاً، فقامت قوات الكوماندوز، وما يُسمى بالحرس الثوري الإيراني ، والقوات الهجومية للبحرية، بمهاجمة المراكز العربية في مدينة المحمرة، كما اقتحمت تلك المجموعات المركز الثقافي العربي، الذي لم يكن سوى عبارة عن تجمع ثقافي غير مسلّح، وأقدم هؤلاء الأوباش المسلحون على استخدام العنف الهمجي من خلال إقدامهم على اعتقال مئات المواطنين الذين اعتصموا بمقر التجمع في محاولة للدفاع عنه، باستخدام أجسادهم والاستعانة بإرادتهم الوطنية والقومية، مثلما هاجمت بعض المجموعات العسكريةً مبنى «المنظمة السياسية للشعب العربي» باستعمال الأسلحة الرشاشة، والقنابل المتفجرة، وتمكنوا بالتالي من قتل كل مَنْ كان في داخل المبنى، في محاولة إبادة المواطنين السياسيين العرب .كان القتل والهجوم عشوائيا وبدون رحمة . كان واضحا بان ما يقوم به مدني وقوّاته تستهدف إبادة كل من يسير في الشارع وبدون تمييز ، شيخا كان أوطفلا أوامرأة . كان من بين المجروحين الذين تم نقل معظمهم إلى المستشفى بسبب جروحه الخطيرة ، طفلٌ في الثامنة من عمره.

وأثناء تلك الحملة العسكرية الهمجية كان يتواجد مراسل صحفي لمجلة (طهران مصوّر) وكان يغطّي الأحداث حينها وقد وصف حالة هذا الطفل وهويرافقه في سيارة الإسعاف حتى وصوله للمستشفى ،بمشاهداته عن ما كان قد حدث للطفل وأمه التي كانت قد أرهقها البكاء ولطمها المستمر على وجهها جرّاء ما حصل لابنها حيث قالت: عزيزي يا بني ، من أين أتاك هذا المصاب؟ وهي تبكي وترى ابنها والدم يغطّي وجهه وجسمه ، وأبوالطفل يحاول أن يرفع من معنويات الطفل و- من خلاله للأم – فيقول له:سوف تشفي غداً إنشاء الله يا بني ، كي ترجع وتلعب مع الأطفال ، ولكن الطفل البريء تمر عليه لحظات صعبه وكأنه يقول لهما : إلى اللقاء يا أمي ويا أبتي ، وعلى غير موعد يفارق الحياة ، وتذرف دموع المراسل ويخرج من المستشفى [١].

(١)مجلة تهران مصور، التاريخ في ١٩٧٩-٥-٢١ الرقم (٢٠)



الأب الذي فقد طفله في هذه المجزرة

وهناك قصص محزنة ومأساوية ترويه هذه المجلة مرفقه مع صور حية التقطت في حينها ، علماً أن هذه المجلة طبع منها عدد واحد فقط ومنعت بعد ذلك من الصدور حتى هذه اللحظة، ونمتلك ذلك العدد التي سنرفق بعض الصور التي تضمنتها .

كانت اِستجابة المواطنين للأحداث واسعة وغاضبة، فخرج المتظاهرون العرب إلى الشوارع، معبرين عن سخطهم العارم على الأعمال الإجرامية لحاكم المحافظة المعين، الموسومة بالإنفلات من أية معايير إنسانية، أولاً، وتضامناً مع ما ترمز إليه هذه المراكز الثقافية والمقرات السياسية العربية، ثانياً، ودفاعاً عن قناعاتهم السياسية، الوطنية والقومية، وضرورة نيل الحقوق الوطنية المشروعة، ثالثاً، وتنفيذ الوعود السياسية التي تعهدت ما يسمى بالثورة الإيرانية بإسدائها إلى جميع المواطنين الإيرانيين ومن كل القوميات ، رابعاً وأخيراً .

لقد اِندلعت اِشتباكات دامية بين المواطنين الأبرياء العُزَّل إلاّ من إيمانهم بقضيتهم العادلة، من جهة، وبين القوات الحكومية المهاجمة والمسلحة، من جهة أخرى، وقد اِستمرت المواجهات ثلاثة أيام متتالية، سقط خلالها مئات القتلى والجرحى من المواطنين العرب الأبرياء، كما تمَّ اعتقال وإعدام أعداد كبيرة منهم، وفي الوقت ذاته شهدت مناطق أخرى في المحافظة، كالأحواز، وعبادان والفلاحية، ردود فعل واسعة، وأحداثاً دامية، مشابهة لما وقع في المحمرة .



بعضا من الصور التي التقطت أثناء الأحداث

التي وقعت في مجزرة يوم الأربعاء السوداء في المحمرة وعبادان

لقد كان رد فعل النظام الإيراني عنيفاً للغاية، وزجَّ بأعداد كبيرة من العرب في السجون ، وشنَّ مداهمات عشوائية، ومارس أزلام النظام شتّى أنواع التعذيب بحق السجناء، وجرَّب صنوف الاضطهاد بحق المعتقلين، وشكل محاكم عسكرية صورية أصدرت أحكام إعدام فورية، ضد المئات من الشباب بذرائع مختلفة، في حين يدرك الجميع أنَّ لمعظمهم لم تكن له صلة مباشرة بأعمال الاِحتجاج، مثلما لم يكن لهم أي شأن بردود الفعل الطبيعية التي شهدتها المنطقة، جراء الاِستخدام المفرط للعنف الحكومي الهمجي.

ملّخص ومعلومات عن «أحمد مدني»:

١ ـ الاِسم : أحمد .

اللقب : مدني .

٢ ـ مكان الميلاد : كرمان .

٣ ـ تاريخ الميلاد : ١٩٢٩ م .

٤ ـ مركزه الوظيفي ورتبته العسكرية : كان محافظاً للأحواز(عربستان)، وأدميرال بحري في عام ١٩٧٩ .

٥ ـ المتهم الرئيس في التسبب بالمجزرة التي وقعت في المحمرة يوم الأربعاء الموافق ١٩٧٩/٥/٣٠م، والتي اِستمرت لمدة ثلاثة أيام، قُتلَ وأُعدم وسُجنَ واِعتقل خلالها الكثيرون .

٦ ـ مكان إقامته الحالية: الولايات المتحدة الأمريكية.

مع هذا التقرير يوجد صور ووثائق حيَّة، ودامغة، تدين المتهم وحماته السلطة الفارسية وجندرمتها المسلحين ، مع وجود أسماء بعض الشهداء والمعتقلين مرفقة مع هذا التقرير، بالإضافة إلى أسماء المفقودين والمجروحين.

الجدير بالإشارة، أنَّ بعض الذين أُعتقلوا آنذاك، وسجُنوا في تلك الفترة، قد تمكنوا من الفرار إلى خارج الأحواز العربية ، ووصلوا إلى بعض البلدان الأوروبية، وهم يمثلون مع الأدلة الوثائقية أيضاً براهين دامغة علي توثيق ما جاء بهذا التقرير، ويمكن لكل مَنْ يريد الإطلاع، بغية التأكد والتيقن، مقابلتهم.

بعض أسماء الجرحى:

١- خليل أحمد.
٢ - كميل أنيسى.
٣ - جليل البوغبيش.
٤ - يعقوب بجاري.
٥- لفته البغلاني .
٦ - كاظم البوعلي.
٧ - ناجي بطيلي.
٨- حسين بجاري.
٩ - طهران التميمي.
١٠ أحمد تيموري.
١١ - أحمد الجميلي .
١٢ - حنش جاملي .
١٣ أحمد خنضراوي.
١٤- عبدالرضا خنضراوي .
١٥ - طعمة خلفي.
١٦ عدنان دريس .
١٧ - حسن خاور .
١٨ نعيم رابحي .
١٩ - حميد رجب بور .
٢٠ - عبد السادة زركاني .
٢١ عبدالرضا سعدوني.
٢٢ - هاشم سلماني .
٢٣ - هرمز سعدوني .
٢٤- جابر طبيجي .
٢٥- صادق طرفي.
٢٦محمد طرفي .
٢٧ - عبد الرضا عيداني .
٢٨ - ظاهر عبودي .
٢٩ - جاسم عامري .
٣٠ - عبد الحسين عجاج.
٣١- يوسف غيباني .
٣٢ - حسن عزلاوي .
٢٤ - حاج عبد اللطيف فلاح بور .
٣٥- محمد علي فاروقي .
٣٦- مصطفى كشكة.

٣٧ - محمد كاظم زادة .
٣٨ - سيد علي موسوي سالمي .
٣٩- شاكر مطوري.
٤٠ - كريم مطوري.
٤١ - أحمد موسوي .
٤٢ - سيد صادق موسوي.
٤٣ - فاضل مطوري .
٤٤ - كريم نعيم ماوي .
٤٥ - سفر نظري .
٤٦ - أحمد يوسفي مع ولده .
٤٧ - تامول سليماني.
٤٨ - سيد رحي زرين .
٤٩ - محمد شيره .
٥٠ - طاهر شهركاني .
٥١ - جمال شداد زاده.
٥٢ - إسماعيل شمخاني .
٥٣ - هرمز شير مرادي.
٥٤ - محبال المطوري .
٥٥ - فاضل ماجد بور .
٥٦ - عبد الوهاب ناصري .
٥٧ - سيد علي نزاري .
٥٨ - عزيز مناعي .
٥٩ - حميد بن مجيد عبود زادة.
٦٠ - محمود الحاج علوان .

أسماء الشهداء:

١- فرزانه فرحان زادة.
٢- جابر عسا كرة.
٣ - عبد الزهرا آل جوبيري.
٤ - شاكر حسناوي .
٥ - كميل أنيسي.
٦ - عباس هلال جم .
٧ - كريم بجاري.
٨ - كريم شيرخواريان.
٩ - أحمد شرهاني .
١٠ - عبد الرضا برنجي .
١١ - طاهر ألمطوري .
١٢ - شهين مسعودي .
١٣- علي مسعودي .
١٤- عباس خوباوي.
١٥ - مهدي حياوي .
١٦ - مهدي ثابتي بور.
١٧ - راضي عباس بور .
١٨ - كارون مزرعة .
١٩ - منى شاميان زادة .
٢٠- فريد آل علي.
٢١ - جبار ثابري بور .
٢٢ - مشمول نوا صري .
٢٣ - جابر ناصري.
٢٤ - باقر سائق من أهالي كوت الشيخ.
٢٥ - فيصل الباوي من عبادان .
٢٦ - ناصر جلا لي من عبادان .
٢٧ - حميد شريفات.
٢٨ - علي عيداني .
٢٩ - مهدي دنيا بين .
٣٠ - شهناز مسعودي بور .
٣١ - عبد السادة غبيشاوي .
٣٢ - هادي غبيشاوي .
٣٣ - أمين فرحاني .

المعتقلون والمفقودون:

١- ناصر جمال آل علي.
٢ - عبد علي آل علي.
٣ - طاهر آل علي .
٥ - حسن أشناب .
٦ - محمد علي إعلاني محرزي .
٧- عباس إكرامي زادة عامل في الميناء.
٨ - عبيدة أبو شلش.
٩ -عبد السادة بندراوي .
١٠ - عزيز بندراوي .
١١ مجيد بحراني بور.
١٢ - عبد طهراني .
١٣ - علي ثامري .
١٤ باقر جعفري زادة .
١٥ - مهدي جمال بن نوح.
١٦- أمجد جزايري .
١٧ - محمد حمداني بور .
١٨ - عبد الزهراء احمدي .
١٩ - محمد حميدي.
٢٠ - قاسم حسيني.
٢١ - يوسف خاقاني .
٢٢ حسين خانجي .
٢٣ - جناموخيامي .
٢٤ - عبد النبي خيامي.
٢٥ - صادق دانش طلب .
٢٦ - مهدي إدريس .
٢٧ - سمير إدريس .
٢٨ - هليل دورقي .
٢٩ - صاحب درويشي .
٣٠ - كريم رابحي.
٣١ - عبدالله رابحي .
٣٢ - يد الله رابحي .
٣٣ سلمان رابحي .
٣٤ - فيصل رابحي .
٣٥ - مسلم رابحي .
٣٦ - نعمة الله ربيحاوي .
٣٧ - حلبوص رحماني .
٣٨- راضي ربيحي زادة .
٣٩ - حلبوص راشدي .
٤٠ - علي زركاني .
٤١ - سالم سالمي .
٤٢ - جواد سعيدي .
٤٣ - طامر سليماني.
٣٤ - صدام شريفات .

٤٥ - جمال شدادي محرزي .
٤٦ - حر شريفي .
٤٧ - علي شوشتري.
٤٨ - علي شريفي .
٤٩ - عبد الإمام صالحي .
٥٠ - عبد الأمير صالحي .
٥١ - موسى ضعيف نجاد .
٥٢ - ناصر طرفي .
٥٣ - عبد الحليم طيبي .
٥٤ - سيد حسن ظاهري .
٥٥ - محمد علي زادة.
٥٦ - كريم عوفي .
٥٧ - شريف عنافجة .
٥٨ - ضياء عباس زادة .
٥٩ - عبد السادة عطوي .
٦٠ - ظاهر عامري زادة .
٦١ - شمران عمودي .
٦٢ - حسن عسكري بور .
٦٤ - محمد أصل عبيدي .
٦٥ - غانم عشيري .
٦٦ - سامي عسكري بور .
٦٧ - حاج كاظم عامري .
٦٨ - خليل غبيشاوي.
٦٩ - فاضل غبيشاوي .
٧٠ - مهدي غضبانيان .
٧١ - عبد فرحاني .
٧٢ - جابر فاضلي.
٧٣ - خلف فرياد ين.
٧٤ - علي فرحانيان.
٧٥- بهروز قارا بذله .
٧٦- محمد قاهري .
٧٧- فالح كليلي .
٧٨- حسن كنعاني .
٧٩- ستار كعبي .
٨٠- عبد لطافت .
٨١- خالد مسعوديان .
٨٢- سيد ياسين موسوي سالمي .
٨٣- طاهر محمد نجاد .
٨٤ - سيد ناصر معزي أصل.
٨٥ - سيد طالب موسوي طالبي .
٨٦ - محمد مطوري .
٨٧ - قاسم محموديان .
٨٨ - ظاهر ميخاوي .
٨٩ - سيد مطوري.
٩٠ - سيد عبد الوهاب موسوي .
٩١ - سيد حميد نزاري .
٩٢ - سيد جواد نزاري .

٩٣ - سيد جابر نزاري.
٩٤ - منعم نعيماوي .
٩٥ - ناصر هلالات .
٩٦ - مالح محمد هلبور هله .
٩٧ - ناصر عجرش .
٩٨ - حاج ناصر عجرش .
٩٩ - سيد شبير عجرش .
١٠٠- محمد مرهنجي بور .
١٠١- عوده عجرش .
١٠٢ - حجة الإسلام سيد شعاع .
١٠٣- مكي آل علي .
١٠٤- امجد جزايري .
١٠٥- محمد حمداني بور .



عادل السويدي
أحوازي مقيم في هولندا
٦ / ٥ / ٢٠٠٣

نشرت الدراسة بتاريخ : ٠٦ – ٠٥ – ٢٠١١ في موقع عربستان الأحوازي على الرابط التالي :

http://www.arabistan.org/arabistan/wnews/majzara.htm

كما تم نشر الدراسة في مجلة عيلام الأحوازية في العدد الأول على الرابط التالي :

http://www.arabistan.org/arabistan/74_2006/3eelam%20magazen1.pdf

شهادة أحد أعضاء الوفد الذي حضر المباحثات والجلسة بين الخميني والشيخ الخاقاني ، وهو الأستاذ أبو محمد : السيد هادي البطيلي

ـ وفي ذلك يروي أحد أعضاء الوفد وهو الأستاذ أبو محمد هادي البطيلي رداً على بعض الأسئلة التي جرى توجيهها له في أواخر العام ٢٠١١ ، وكانت على الشكل التالي الذي يتمحور عن تذكره حول مختلف الأطروحات السياسية والمطلبية التي تقدم بها الوفد .

لقد بدأ الحديث مع الأخ المناضل هادي بطيلي المطوري (أبو محمد الأحوازي) بالسؤال التالي :

ـ س : متى بدأت فكرة مواجهة سلطات الخميني ؟ وأثناء صعوده لسدة الحكم ظلما وجوراً وسرقة لثورة الشعوب، كيف طالبتم كأحوازيين بحقوقكم الوطنية في بدايات وصول الخميني إلى إيران ؟

ج : أثناء سقوط الشاه وبعدها بحوالي الشهرين تقريباً تجمعت القوى الوطنية الأحوازية التي كانت في الداخل أي في الوطن أو التي وصلت من المنفى ، وحتى تلك القوى الوطنية الأحوازية التي ساهمت وهي أسيرة أومعتقلة في سجون الشاه ... التأم شمل كل تلك القوى الوطنية السياسية وتنادينا للاجتماع السياسي والتنسيق لما ينبغي فعله . لقد اجتمعنا لنساهم في الحراك الوطني الواسع في تلك الآونة، هادفين في ذلك التحرك الواسع لبلورة مشروع الحق الوطني وإبراز القضية الوطنية الأحوازية كواقع سياسي له أهداف سياسة محددة ، بغية تقديمها كمشروع سياسي شامل وواضح للقيادة السياسية الإيرانية الجديدة، فقام الجميع بتشكيل تجمع سمي بـ«المركز الثقافي» أولاً، الذي كان يتشكل من القوى الوطنية والقومية العروبية الأحوازية، اي من البعثيين والناصريين والشيوعيين، فتبلورت بهذا الاسم لتختار إسم «المركز الثقافي» وخلال مدة قصيرة من الأيام والأسابيع بعد تأسيس هذا المركز تأسست «المنظمة السياسية للشعب العربي في عربستان»، وكان هذا الإنجاز هو الهدف الثاني المتحقق ، كانت في البداية اتخذت اسم «خوزستان» نتيجة نصيحة او تدخل البعض الذي كان يروج بأننا لا يجب التسرع في إيضاح الموقف الوطني، ولكنها قوبلت بالرفض سريعاً فكان الحسم هو الاسم التالي: (المنظمة السياسية للشعب العربي في عربستان)... وتفرعت منها لجان، منها :

١)اللجنة المالية.

٢) لجنة المراقبة.

٣) لجنة الحراسة : (وكان مسؤولها : الحجي محمد الزبيدي ـ وهو حي يرزق وما زال هارباً من سلطات الاحتلال ويقيم في إحدى الدول العربية) .

٤)اللجنة الإعلامية (مسؤولها : المرحوم الحاج سلسبيل).

كان مسؤول المنظمة السياسية هو المرحوم سيد هادي نزاري (والذي أصبح فيما بعد المجزرة في الأربعاء المسؤول الأول للتنظيم، فعلى اثر تشكيل الجبهة العربية لتحرير الأحواز في العراق انتخب أول أمين عام للجبهة العربية لتحرير الأحواز) .

أما الناطق باسم المنظمة السياسية هو : الشهيد عباس سعودي

ثم نتج اتفاق وسط بشأن الحراك السياسي والوطني في عموم الأحواز، وقد تمحور الاتفاق بأن يكون هنالك تنسيق وعمل مشترك متوازٍ بين «المركز الثقافي» وبين «المنظمة السياسية للشعب العربي في عربستان»، من جهة، ومع الشيخ الشهيد محمد طاهر آل شبير الخاقاني، من جهة أخرى ، فتم تشكيل لجنة عليا على هذا الأساس سميت بـ«لجنة الحوار مع الخميني»، وتم اختيار ٣٠ عنصراً أحوازياً وطنياً وكان على رأس ذلك الوفد الوطني الأحوازي الشهيد الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقاني بغية إجراء المناقشة السياسية مع الخميني . وتم التوافق على الذهاب إلى مدينة قم للقاء الخميني هناك،

في البداية ذهبت مجاميع عربية كبيرة من أبناء الشعب العربي الأحوازي ضمت ما بين ٦٠٠ إلى ٧٠٠ مواطن أحوازي بالقطار المتجه إلى قم بهدف تهنئة الخميني بانتصار الثورة، وكان تاريخ ذلك اليوم هو ١٨ ارديبهشت ١٣٥٨هـ.ش ، وهذا التاريخ يوازي يوم الثلاثاء الموافق ٠٨ – ٠٥ – ١٩٧٩م .

فتوجهنا الى بيت الخميني (يقول الأخ ابو محمد الأحوازي) وكنا ضمن مسيرة عربية أحوازية بدأناها بهوساتنا وأهازيجنا العربية، ومن هناك توجهنا إلى بيت الشيخ شبير الخاقاني الذي كان يملك بيتاً في شارع (أرم) بمدينة قم القريب من بيت آية الله شريعتمداري ومدرسة مرعشي، فكنا حوالي ما بين ٣٠ ـ ٥٠ شخصاً، نحن الذين كنا نعتبر من أقارب الشهيد شبير الخاقاني، واستطيع أن أذكر بعض الأسماء منهم ، وهم: أنا هادي بطيلي المطوري + سيد صادق الموسوي وهو نسيب الشهيد الشيخ + محمد كاظم ابن الشيخ، وغيرهم ..

فجاء الخميني ليلتقي وفد الحضور العربي الأحوازي في بيت الشيخ، وانفتح الحوار بشكل عفوي دون تنسيق مسبق، بين الشهيد الشيخ الخاقاني، من جهة، وبين الخميني، من جهة أخرى، فتحدث الشيخ موضحاً المظالم والحقوق المسحوقة للشعب العربي الأحوازي للخميني، وكان من أهم النقاط التي تطرق اليها الشيخ هو التراكم الغريب في سحق العرب منطقة الأحواز والمظالم المتراكمة للنظام السابق ضد الحقوق الوطنية الأحوازية، وتحدث أيضا الخميني مع الوفد الأحوازي الحاضر في مجلس الشيخ، وموجهاً حديثه للشيخ الخاقاني خصوصاً، ولكن باللغة الفارسية، فالشيخ كان يتحدث العربية فقط ولا يفهم الفارسية، ولأن الشيخ كان يعلم بأن الخميني يفهم ويعرف العربية جيداً، من هنا كان الحديث مباشراً وسمحاً في بدايته، والذي كان يقدم على ترجمة الحديث الشخصي للخميني هو ابنه محمد كاظم الخاقاني، فأصر الشيخ أيما إصرار على إلزامية اعتماد اللغة العربية كلغة رسمية في منطقة عربستان، ورد الخميني قائلاً له : بأن اللغة الفارسية ستصبح في هذه الحالة مهددة بالزوال والانقراض، وهنا رد مباشرة الشيخ ، مقاطعاً كلام الخميني قائلاً : هل لغة الدين والقرآن هي الفارسية أم العربية يا خميني ؟!! فتهرّب الخميني من قوة حجة الشيخ فبدأ مبرراً : بأننا ـ اي الخميني والخاقاني ـ نحن رجال دين يا شيخ ومكاننا المساجد، فلندع هذه التوافقات والأمور لرجال السياسة. وهنا تم إبداء مقترح من الخميني على أن يرسل العرب الأحوازيون وفداً منهم يمثلهم إلى طهران، كوفد سياسي في لقائه الرسمي مع الحكومة المؤقتة، والتي كان يرأسها في حينها مهدي بازركان .

بعد رجوع ذلك الموكب العربي الأحوازي من قم إلى الأحواز، بدأت الأمور تأخذ مجرىً يلفه الحراك السياسي المكثف، لذا بدأت النقاشات السياسية تأخذ أبعاداً مختلفة على اثر ما سمعه الوفد الأحوازي وما تلمسه أعضاؤه البارزون في قم من كلام الخميني مباشرة، وتم النقاش بين كل الفصائل والقوى الوطنية الأحوازية وعلى رأسها المؤسستان اللتان كانتا تمثلان الحراك السياسي الوطني الأحوازي في تلك الآونة، وهما : «المركز الثقافي» و «المنظمة السياسية للشعب العربي في عربستان» ، وقد تم على اثر ذلك النقاش السياسي المطول إنبثاق وفد وطني أحوازي بالتوافق مع الشهيد الخاقاني على عدد أعضائه للقيام بزيارة طهران بشكل رسمي حاملين معهم المطالب السياسية العربية الأحوازية التي تستجيب لطموحات ملايين العرب ، والمطالب السياسية العربية الأحوازية رسمية مجملين النقاط الواضحة في المطالب السياسية العربية الأحوازية التي تمثل تطلعات الملايين من أبناء عربستان، وتم إطلاق اسم «الوفد الثلاثيني» على ذلك الوفد الأحوازي، وقد رفع الوفد عبر الرسائل والمذكرات السياسية ١٢ بنداً ، تضمنت كلها مجمل الحقوق الوطنية الأحوازية، كثفت تلك المطالب خلال الآونة تلك المطالب السياسية على أرضية في مفهوم (الحكم الذاتي) للأحواز في إطار دولة تراعي الحقوق السياسية ، وتلتزم بتطبيق الشريعة الإسلامية ، وإعطاء الحقوق على مبدأ التعارف بين القبائل والشعوب والقوميات والأديان المتساوية الحقوق في إيران .

وبعد شهر تقريباً ذهب الوفد الأحوازي إلى طهران والتقى الحكومة المركزية هناك، ونتج عن ذلك وعود سياسية غامضة ومتلكئة وغير واضحة المعاني السياسية وكذلك وعود مبطنة تنطوي على تهديد وتوعد من الحكومة الفارسية في طهران، الأمر الذي تبين للوفد الأحوازي بان كلام الخميني في قم كان مقدمة واضحة لمواقف سيئة النوايا يطلقها ساسة بارزون ومتنفذون في النظام السياسي بطهران ، حول المطالب السياسية العادلة للشعب العربي الأحوازي، فرجع الوفد الأحوازي من طهران وهو محمل بأعباء الرفض والتلكوء الفارسي الذي صدمهم بمواقف سياسية شبيهة بمواقف الرأي السياسي الذي كانوا قد تعودوه من الشاه وإرهابيي سافاكه المجرمين ، وكان رأي أغلب أعضاء الوفد العربي الأحوازي قد استخلص بأن الموقف الفارسي العنصري واحد لا ولم يتغير، فالشاه والخميني هما وجهان لعملة فارسية عنصرية واحدة ضد العرب الأحوازيين وضد حقوقهم المشروعة، وكان الحزن واليأس قد خيم على وجوه الوفد الأحوازي الراجع من طهران، وكان أغلبهم يعلم بأن هنالك مرحلة اصطدام ستنشأ فصولها في الأفق القريب، وفور سماع الشعب العربي الأحوازي لحديث الوفد وتوضيحاته القادم للتو من طهران، فقد اندلعت ردود الفعل السياسية المتفاوتة .

وحصل ما كان متوقعا حصوله من الصدام الواسع بين عتاة خميني وملاليه المجرمين وبين أبناء الشعب العربي الأحوازي الأعزل. وكانت فصول تلك المجزرة البشعة التي سميت بمجزرة الأربعاء السوداء، في مدينتي المحمرة وعبادان .

ومن أهم النقاط التي يجب الإشارة إليها، ولم تذكر في أية مصادر أحوازية أو عربية سابقا ممن تطرقوا إلى فصول مجزرة الأربعاء السوداء ، هي النقاط التالية:

ـ بعد أنْ تمَّ إجبار الشيخ الخاقاني وأسرته للإقامة الجبرية في قم ـ العام ١٩٧٩ ولغاية العام ١٩٨٥م حيث توفى فيها ـ كان السيد هادي بطيلي (مطوري) يتردد على بيت الشيخ الخاقاني في قم بسبب القرابة التي تربطه بالشيخ، فوالد السيد هادي بطيلي (أبو محمد الأحوازي) هو خال أشقاء الشيخ شبير الخاقاني، وذكر بالنص أن الشيخ الخاقاني قال وهو رافعاً يديه للسماء وداعياً الله :

ـ اللهم انصر صدام على جيش خميني.

ـ اللهم لا تنصر الطائفية في العراق لأنهم ظالمون .

ـ وبيّن أيضا بأن قوّة صدام حسين سيعني قوتنا كأحوازيين، والعكس صحيح .

ـ ومن ضمن ما كان يقوله الشهيد الشيخ أيضا : أن من يموت من أجل القضية العربية الأحوازية فهو شهيد .

ملاحظات هامة :

سبب هجوم قوات الاحتلال الفارسية الخمينية في العام ١٩٧٩م على بيت الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقاني وإلزامه هو وأسرته على إبعادهم من مدينة المحمّرة ـ مكان إقامته ـ الى الأحواز، ومنها إلى مدينة قم الصفوية.

يكمن في عددٍ من الأسباب من بينها : الأسباب التالية :

كانت مجموعة من الفدائيين والمقاومين الأحوازيين قد قاموا باستهداف رئيس الحرس الثوري في المحمرة في تلك الآونة، وهو المدعو أنوشيروان رضائي المساعد الأول للأدميرال احمد مدني وتصفية عشره آخرين في نفس المجموعة، وهو من أصول لورية من مدينة خرم آباد، إذ كانت هذه المجموعة الفدائية الأحوازية قد تمكنت من رصده هو ومجموعة من حرس الخميني حينما مروا بمنطقة المحرزي بمدينة المحمّرة، فتم إلقاء القنابل اليدوية عليهم وتم فتح نيران الأسلحة الرشاشة على تلك المجموعة المجرمة، ما أدى الى تصفيتهم على الفور ... فكانت الأجواء التصعيدية بين القوى الوطنية الثورية الأحوازية، من جهة، وقوات حرس خميني المتعطشة للدماء، من جهة أخرى، تأخذ أبعاداً واضحة في منحى الصدام، فأقام حرس خميني حفلاً تأبينياً في مسجد الجامع (وكان اسمه مسجد الحجي عريبي ويرجع هذا المسجد تاريخياً وحقيقياً لصاحبه الشيخ عيسى الخاقاني الكبير جد الشيخ آل شبير الخاقاني، وهو المفتي المجاهد المعروف في ثورة العشرين بالعراق) الذي اغتصبه زمرة من الفرس في زمن الخميني، هذا المسجد الواقع في مدينة المحمّرة والقريب من بيت الشيخ الشهيد محمد طاهر آل شبير الخاقاني.

وفي هذا الحفل التأبيني الذي أقيم من أجل المجرم رضائي والمجموعة التي تم تصفيتها على يد ثوار الأحواز، كانت المؤامرة قد حيكت خيوطها بعناية وبشكل فات على العرب الأحوازيين وعلى الشيخ الشهيد فصول تلك المؤامرة التي ستكون مدخلاً في مجزرة واسعة ضد الأحوازيين، والذي سيكون الشيخ أيضاً من بين المستهدفين الأساسيين في هذه المؤامرة للقضاء على الانتفاضة الأحوازية المطالبة بحقوق وطنها وشعبها لاسيما وقد تأججت في تلك الفترة ضد السياسات العنصرية لنظام خميني الجديد، فتم إلقاء القنابل اليدوية على ذلك الحفل وتوفي فيه حوالي سبعة أشخاص، فكانت تلك الشرارة ذريعة ما يسمى بالحرس الثوري وقوات الجنرال مدني التي أشعلت فصول الإقصاء والاضطهاد ضد الأحوازيين وضد الشيخ، فتم ترويج الإشاعات التي كانت تتردد بقوة في الشارع على أن الذين القوا تلك القنابل هم من أسرة الخاقاني، فتم محاصرة بيت الشيخ محمد طاهر مباشرة بأعداد كبيرة من أزلام حرس الخميني مدعومين بسيارات مصفحة حاصرت بيت الشيخ، وتم إنزال فريق من المغاوير الإيرانيين في داخل بيت الشيخ، فقتل عدداً من رجال الحرس الخاص بالشيخ/ وتم إلقاء القبض على البقية المتبقية من العرب، وتم تالياً إعدامهم جميعاً بدون أية محاكمات، كانت تلك الإعدام تنُفذ بشكل علني وعلى يد مسؤول المحاكم في المحمرة وعبادان المدعو المجرم (زركر) ، ونذكر هنا أسماء بعضا من السادة الأحوازيين الذين تم إعدامهم، وهم :

١)الشهيد عمّار إدريس

٢)جاسم فلز (بيت صفّاح الذي كان سائقاً لبيت الشيخ)

وآخرين كان مجموعهم ٧ أشخاص .



٣ - وشاهد عيان عربي سوري ناصري آخر يسجل أحداث المحمرة:

بعد أن أرادوا تشكيل (الكميتة) ما يسمى بـ[اللجنة الثورية في المحمرة].. دخلتها لتقصي الحقائق و بقيت أتابع الأحداث حتى استيلاء الجيش الإيراني على مدينة (مها باد) في منطقة الأكراد .

لقد راق لي أن اتصل بآية الله الخاقاني، عند ما تناقلت وكالات الأنباء انه يعارض تشكيل لجان ثورية، وقد
صممت على اللقاء به لما لفت نظري منه هذه المعارضة التي كانت تعتبر وحيدة في بابها أمام ذلك التيار الثوري الذي – بطبيعته - يتعثر بحقائق راهنة ربما تجعله يوصم بالصبيانية والتعدي.

أقلني القطار «اكسبريس» إلى مدينة الأحواز، مركز محافظة [ما يسمى بـ] (خوزستان) التي تشمل عر بستان وغيرها من المناطق الأخرى وهي مدينة جميلة يشقها نهر (كارون) السياب الذي تبدو في وسطه جزر صغيرة مغطاة بالعشب، و تترامي قصور الشيخ خزعل أمير عربستان السابق الذي استولي عليه رضا خان غيلة، واحتجزه في بيت بالقرب من قصر في شمال طهران مع أهل بيته حتى استنزف ما لديه من ثروة، ثم أوعز إلى طبيبه الخاص بان يقضي عليه بواسطة «إبرة» حقنت له في ركبته، كما حدثني بذلك أحد الشيوخ الذين كانوا على صلة وثيقة بالبيت الجاسبي و «الجاسبي» لقب أسرة الأمير خزعل،الذي ينحدر من قبيلة كعب وقد تسلم الحكم بعد مقتل أخيه مزعل الذي ورثها من أبيه «جابر».

وفي الأحواز يقطن ما يسمى بالشيخ «محمد الكرمي» الذي له دور فعّال في تحطيم إرادة العرب والذي يحظى بتأييد «الأميرال مدني» محافظ المنطقة (الحاكم العسكري لإقليم الأحواز المحتل) لمعارضته والشيخ عيسى الطرفي في عبادان، لآية الله الخاقاني الذي تجسدت فيه معاني الدفاع عن حقوق أبناء المنطقة دفاعا أدى به إلى التحطيم . والكرمي هذا الذي يبدو للوافد عليه انه قروي تطفو عليه هالة كبر، وجفاف أخلاق لأن له مقعداً في مجلس الخبراء في طهران.

والغريب في الأمر إن هذا الشيخ كان من مداحي الشاه المخلوع ولقد اطلعت على كتاب باسم «نتائج الفكر» أراني إياه بعض العرب في عبادان وفيه قصيدتان رائعتان في مدح الشاه و قد ألقيتا أمامه عند زيارته للأحواز ، وليس غريبا هذا التناقض في مفهوم الثورة هنا.

فالشيخ عيسى الطرفي كان من العاملين للانفصال (التحرير) أيام الشاه، وكان من أصحاب محيي ، [١]، وجماعته، وكذا الشيخ سيد شبر بن سيد عدنان في المحمرة فكان من أعضاء السافاك كما حدثني كثير من العرب والعجم هناك إذ كان يتقاضى راتبا رسميا. وهذان الرجلان يعتبران من المقربين لنظام الحكم الإسلامي الثوري (!!)، ولقد لاحظت عند دخولي المحمرة عبارة كتبت على البيت الأبيض الذي يسكنه سيد شبر من قبل الثوريين بالفارسية «كاخ سفيد» مال يزيد ، ويعني «القصر الأبيض التابع ليزيد» ويقصدون بالقصر الأبيض مشابهته لقصر الشاه في طهران، ويزيد هو «يزيد بن معاوية» الذي قتل الحسين بن علي [عليه السلام] . كرم الله وجهه.

(*) موقع المقاومة الوطنية الأحوازية.

وليس في الأحواز وضواحيها من رجال الدين العرب من يؤيد الشيخ الكرمي في مسلكه وإنما هم يناصرون الشيخ الخاقاني، كما لمست ذلك عن قرب بل إنهم يتهمون الشيخ ألكرمي في مسلكه الشاذ نحو عروبته ويدعون انه قد انتحل تستر «شوشتر» الحالية. وإن أمه تركية الأصل، و لذا فهو لا يفتأ وأنْ يتهجم على العرب بقوله أنهم لا يفهمون ولا يعقلون، فمن هم ليطالبوا بحقوقهم؟ هذا ما يقولونه عنه. إن النقمة بادية من العرب على الكرمي وكما شاهدت وتابعتُ المسيرات وهي تهتف، يسقط الكرمي، يسقط الخائن الكرمي يسقط.

والكرمي هذا من بلاد الحويزة و أسرته معروفة هناك ببيت الحويزي، وأبوه الشيخ محمد طه الحويزي يتمتع بذكر حسن في بلاد الحويزة، وإذا حدثت احدهم عن الكرمي قالوا «الكرمي مو طالع على أبوه».

كان أهل الحويزة يكرهونه ، بيد أن السلطة ونفوذها جعلتهم يخضعون له ، خاصة البعض القليل منهم، أما رجال الدين هناك فهم على خلاف معه.

في المحمرة:

دخلت المحمرة في أواخر ربيع الأول ١٩٧٩ وذهبت تواً إلى مقر أية الله الخاقاني واسمه الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقاني. وهو ينحدر من سلالة علمية أدبية عريقة، فوالده وأجداده زعماء دينيون والمحمرة أكثر من غيرها من بلاد عر بستان اخضراراً إذ يقع شط العرب إلى غربها ومن الجنوب يحدها شط المحمرة و من الشرق شط كارون ونهر بهمشير. وقرى المحمرة جميعا عربية محضة لا يعرف أكثر أهلها اللغة الفارسية على الرغم من إن الشاه المخلوع قد عمد إلى إضفاء الصبغة الفارسية على المنطقة حيث أبدل اغلب أسماء القرى والمناطق إلى أسماء ليست بعربية، فالمحمرة (خرمشهر) أي المدينة البهيجة وعبادان (آبادان) أي العمران والدورق (شاد كان) أي محل الأفراح وجزيرة الصلبوخ (مينو) أي الجنة والخفاجية (سوسنكرد) أي محل السوسن والبسيتين(دشت ميشان)أي صحراء الخرفان...الخ .

في بيت الخاقاني:

في شارع أبي ذر، يقع بيت الشيخ الخاقاني في مدينة المحمرة وهو الزعيم الروحي لهذه المنطقة الذي يريعك زحام الناس فيها و تدفقهم إلى المسجد و المدرسة. ويعتبر بيته المجلس الرسمي له وفيه مكتبة كتب عليها (دفتر أية الله آل شبير الخاقاني) والمكتبة عبارة عن حجرة صغيرة فيها طاولتان وصورة كبيرة جدا للخميني وأخرى لياسر عرفات وتقويم يحمل صورة الشيخ الخاقاني.

بالنسبة للقائمين بأعمال سماحة الشيخ لم أتقبل وجودهم للقيام بهذه الأعمال فهم ناشئين تعوزهم الخبرة والتنظيم مع إن دلائل الإخلاص تبدو على أكثرهم، ولكن هل يكفي الإخلاص وحده مالم يقترن بالحنكة والحكمة؟

طلب لي الإذن بالدخول على سماحة الشيخ الخاقاني في مكتبه داخل البيت،فلقيت شيخا وقورا، سليم المحيا، جذاب الطلعة، يجلس على الأرض فيه تواضع برفعة.

سألت الإمام الخاقاني ـ المعروف أنكم عارضتم تشكيل لجنة ثورية في خرمشهر(المحمرة).

أجاب – يا وليدي – تصغير ولدي (للتمليح طبعا) لما أرادوا تشكيل الكميتة (أي اللجنة) وجدت أن القائمين عليها لا تتوفر فيهم شروط الحكم والقضاء بين الناس، فنحن نشترط في الحاكم الشرعي والقاضي أن يكون مجتهداً، جامعا للشروط، له القدرة على استيعاب القضية والإلمام بأطرافها وأن تكون له خبرة بالأمور وذو تقوى وورع وأن يكون فيصلا في حسم الأمور.

عندما زاد الإصرار بأنْ أباشر العمل ،طلبت منهم أن يكون أعضاء اللجنة الثورية ممثلين لسكان المنطقة، وأن يشترك العرب والأتراك والأكراد معاً لئلا تقع فتنة في البلاد. ولكنهم أجابوا بالنفي وأصروا على موقفهم مما أدى إلى أن يشكل العرب مراكز لأنفسهم، وهذا ما كنت أخشاه،فلو أنهم اتبعوا مشورتي لما تفرقت كلمة المواطنين هنا ... ثم أن أعضاء اللجنة اخذوا يعيثون في الأرض فساداً ولا يتورعون عن سفك الدماء وإصدار الأحكام برعونة.

أسباب الخلاف:

لقد عاصرت الأحداث في المنطقة منذ الشرارة الأولى، فلمست أسباب الخلاف بين الإمام الخاقاني وجماعة الفرس، فهي تعود إلى توجيهاته لأعضاء اللجان الثورية وفق ما يراه بطبعه المخالف للطبع الثوري والحقد المحلي الذي ينصَّب بقالب القانون، فقد كان رده بالنسبة لمحاكمة أربعة أشخاص هم مكي الفيصلي ومهدي كارون احد تجار البلاد وشخص أخر تاجر أيضا هندوسي اسمه (هريرام) وسيد شبر سيد عدنان ، وأوضح لهم وجهة نظره بأن إلقاء القبض على مكي الفيصلي وهو زعيم قبيلة، لا يتم بسهولة وفق الأعراف العشائرية فتسفك الدماء البريئة، وكذلك الشخصان الآخران فان إلقاء القبض عليهما دون جريمة تستحق الإعدام والعقاب هي جريمة بحد ذاتها، فالواجب محاكمة هؤلاء حتى تثبت دعائم الجمهورية الإسلامية أما سيد شبر فله مكانة دينية، فلا يحاكم!.

وعلى الرغم من أن مكي الفيصلي كان من اشد خصوم الخاقاني أيام الشاه وقد هجم مع زبانيته على داره، وكذلك سيد شبر الذي كونته سلطة الشاه،عمل ضده أيضا، وقد ظهرت دعايات الفرس بأن له رابطة مع عناصر الشاه.

والذي يبدو لي أن معارضة أية الله الخاقاني لمحاكمة هؤلاء بالتشديد الذي ارتآه كان عين الصواب، فمكي الفيصلي كان من أعوان الشاه وقد عينوه في البرلمان. وانتماء سيد شبر للساواك ثابت وواضح وهناك مستمسكات تدينه، فما دخل العشائرية والمكانة الدينية ؟هل وفي سيد شبر بهذا الجميل أم انه أصبح من المسؤولين وألَّب كل عربي في المنطقة ؟ إن ما كان أية الله الخاقاني يخشاه من سفك للدماء قد وقع عندما أرادوا ألقاء القبض على الفيصلي .

بيد أن الجانب الديني والورع يطغيان على الجانب السياسي بل الاجتماعي في نفسية آية الله الخاقاني الذي بدا زعيما دينيا وسياسيا على الساحة الإيرانية، وكان يعوزه خبراء ومستشارين مخلصين ليصدوا عنه كيد الكائدين .

لقد تلقى دعوة من عرب الأحواز وقبائلها فاستجاب لها وخرج في موكب مهيب جدا، وألقى أربعة خطابات من الإذاعة، وكذلك ذهابه إلى عبادان وخطابه في «الاستاد الرياضي».. . . يوم الذي ألقاه في موكب فخم جسّد فيه أمال العرب في اخذ حقوقهم المشروعة التي أهدرت منذ حكم أسرة بهلوي، لكن ذلك اثر في نفسية الكرمي وعيسى الطرفي عميق الأثر، لضحالة شخصيتهما وإعتبرا هاتين الزيارتين غزوا لنفوذهما ، فشكل الكرمي مركزا اسماه (مركز العشائر العربية) مقابل المركز الثقافي العربي والمنظمة السياسية العربية في المحمرة مع فارق بينهما وهو أن المنظمة السياسية العربية في المحمرة تمثل جميع عرب المنطقة وتحظى بتأييد الغالبية الساحقة من زعماء العشائر وشيوخ القبائل والتي كانت ترى الإمام الخاقاني زعيما روحيا سيتمتع العرب بحقوقهم في ظله خصوصا ، وقد تم النصر للجمهورية الإسلامية بفضل جهاده ومجهوده في المنطقة وارتباطه الوثيق بالخميني وتأييد المنطقة له ونفوذه فيها،وكانوا يشعرون أن احد الأسباب التي أرغمت الشاه على الخروج هو الوضع الاقتصادي المتدهور الذي كان لإضراب عمال النفط بفتوى الخاقاني وحكمه بذلك الأثر الأكبر فيه.

فخوزستان (الأحواز) هي عنق الثورة والعصب الرئيسي في الجمهورية ومن هذا المنطلق تمنى عربها أن يسعدوا في ظل الجمهورية الإسلامية،فأرسلوا وفدا من قبلهم إلى رئيس الوزراء مهدي بازركان بلائحة تتضمن مطالبهم وأهمها..
ـ تشكيل مدارس عربية لنشر الثقافة العربية التي هي الأساس في فهم القانون الإسلامي.
ـ مشاركة العرب الإيرانيين إخوانهم الفرس في الوظائف الحكومية والجيش ما حرموا منه طوال حكم الأسرة البهلوية و تعيين نسبة من النفط لتعمير المنطقة... الخ .

وعاد الوفد وكله أمل بما لاقى من ترحاب من قبل رئيس الوزراء الذي حمل الوفد كتابا لآية الله الخاقاني يعرب فيه عن الإخلاص ويتعرض لمشروعية المطاليب التي عرضها الوفد العربي، ووعد بان تدرج هذه الحقوق في الدستور الأساسي للجمهورية الإسلامية.

لقد أحدث هذا اللقاء ردود فعل في نفوس الفرس من سكان المنطقة، فاخبروا رئاسة الوزراء أن بعض أعضاء الوفد كانوا من اليساريين والشيوعيين،فانطبع ذلك في نفوس مساعدي رئيس الوزراء وقاموا أي الفرس بدعاية مركزة في هذا المجال..... وشكلوا لأنفسهم مركزا أطلقوا عليه المنظمة الثقافية العسكرية جعلوا مقره بالقرب من (المنظمة العربية) و(المركز الثقافي العربي) يتدربون فيه على حمل الأسلحة الحديثة استعداداً لمواجهة العرب و ذلك بإيعاز من الأميرال احمد مدني الذي زار أية الله الخاقاني وجابهه بقوله أن تحطيم العرب عنده كشربة الماء مما جعل الشيخ الخاقاني يهاجمه بخطاباته ويتهمه بنواياه السيئة والبعيدة عن الإسلام، وان معاملته مع عرب المنطقة لا تخدم سوى الاستعمار وأمريكا، واستطاع الإعلام أن يشوه المقصود من تصريحات الخاقاني هذه، حيث نقل للخميني بان الشيخ يتهم الثورة بأنها أمريكية وقد عاتبه عليها عند لقائهما في قم كما سنتحدث عن ذلك.

زيارة بازركان لأية الله الخاقانيك:

إن بازركان في ما يبدو لي مع عدة قليلة من الوزراء يكنون للخاقاني وداً ويقدرون مواقفه قبل الثورة وبعدها،على العكس من بعض مساعديه وجماعة من الوزراء ومجلس قيادة الثورة وأعضاء مكتب الإمام ،فإنهم ينظرون إليه من نقطتين متنافرتين تتنافى مع أهدافهم :

١ ـ انه عربي وإنّ له مكانة مرموقة في المنطقة والبلاد العربية خصوصا الخليج العربي، (وله من يرجع إليه بالتقليد) الذي لا يناله إلا من كان مجتهداً في أحكام الإسلام في المفهوم الشيعي الجعفري.

إن زيارة بازركان والوفد المرافق له للخاقاني كانت تاريخية،وكان قد قضى معه زهاء الأربع ساعات،وإئتم به في الصلاة،وتناول عنده الغداء، وصار له استقبال حار جدا تجمعت فيه عشرات الألوف من العرب على طول شارع أبي ذر ابتداء من السجن، وانتهاء بمقر القائم مقام أمتاراً عديدة، والجدير بالذكر أن هذا الشارع مسوّر من الجانب الشمالي بجدار طويل ليخفي الأكواخ التي يسكنها العرب في المنطقة عن المارة، وقد بني هذا الجدار في زمن الشاه المخلوع .

كان استقبال العرب لرئيس الوزراء على الطريقة العربية القبلية كاطلاق النار ذكرى أعادت إلى الأذهان استقبال أهالي بعلبك للإمام الصدر قبل أربعة أعوام . وكان الاستقبال غير منظم فالأهازيج ،والهوسات حسب اصطلاحهم لا تنسجم والتكتيك الفارسي، بحيث أن الرئيس لم يستطع أن يدلي بخطابه في مسجد الإمام الصادق، وهو المسجد الذي يقيم فيه آية الله الخاقاني الصلاة وأذاعه من راديو عبادان حيث خرج من منزل الشيخ إلى الإذاعة وهم لا يشعرون، كانت الجماهير تعبر عن ولائها للجمهورية الإسلامية وتقديرها لجهاد الإمام الخميني وموقف آية الله الخاقاني وتتمنى على الحكومة المؤقتة أن ترعى حقوق عرب المنطقة .

التهديد بالخروج عن إيران وأسبابه:

اشتد الخلاف بين العرب والعجم بعد زيارة بازركان لآية الله الخاقاني، فكان الفرس ينالون من شخصيته بالذات فقد صدر منشور موقع باسم «أهالي السوق» يهاجمه و يندد به وقد أحدث هذا المنشور رد فعل عنيف في نفوس العرب فتجمع من الأهواز (الأحواز) وأطرافها وعبادان وقراها وخرمشهر (المحمرة) ونواحيها جمع غفير من العرب المسلحين احتجاجا على ما جاء بالمنشور من إهانة لزعيمهم الديني، وتجمعوا في مسجد الإمام الصادق، وخرج أليهم الخاقاني ونصحهم بالرجوع إلى بلدانهم وأماكنهم ونهاهم عن إطلاق الرصاص لما فيه من تبذير للمال وإرهاب للناس، فتفرق الجمع وقفلوا راجعين إلى ديارهم.

وتوجه شباب المحمرة إلى المنظمة السياسية فحدثت بينهم وبين من كان من الفرس في (المركز الثقافي) بعض المناوشات التي أدت إلى التراشق بالرصاص ثم هجم العرب على المركز وأشعلوا فيه النيران، واسروا من بقي من الفرس وأرسلوهم إلى الخاقاني الذي فوجئ هو الآخر بهذا الأمر ففك أسرهم سريعا وأخلى سبيلهم .

لم يكن من السهل وقوع هذه الحماقة من الجانبين دون أن تترك أثرًا في نفوس المسؤولين وأيضا الخاقاني،فالعواطف إذا تحكمت رسمت خطة الدمار. ولا تتحكم العواطف إلا إذا فقدت الحكمة والتدبير ويبدو للمراقب أن عوامل قوية كانت تعمل من اجل تنشيط عملية الخلاف إلى هذا الحد الذي جر الويلات على المنطقة.

أصر الفرس على إخلاء المنظمة العربية و المركز الثقافي العربي، واستجابة لهم أصدر القائمقام «علوي» ثلاثة بيانات في يوم واحد أذيعت بالراديو تلزم العرب بالخروج من المكانين وتسليمهما إلى الحكومة خصوصا و أنهما قريبتان من مديرية الشرطة وأنهما ملك للدولة . وأصر العرب على البقاء بدعوى أن العمارتين من أملاك الشيخ خزعل أمير عربستان وقد اغتصبتا و مبنى مديرية الشرطة أيضا في زمن أسرة البهلوي. تصاعدت المهاترات، وبلغت أشدها مما حدا بالشيخ الخاقاني أن يعلن للسلطة تهديدا بالخروج من البلاد إذا لم تضع حدا لهذا الوضع المتردي، وقد قوبل تهديده بالاهتمام من قبل المسؤولين فطارت برقية من آية الله طالقاني وأخرى من بازركان و ثالثة من خميني ورابعة من آية الله شريعتمداري يطلبون منه المكث واستمرار الجهاد قائلين له «ولا تكن كصاحب الحوت».

زيارة خميني:

صمم آية الله الخاقاني على زيارة الخميني في مدينة «قم» للتباحث في شؤون إيران عموما والمنطقة خصوصا على رأس وفد يضم جميع زعماء القبائل العربية ورؤساء العشائر في منطقة عربستان ليمثلوا طوائفهم، وتحرك القطار بالمئات من العرب في ٧٩/٦/٢٤ عدا ممن سبقهم بالسيارات إلى «قم» حيث شكلوا للشيخ استقبالا حافلا، غير أن أجهزة الإعلام لم تشترك في نشر الأحداث و لم تشر إليها .

ومضت ثلاثة أيام ولم يأت الخميني لزيارة الشيخ حسب المتعارف واستغرب الوفد العربي ذلك، فأوهموهم بأنَّ العرف الفارسي يفترض أن يبدأ الشيخ بمقابلة الخميني ليقدم له التعزية بوفاة ولده السيد مصطفى و أن المصاب الفاقد يزار قبل أن يزور، والذي ينقض هذه القاعدة أن أجهزة الإعلام قد نشرت زيارة الخميني للشيخ محمد الشيرازي الذي أقام في قم أخيرا بعد أن أقصي من مقره في الكويت اثر تحركات اتهم بها، ومع ذلك فقد صمم الشيخ والوفد المرافق له على أن يبدأ بالزيارة لتقديم التعزية و التفاوض، وتم اللقاء بين الزعيمين سرًا، وأراد الخلخالي أن يتدخل ويشترك فقال له آية الله الخاقاني أن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فاني لا أبيح لك البقاء معنا فخرج. وقام الخميني في اليوم الثاني بزيارة الشيخ أعلن أثرها لوكالات الأنباء و الصحف أن التفاوض مع الخميني كان على تسع نقاط تم الاتفاق على ثمان منها كان من ضمنها ضمان حقوق العرب، وأن قلة وجود الرجال يجبرنا على إبقاء المدني محافظا لمنطقة خوزستان (الأحواز).

تجدد الاضطرابات:

في اليوم الثاني لوصول آية الله الخاقاني إلى قم وصلت إليه الأنباء بتجدد الاضطرابات في المنطقة، و أن العرب قد تحصنوا في المنطقة احتجاجا على طلب الحكومة وأعضاء «المركز العسكري» باخلاء العمارتين التابعتين للمنظمة السياسية العربية والمركز الثقافي العربي، وأن الفرس متحصنين أيضا احتجاجا على بقاء العرب في المنظمة.

أرسل الشيخ أخاه عيسى الخاقاني وهو من علماء المسلمين في دولة قطر في الثلاثينيات من عمره، وكان قد وصل إلى قم يوم وصول أخيه إليها - أرسله إلى المحمرة - بعد أن زوده بنداء ألقاه في مجلسه أمام الوفد لأعضاء المنظمة والمركز يأمرهم بالخروج منها ويحكم عليهم شرعا بإخلائهما لأنهما ملك الآخرين وصرح أن الحكومة أيضا ليس لها الحق في المكانين. ورأيت هنا أن أتوجه إلى المحمرة لاتابع الأحداث عن قرب بعد مجيء الخليفة الجديد الذي علمت انه كان غائبا عن البلاد بضع سنين، وهو يشغل منصبا دينيا كبيرا في الخليج العربي وكان قد زار الخميني مع وفد يضم أكثر من ثمانين شخصا قبل شهرين من زيارته الأخيرة التي كانت برغبة من أخيه آية الله.

كان الأهالي يترقبون مجيء الشيخ عيسى بعدما وزع منشور من مكتب آية الله الخاقاني، وكان آية الله الخاقاني قد أعلم السلطة المحلية بذلك وعند وصوله بالقطار كانت (الهوسات) العربية تتعالى من المستقبلين وهم يهتفون بلهجتهم «عزنه وهيبتنه الخاقاني».

وفي مجتمع حاشد في مسجد الإمام الصادق ألقيت خطابات من قبل العرب المتحمسين، ثم اختتم الحفل بخطاب الشيخ عيسى أبان فيه أن الجمهورية الإسلامية كفيلة بضمان الحقوق المشروعة لكل أفراد الشعب وأوصى الجماهير المحتشدة بان لا يعتمدوا على أعصابهم وألا تأخذهم الأحاسيس والعواطف وحذرهم من ألاعيب الاستعمار الذي يريد إثارة الفتن وإشعال نار الطائفية....

والحق أن خطابات هذا الشباب البليغ مدة بقاءه في المحمرة كانت تحوم حول الاتحاد وتهدئة الوضع، ورفع الشحناء بحيث كان لها الأثر في إخماد نار الفتنة إلى حد ما وقد زاد المتحصنين العرب والمتحصنين الفرس ونادى بالتكاتف ولشعور بالمسؤولية ويبدو من خلال خطاباته المتواصلة النقد اللاذع للجهات الدينية في المنطقة فهو يتهمهم بالغفلة عن التربية الصحيحة للنش والأفراد بحيث أنهم فقدوا المناعة تجاه هذا الجرثوم الفتاك.

اجتمع به في الليلة الثانية أعضاء الحكومة بعد أن استمع إلى مطاليب العرب وخرج بنتيجة و هي إخلاء المبنيين إلى مكان أخر تهيأه الحكومة وتتعهد بتكاليفه وإيجاره لمدة سنة. وأعلن عن مجيء آية الله الخاقاني إلى المحمرة يوم ٧٩/٧/٤ وتأخر القطار ساعة في الجبال لوصول أنباء عن لغم في السكك الحديدية، وساعتين في الأحواز للحشد البشري الغريب الذي جاء لاستقبال الشيخ في المحطة.

وقد ألقى الشيخ فيهم خطابا طمأنهم به كخطابه الذي ألقاه في المسجد عند وصوله عصر الاثنين.

وفي عصر الثلاثاء ٧٩/٧/٥ اجتمع بالزعماء وشيوخ القبائل العربية وذكر لهم أن المصلحة تقتضي خروج الشباب من العمارتين المعهودتين، فامتثلوا لأوامره وتم الاتفاق على الإخلاء يوم الأربعاء (غدا ٧/٦) و في الخميس يتوجه الشيخ ليسلم المفاتيح.

ووصل (مدني) محافظ المنطقة إلى المحمرة قادما من الأحواز وفي مساء الأربعاء بعث آية الله الخاقاني إليه أخاه عيسى واثنين من رجال الدين ومدير البلدية ليطلعوه على اتفاق الخروج، ولكنه جابههم بأن العرب يجب أن يخرجوا غدا لا بعد غد، وبعد حوار ساخن مع الشيخ عيسى اقتنع ولكنه اعترف بأنه يواجه ضغطا من الفرس، وقال له عيسى «أمل ألا يكون بصحيفة أعمالك قطرة دم من إخوانك» وتم الاتفاق على أن تمنع المسيرات العربية والفارسية التي كان من المقرر أن تتم يوم الأربعاء وفي يوم الخميس يتم الخروج.

خرج الشيخ عيسى في الثانية من منتصف الليل، الأربعاء، مبتهجا باتفاق السلام وهو لا يعلم أن اجتماعًا مضادًا آخر قد تم مع بعض الزعماء العرب مثل عبد العزيز الفاضلي وعبد الرحمن الكعبي، وداوود بن سليمان الربيعي ومكي الفيصلي وحسين بحراني ورجال الدين سيد علي بن محمد علي سيد عدنان، وعمه سيد شبر ابن سيد عدنان من العرب وسيد محمد تقي الموسوي وشيخ عبدالله محمدي من العجم، بينوا لهم أن الإخلاء بأمر الخاقاني يشكل نقطة ضعف لهم وللحكومة، فإخراجهم الليلة حتمي ولابد من ضربهم فامتنع مكي عن الإمضاء وكذلك سيد شبر.

وفي الثالثة والنصف من صباح الأربعاء ٧٩/٧/٥ تم الهجوم على المنظمة والمركز الثقافي وعلى مناطق أخرى خصوصا بيت الفيصلي وأصبحت المنطقة نارًا لاهبة، واشتركت الدبابات والزوارق الحربية وانتشر الملثمون في كل الأماكن، ومن المؤسف أن نشاهد قسوة كهذه إذ كانوا يقتلون كل من يجدون من العرب.

أردت الذهاب إلى بيت آية الله الخاقاني فلم أوفق لخطورة الموقف وحاولت الاتصال هاتفيا فلم يكن هناك هاتف. وحتى يوم الجمعة بلغت الضحايا ما يقارب المائتين، أما الجرحى فقد اكتظت بهم أربعة مستشفيات. والذي يثير العجب من تخطيط الشيخ الخاقاني أن توافدت إليه وفود من رجال العرب من أقطار المنطقة قائلين «لا تصبر على ذل» فيقول «لا تضربوا أحدا ولا تحملوا السلاح» ولا ادري هل كان الدفاع عن النفس أيضا لا يجوز في اجتهاده؟

كان الخاقاني متعقلا جدا حيث قوبل من الجهات العليا وكبار المسؤولين في الدولة بأنَّ عمل (المدني) محمول على الصحة واعتبر ذلك تحديا سافرا وتثبيتا ضده خاصة وضد عرب المنطقة عامة.

اتجه الخاقاني بعد أن يئس من الإعلام الداخلي إلي الجهات السياسية والأحزاب والهيئات العلمية وطلب منها إرسال وفود لتقصي الحقائق. واعتصم العرب في مسجد الإمام الصادق بالألوف وإستمر اعتصامهم مدة أسبوعين، وبدت المسيرات رافعة أعلامها،نساء ورجالا من المنطقة كلها، وتوافد الشيوخ وزعماء القبائل وقدمت الوفود السياسية من طهران، منها جمعية حقوق الإنسان وسائر الأحزاب، وتكهرب الجو وأحيط وتصرفه سياسيا وإعلاميا، وهرب كثير من الأعاجم من المحمرة وغصت السجون بالعرب وأعلن المعتصمون إدانة المدني وزمرته وطالبوا بمحاكمته وبالإفراج عن السجناء وما إلى ذلك.

ورجعت الوفود السياسية بإدانة المدني على الجريمة النكراء التي ارتكبها في حق المواطنين العرب وذهب المدني إلى طهران وقم وعاد معلنا التوبة.

اتفاقية الخاقاني ومدني:

كان الرعب مهيمنا على الأميرال مدني عندما دخل على أية الله الخاقاني مع جملة من العلماء بعد أن رأي الشيخ بإلحاح من السيد «اليأس» احد علماء الدين المقربين إليه، واختتم المجلس على اتفاقية موقعة من الجانبين نشرتها أجهزة الإعلام في اليوم التالي. وهي تنص على إدانة المسببين لهذه الحرب ومحاكمة القاتلين وإدانتهم و تسليم دية المقتتلون لذويهم، وتعهد أرامل الشهداء ويتاماهم حتى يبلغوا سن الرشد القانوني والشرعي . والعمل الجدي على تعمير البلاد ...الخ. وتكررت زيارته للشيخ وكان يقول له «أن من محاسن ديننا انه يقبل التوبة».

واتصل هاتفيا بعلوي القائمقام «أريد أن أتعشى عند أية الله لأكون رهن الملح لديه» وعقد الشيخ عيسى الخاقاني أخو آية الله الخاقاني مؤتمرا صحفيا شرح فيه سعيه الجاد لإصلاح ذات البين وأجاب على بعض الإشاعات غير الصحيحة والمغرضة، وما ينشر في الصحف من أكاذيب وتضليل وافق مع حرس الثورة والقائمقام على القيام بخدمات للشعب المنكوب وتم اجتماع مع موظفي الدولة والمسؤولين في مبنى القائمقامية في المحمرة، من أجل إيجاد الطب الوقائي لأهل القرى وتسهيل المواصلات، وبناء مدارس جديدة ومد أنابيب المياه وإيصال الكهرباء والهاتف لهم وتوزيع المواد الغذائية الأولية إليهم وتكوين جماعة من العرب في مراكز الحدود لمساعدة الدرك وأعداد آخرين في حرس الثورة وتسجيل ألف عامل منهم في مشاريع عمرانية أهمها إيجاد جسر جديد في وسط البلد، وتأسيس مركز ثقافي عربي إسلامي يقوم بنشر الثقافة العامة والإسلامية وتدريس اللغات، العربية والفارسية والإنجليزية وصدر مرسوم من القائمقام علوي بأمر الأميرال مدني بمساندة هذا المركز الجديد ماديا ومعنويا وستبدأ الحكومة «بأسم المركز» بطبع جميع مؤلفات أية الله الخاقاني المطبوعة منها وغير المطبوعة ونشرها بالمجان وتوزيعها على كبريات المكاتب في الداخل والخارج.

وعلى اثر ذلك سافر الشيخ عيسى الخاقاني إلى طهران وقم ليطلع المسؤولين والإمام على أخر التطورات وما ينبغي اتخاذه وأجراؤه في المنطقة لتعود إلى السلام من جديد. واجتمع برئيس الوزراء ووزير الداخلية ووزير الخارجية وبالمدعي العام لقيادة الثورة وبرئيس مجلس قيادة الثورة والخميني في مدينة قم، ونشرت الصحف هذه المحادثات وكان أهم ما فيها معاملة عرب المنطقة باللطف لا بالعنف وإعادة الإذاعة العربية في عبادان والاحواز كالسابق ومشاركة العرب في مجلس الخبراء ورفع الرقابة عن أخبار المنطقة وإرسال خطباء عرب إلى الجامعة الإسلامية في قم في شهر رمضان المبارك للدعوة الإسلامية.

اعتداء الخلخالي:

عاد الشيخ عيسى الخاقاني وبقيت الأنظار تترقبه ولم ينجز أي شئ مما وعد. وإذا بوكالات الأنباء في الداخل والخارج تنشر تصريحا غريبا من الخلخالي يهدد فيه آية الله الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقاني بالقتل كمظهر من مظاهر الإنسان الثوري، أحدث هذا التصريح ردود فعل عنيفة واستمرت المسيرات بعشرات الألوف من العرب في المناطق العربية تطلب إدانة الخلخالي و إيقافه عند حده... وتوافدت وكالات الأنباء والصحفيون من أوروبا وأمريكا إلى المحمرة لمقابلة الزعيم الديني الكبير في المنطقة وجاء مندوب مجلة فردوس واشوسيتد برس التي نشرت مقالة الخلخالي. وتفجر الوضع، وعلت صرخات المطالبين بإنجاز الاتفاقية وكثرت الاتصالات واستعملت الحكومة نهج تجريد العرب من السلاح واتهمت العراق بالتدخل والتسليح واتهمت الفلسطينيين بإيجاد القلاقل وصرح مدني بأنَّ جورج حبش دخل المنطقة من الفلاحية (الدورق) وان عناصر بعثية وشيوعية تعمل بنشاط وأنهم يريدون الانفصال وأعلن آية الله الخاقاني أن مدني لم يف بالعهد ولم ينفذ بنود الاتفاقية وأن هذا التصرف ليس إسلاميا وهو يجر المنطقة إلى ويلات.

المدني وزعماء القبائل:

بعد أن رجع المدني من قم وطهران بمائة وعشرون مليون تومانًا من أجل الإصلاح والعمران وتوجه إلى الدورق حيث عشائر كعب،رفع أهلها الأحذية أمام وجهه،وعند رجوعه إلى الأحواز نظم عرضا عسكريا دعا إليه جميع رؤساء وشيوخ العشائر وكثف نشاطه بالارتباط بهم واستولى على أسلحتهم بالشراء تارة وبالهبة تارة أخرى،وقد بايعه كثير منهم متناسيا انه قد بايع آية الله الخاقاني زعيمًا دينيًا وقائدًا،وكان إذا جاء إلى المحمرة يزور علماءها الصغار كسيد علي بن سيد محمد علي وعمره في العشرينيات والمعروفين بعضويتهم في السافاك كسيد شبر عدناني، ولا يتصل بالإمام الخاقاني، وأصدر أوامره بتمشيط المنطقة وفي أربعين الشهداء خرجت المظاهرات بعشرات الألوف تدين مدني وتصرفاته العنيفة الفاشية مع المواطنين العرب، وتجمعوا في المسجد وقرؤوا منشورا بمطاليبهم أهم ما جاء به إلغاء اتفاقية الخاقاني والمدني لأنها لم تطبق .

وفي اليوم الثاني ١٥ شعبان ٧٩ كانت المسيرة أضخم وأخطر وسألتُ الشيخ عيسى الخاقاني وكان يطوف حول المسيرة «بلغني أن عناصر اندست بين المتظاهرين تريد هدم السجن وتفجير بعض الدوائر فخرجت للمحافظة على الأمن ولئلا يقع شئ من ذلك».

تفجير الوضع:

كانت الانفجارات تدوي في عبادان والأحواز والمحمرة ونواحيها بعد قمع الحرس مظاهرة سلمية خرجت يوم ١٦ شعبان ٧٩ بمناسبة أربعين يوما على شهداء عبادان فانفجرت أنابيب النفط والغاز في الأحواز وقتل احد أفراد حرس الثورة أثناء هجومهم على بعض البيوت ليلا وقد شيع تشييعا رسميا وسط مظاهرات معادية للعرب وفي اليوم الثالث من الحادث خرجت مسيرة في المحمرة من قبل الفرس وأمامهم رجال الدين «سيد شبر» وسيد عبدالله محمدي، وسيد موسوي وأعضاء الحكومة،ودخلوا المسجد الجامع ، فانفجرت هناك قنبلة قتلت سبعة أشخاص وجرح آخرون...

فتوجه الحرس توًا وبدون مقدمة إلى دار آية الله الخاقاني وحاصروه وقتلوا حرسه وهجموا على غرفته وأطلقوا الرصاص عليه فتفاداه رجلان مات احدهما وجرح الأخر وفتشوا الدار واخذوا جميع من فيها من دراهم وحلي، وتركوا النساء في غرفة مع الشيخ حتى الليل ثم اخذوا حرم الشيخ وأطفاله إلى سجن (فتح) بقصد إرهابهم وقتلوا أمامهم ثلاثة أشخاص من العرب ثم أرجعوهم . وفي الصباح اخذ أية الله الخاقاني إلى جهة غير معلومة مع أهل بيته وأعلنت الصحف أنهم وجدوا أسلحة في بيته . وهذه الأسلحة تعود إلى حرسه الذين كانوا يتناوبون كل ليلة للمحافظة على حياته. وتمت إعدامات كثيرة تلك الليلة واستمرت حتى الآن حتى لم يبق من أنصار الخاقاني والمخلصين له إلا وتم سجنه أو إعدامه وكان المدني قد ترك الشيخ الخاقاني وأسرته في منطقة الأحواز ثم شخص به إلى قم مخفورا حتى هذا اليوم، حيث لا يدخل عليه احد حتى المراجع ورجال الدين وقد احتل بيته ومدرسته، وعندما غصّت السجون والمدارس للعرب جعلوا الدار وملحقاتها سجنا للعرب البؤساء .

ومر العيد حزينا في المنطقة خصوصا في المحمرة عيد قد كسي بالسواد، وقوبل بالحداد...

النفوس كسيرة، حزينة، في كل بيت ناع ونادب، كانت وليمة المدني لشيوخ العشائر في الأحواز لها أثرها في نفوسهم، قطعت منهم شرايين الإحساس.

بيان آية الله الخاقاني

كررت الإذاعة الحكومية في طهران والأحواز بيانا لآية الله آل شبير الخاقاني ليعلن فيه مساندته للخميني و يأمر الناس ألا يضيعوا متاعبه، وانه إنما جاء إلى قم من اجل التدريس في جامعاتها، فقها وأصولا وفلسفة، وانه ليس مخفورا ولا مراقبا كما تدعي بعض الصحف والإذاعات.

كان غريبا من نوعه، أثار أكثر من علامة استفهام......

تركت المحمرة الحزينة وتوجهت إلى مدينة قم عسى أن يكون قد رفع الحصار عن الشيخ ولكني فوجئت بالواقع، أن الشيخ وعائلته في بيت في محلة اسمها (ورشهر) في قم لا يمكن الدخول إليه وبقيت عدة أيام أتابع الوضع المتردي في كردستان الذي فتح ثغرة أخرى أمام الحكومة والقائد الأعلى للقوات المسلحة.



٤ ـ ملحق إضافي .. أوراق إيرانية: الإرهاب المقدَّس:

مقدمة : هذا الملحق الخاص بالكراس ارتأينا إضافته للكراس ، لأنه يساهم من زاوية علمية وعملية في تعميق الرؤية السياسية العربية للسلوك السياسي الإيراني، ويخص كيفية يتبدى الحقد الفارسي على العرب والمسلمين الحقيقيين المدافعين عن المبادئ القويمة ، تجدر الإشارة إلى أنَّ الدكتور الراوي كان هو آخر سفير شرعي لجمهورية العراق في إيران.

«بصرف النظر عما قيل ويقال عن مدى صحة محاولة اغتيال سفير السعودية بواشنطن في اكتوبر ٢٠١١، فإنها لن تشكل إلا رقما آخر على لوحة العمل الإرهابي المفتوحة على كل الاحتمالات القائمة. والإرهاب في العقل السياسي الإيراني الحاكم نهج ثابت اعتمدته ولاية الفقيه الإيرانية منذ قيام تجربتها الدينية في فبراير ١٩٧٩.

مقاربة تاريخية :

الإرهاب الرجعي المسلح تحت العباءة الدينية واحد من أبرز احتجاجات الثيوقراطية الإيرانية على العصر والتاريخ والعقلانية، وهو أيضا التعبير العملي لـ«خرافة الوصاية المتوهمة» التي تضخم بها وجدان المرشد الأعلى، حتى أصبحت لدى الخميني وخامنئي من بعده عقيدة راسخة ويقين مؤكد، فيما تبرهن العقيدة ذاتها على عجز السلطة الثيوقراطية في إقامة علاقة سوية مع دول الجوار الجغرافي ومع الشعوب والأمم الأخرى، ولم يعد بوسع ولاية الفقيه إزاء أوهامها الذاتية وانكفائها على فكرياتها الأحادية، إلا أن تجبر «الآخرين» بقوة السلاح على اعتناق أيديولوجيتها، وتبني مفاهيمها السياسية، امتدادا لتقاليد لاهوتية غارقة في الظلاميات الإرهابية فاصطنعت من العقائد الدينية سلاحًا إرهابيًّا لتصفية خصومها.

فالشاه إسماعيل الصفوي (١٤٨٧م ـ ١٥٢٤م) مؤسس الدولة الصفوية في إيران كان يعتقد اعتقادًا جازمًا إن الله اصطفاه من بين العالمين من أجل سعادة المسلمين، وكان التعبير العملي لجلب هذه السعادة هو اجتثاث رؤوس المعارضين والإطاحة بأعناق الخصوم، وكان يعتقد أيضًا بأنَّ هاتفاً غيبيًّا يدفعه ويرشده، وأنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الإثنا عشر، وأنه معصوم وليس بينه وبين الإمام المهدي أي فاصلة، وعندما فتح تبريز قال: (أنا مكلف بذلك، وإن الله والأئمة المعصومين معي وإني لا أخاف أحداً، فإذا وجدت من الناس كلمة اعتراض شهرت سيفي بعون الله فيهم فلا أبقي أحداً منهم حيًّا).

إن فلسفة الإرهاب وقدسية العنف التي يتميز بها نظام رجال الدين حكام إيران تستمد جذورها التاريخية من الحقبة الصفوية، حيث نجد أَوْجُهًا كثيرة الشبه بين المذهب الصفوي ونظام ولاية الفقيه الحاكم، وإن المقاربة بينهما تتمثل في وقائع عديدة من بينها :

١ـ اعتماد العنف كوسيلة أساسية في ملاحقة الخصوم.

٢ ـ اتباع فكرة الموالاة والبراءة.

٣ـ النزعة التوسعية عبر الاحتلال والضم القسري.

٤ـ الاعتقاد بالغيبيات والعمل على ترويجها.

٥ـ اعتماد اللغة الفارسية وسيلة وحيدة للتخاطب في البلاد وفرضها بالقوة القسرية على القوميات والجماعات الإثنية واعتبارها اللغة البديلة للغات الأخرى في عموم إيران.

تشكل المرتكزات الخمسة حجر الزاوية لنظام الولي الفقيه، فالشاه إسماعيل الصفوي عندما حاول نشر الدعوة لأول مرة في تبريز عاصمة إقليم أذربيجان دعا وجهاء أهلها إلى الاجتماع في إحدى ساحتها العامة وطلب منهم سب الخلفاء الراشدين الثلاثة، وعندما رفضوا ذلك فإنه قام بقتل ما يقارب أربعة آلاف مواطن، وهذا السلوك الدموي نجد مثيله لدى قادة الثورة الإيرانية بإقدام النظام على تقتيل الخصوم وإعدام المعارضين، وكان أول رصيد دموي له يتمثل في سلسلة المجازر البشعة التي ارتكبت بحق الشعب العربي الأحوازي في أوائل ١٩٨٠، وكذلك المجازر التي ارتكبت بحق الشعب التركماني والأكراد وسائر القوميات الإيرانية الأخرى، دون رادع من ضمير. حيث نجد تجليات هذا العنف في تصريحات آية الله صادق خلخالي الذي خاطب بها الشعب العربي الأحوازي الذي كان يطالب بحقوقه القومية إبان انتصار الثورة ١٩٧٩، قائلا: (سنملأ شط العرب بالدماء ولن نسمح بذلك أبداً)، كما ذكر في مذكراته التي نشرتها جريدة همشهري في عددها العاشر لعام ٢٠٠١ قائلا: (لقد قتلت الكثير من الشعب الكردي والعربي وبقايا النظام الملكي، ولكنني لست نادمًا ولا يعذبني ضميري).!!

ويقول الجنرال أحمد مدني الذي عينه الخميني حاكماً على الأحواز: (إن العرب يثيرون الشغب، وسأشرب من دمائهم إذا استمروا في الضغط من أجل المطالب). ولم يدخر الجنرال البحري جهداً في قمع الأحوازيين حيث عمد في الثلاثين من مايو عام ١٩٧٩م إلى ارتكاب مذبحة الأربعاء الأسود في مدينة المحمرة أباد فيها خلال ثلاثة أيام فقط أكثر من خمسمائة رجل وامرأة وطفل أسوة بسلفه الجنرال زاهدي قائد الجيش الإيراني الذي ساق أكثر من ألف وخمسمائة شيخ عشيرة ووجيه ورجل دين عربي وأجبرهم على المشي سيراً على الأقدام في الجبال والطرقات الوعرة وبمسافة تزيد عن 1300كيلومتر لم يصل منهم سوى العشرات ليموت اغلبهم فيما بعد في سجون رضا خان بهلوي.، يصف الدكتور عباس الطائي الرحلة الطويلة بـ(قافلة الحب والموت)، ويقول عنها: هذه ملحمة مأساوية،عاش بعض أبطالها بيننا، فسمعناها من أفواههم وأخذناها عن مذكراتهم. قافلة الحب والموت تجسيد عنيف للقهر والظلم والتعذيب وشاهد حي على وحشية الإنسان.

وعودة إلى التاريخ الذي أفاض في سرد أحداث الملك المتجبر إسماعيل الصفوي، كان أول ما فكر به هو احتلال العراق حيث تسنى له بسط سيطرته على بلاد الرافدين. وتفيد المدونات التاريخية أنه استخدم ضد أهلها والمدن العراقية التي خضعت لاحتلاله الإرهاب الفكري على نحو مذهبي ذميم، نفس الأسلوب الذي كان قد استخدمه من قبل بحق (الأتراك الآذريين) لقد اتخذ الشاه الصفوي كما يقول الدكتور علي الوردي في كتابه «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» من إجبار المواطنين على (سب الخلفاء الثلاثة) كوسيلة لامتحان العراقيين في موالاتهم للمذهب الصفوي.

وفعل المرشد الأعلى السيد الخميني الشيء نفسه عام ١٩٣٩ في كتابه (كشف الأسرار) فقد كرس فصولا مطولة للنيل من الخلفاء الراشدين، وإذا كان إسماعيل الصفوي اكتفي بشتم أبي بكر وعمر وعثمان فإن المرشد سعى إلى تكفير لخلفاء الراشدين الثلاثة، وتكفير من يواليهم وقضى بخروجهم من ملة الإسلام.

ولم يكد يستقر المقام بالخميني بعد عودته إلى إيران عام ١٩٧٩ حتى ابتدع نظرية تصدير ولايته الأممية، لم يشأ تصديرها إلى أي من جيرانه المسلمين الآخرين سواء في الباكستان أو أفغانستان أو تركيا، بل اختار البلدان العربية وفي مقدمتها العراق تمامًا كما فعل الشاه إسماعيل الصفوي رافعًا شعار («كُلُّ يَوْمٍ عاشوراء وكل أرض كربلاء») و(طريق القدس يمر عبر كربلاء)، وكان من نتائج هذه الفكريات التهديدية اندلاع الحرب العراقية الإيرانية العراقية التي راح ضحيتها الملايين من كلا البلدين سبقها ومهد لها الخميني بعدد من العمليات التخريبية والإرهابية في بغداد مع محاولات اغتيال وتصفية جسدية لعدد من العراقيين..

النظام السياسي الإيراني لم يألُ جهدًا من إتِّباع سياسة مبرمجة ومنظمة لبث الفرقة بين صفوف المسلمين عبر إحياء سنن وعادات من شأنها أن تبث روح العداء بين أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى، وهو نهج دأب عليه الإعلام الإيراني الرسمي وغير الرسمي تمامًا كما هو الحال في الفكر الصفوي).

(في زمن غيبة الإمام المهدي، تعتبر ولاية الأمر في جمهورية إيران الإسلامية بيد الولي الفقيه)...، ومن مفارقات الجمهورية الإسلامية مفارقة التفسير العرقي للدين فالفرقة الناجية تقتصر حصريا على الشيعة «الآريين» دون غيرهم من الإثنا عشرية، فالفرس هم المؤمنون الذين تفتح جنات النعيم أبوابها لاستقبالهم، ولهم الأفضلية في العالم الدنيوي؛ يتمتعون بجميع الحقوق الشرعية والامتيازات الدينية، ولهم أيضا ولاية الأمر وسياسة الرعية، فيما يحرم المسلمون الآخرون من من هذه الحقوق، إذ يحظر على المذاهب الإسلامية الأخرى التبليغ الفقهي ولا يحق لهم بناء دور للعبادة لأتباعهم خارج مناطق تواجدهم.

وعلى غرار المذهب الصفوي في إتباع العنف يرى المحافظون من أنصار المرشد الأعلى بأن هناك جرائم حسب ادعائهم لا تتطلب الحاجة الرجوع فيها للقاضي ومن حق أي موالٍ بالغ للرشد أن يبت بها وينفذها من غير الحصول على رخصة شرعية، وقد يصلُ الأمر إلى تنفيذ عقوبة الإعدام.

ثمة هلاوس سمعية وبصرية نلمس أصداءها اليوم في تصريحات الغالبية العظمى من قادة نظام ولاية الفقيه، حيث يعتقد أنصار هذا النظام أن الإمام المهدي يخصهم دون غيرهم للاجتماع به وتلقي أوامره، وتحفل خطابات أحمدي نجاد بهذا الضرب من التهويمات، وقد صرح لأكثر من مرة بأنه يتلقى أوامره من أئمة أهل البيت، وتحديدًا من صاحب الزمان، وأن هالة الإمام المهدي تراءت له وهو يلقي خطابه في هيئة الأمم المتحدة.

كما يشترك الرئيس نجاد مع الشاه إسماعيل في انتهاج العنف الدموي، وهو الأسلوب المفضل لدى نجاد الذي جرت تحت رئَاسَتَيه الأولى والثانية حملات القتل والإعدامات الجماعية بحق شعب الأحواز، ومواجهة المطالب المشروعة بهذه الأسلوب العنيف لا يعدو أن يكون جزءًا من سياسة أيديولوجية نظام ولاية الفقيه التي تستمد جذورها من الفكر الصفوي.

١ـ الصفحة الإرهابية الأولى :في الشهر الرابع من قيام الثورة الخمينية زرعت ولاية الفقيه أصابع الديناميت في قلب بغداد، وأطلقت الرصاص على أطفال المدارس، وفي مطلع نيسان – ابريل ١٩٨٠ تسلل إرهابيو حزب الدعوة الإيراني إلى حرم الجامعة المستنصرية فأنزلوا الموت في رحابها.. وراح ضحيتها الطالبة فريال.. وفي الوقت نفسه وبذات التاريخ جرت محاولة اغتيال بعض مسؤولي الدولة، ولم تتوقف ماكنة الموت الإيرانية فقد حصدت أرواح مئات العراقيين عبر سلسلة من التفجيرات من بينها ؛(وكالة الأنباء العراقية، سينما النجوم، سينما الخيام) في عام ١٩٨١، وقد راح ضحية هذه التفجيرات ما يقارب ثلاثمائة شخص عراقي.

٢ـ القنابل البشرية : منتظرو الشهادة : منظمة عريقة أستحدثها الخميني في مايو عام ١٩٨٠ أطلق عليها في البداية (جند الإمام) منظمة ذات طابع سري ترتبط من حيث التمويل والتجهيز والإعداد والمهام بمكتب مرشد الثورة.

تضم المنظمة عناصر من أحزاب ولاية الفقيه في العراق ومنطقة الخليج العربي تم تجنيدها تحت عنوان تعبوي (أعمدة الجنة) و (منتظرو الشهادة) تزج بالمجندين بعد أن تجري عملية غسل أدمغتهم في أحد المعسكرات السرية حيث يتلقون تدريبات خاصة في دورة تحمل اسماً رمزياً (القنبلة البشرية) فيجري إعدادهم للقيام بالعمليات التخريبية ذات الطابع الانتحاري، وقد قام عشرات من هؤلاء تنفيذ عشرات العمليات في عقد الثمانينيات، وقد استأنفت نشاطها الإرهابي عقب الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣،وقد ألزمت إدارة المعسكر المجندين: قبل الشروع في تنفيذ المهام الدموية، إجراء مراسيم توديع عوائلهم وأصدقائهم، وتحرير وصاياهم.

وباستحداث (القنبلة البشرية) أو «الاقتحام الانتحاري» دشنت ولاية الفقيه ضربًا جديدًا من الإرهاب الجمعي كانت العملية الأولى ؛ الهجوم على مبنى الإذاعة والتلفزيون في منطقة الصالحية عبر شاحنة كبيرة «لوري» وأسفر عن مقتل العشرات من الموظفين والمراجعين العراقيين في ثمانينات القرن الماضي.

وبالتنسيق مع حزب الله وحزب الدعوة نفذت المخابرات الإيرانية بتاريخ (١٩٨١/١٢/١٨) وبأسلوب القنبلة البشرية عملية تفجير السفارة العراقية في بيروت بواسطة شاحنة مفخخة قادها أحد عناصر حزب الدعوة الإيراني ويدعى «أبو مريم»، وتعد واحدة من اكبر جرائم الإبادة الجماعية، راح ضحيتها عشرات من المواطنين العراقيين واللبنانيين ومن ضمنهم زوجة الشاعر «نزار القباني» «بلقيس الراوي» والتي انشد فيها الكثير من القصائد، ليس لان بلقيس زوجته، بل لأنها كانت إحدى «المناضلات» أيام الثورة الفلسطينية لذلك فقد أقيم لها تشييع رسمي حضره ياسر عرفات بنفسه وجرى دفنها في مقبرة الشهداء.

وتوالت القنابل البشرية الإيرانية الصنع في عمليات خطف وتفجير طائرتين عراقية وأخرى كويتية.

٣ـ سفينة انتحارية : أوردت وكالة «فارس» الإيرانيّة نبأ يفيد منع السلطات الإيرانية مركبين من التوجه إلى البحرين تضامنا مع حركة مايسمى بـ(ثورة ١٤ فبراير) وقدتم إيقاف المركبين قبل أن يشرعا في الإبحار من ميناء داير في محافظة بوشهر على الخليج. وأكد مهدي أقراريان أحد منظمي الرحلة إلى «وكالة فارس»(AFP) انه لا يوجد أشخاص مسلحون في المركبين، مشيراً إلى أن الناشطين يسعون إلى تقديم دعم معنوي من الشعب الإيراني في شكل خمسة آلاف رسالة للتعبير عن التضامن مع الانتفاضة التي قمعتها بشدة سلطات البحرين. فيما نشر التلفزيون الإيراني تحقيقاً مصوراً عن المتطوعين الذين القوا رسائلهم في البحر وقفلوا راجعين. وكانت عناصر من قوات الباسيج التابعة للحرس الثوري الإيراني قد أعلنت عن تسيير رحلة بحرية إيرانية إلى مملكة البحرين للدفاع عن شعبها، حسب زعمها وعلى لسان مهدي أقراريان أحد قياديي الباسيج المحافظ، حيث خاطب أنصاره الذي ادعى : «أمرنا الإمام الخميني بالدفاع عن الشعوب المظلومة في العالم، لذا سنذهب لنصرة البحرين بحراً مهما كلف الثمن».!!

كما أعلن لأنصاره عن تسيير رحلة بحرية إيرانية إلى مملكة البحرين قائلاً: «لن نخشى أي شيء في حركتنا هذه التي تعد واجباً إنسانياً، وسوف نوصل رسالة الشعب الإيراني إلى الشعب البحريني».

وقال أقراريان إن المنفذ الأساسي لإيفاد القافلة البحرية إلى البحرين لن ينتظر موافقة من أحد، لأن تسيير القافلة واجب ديني وإنساني، وإنه مستعد للموت إذا تم اعتراض القافلة من قبل الجيش البحريني.

٤- وبتاريخ (١٩٨٥/٣/١) قام حزب الدعوة وبإشراف مسؤول المخابرات الإيرانية في الكويت بعملية اغتيال «هادي عواد سعيد» مساعد الملحق الثقافي في السفارة العراقية في الكويت حيث قام أربعة عناصر من حزب الدعوة بقتله هو وولده في منزلهما.

٥- فيما كلفت إيران حزب (الدعوة) بإفشال مؤتمر القمة الإسلامية في الكويت بوصفه مؤتمراً معادياً لمصالحها، وقد قام المرتزقة بتاريخ (١٩٨٦/١/٢٢) بتفجير سيارة مفخخة خلف فندق المريديان في الكويت، والفندق كان يقطنه مجموعة من الإعلاميين والصحفيين من المعنيين بتغطية أعمال المؤتمر.

٦ - مجزرة ميكونوس (١٩٩٢) أدانت محكمة ميكونوس الألمانية كاظم دارابي بالسجن المؤبد، لاتهامه بالمشاركة في اغتيال زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني وثلاثة من رفاقه في مطعم ميكونوس عام 1992. ويشير الدكتور علي نوري زادة إلى وجود صفقة بين برلين وطهران بشأن الإفراج عن كاظم دارابي المتهم الرئيسي في القضية التي تعرف باسم «مجزرة ميكونوس»، في إشارة إلى مطعم شرقي في برلين، حيث اغتيل زعيم الحزب الديمقراطي الكردي الإيراني الدكتور صادق شرفكندي وثلاثة من معارضي النظام الإيراني، إثنان منهم من مساعدي شرفكندي في ليلة ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٢ على أيدي خلية تصفية تابعة للاستخبارات الإيرانية التي كان يقودها كاظم دارابي، فيما تسربت أخبار تفيد بأن الإفراج عن دارابي المحكوم بالحبس المؤبد قد يتم في إطار اتفاق سري جدا على غرار الصفقات السابقة بين إيران وألمانيا والتي مهدت لإفراج إسرائيل عن سجناء حزب الله مقابل رفات الجنود الإسرائيليين حسب الظاهر.

تجدر الإشارة إلى إن ألمانيا سبق أن أفرجت عن مواطنين لبنانيين من عناصر حزب الله عباس رايل ويوسف أمين اللذين أطلقا النار على شرفكندي ورفاقه بمطعم ميكونوس لتسهيل عملية تبادل الأسرى ورفات الجنود بين إسرائيل وحزب الله كما جرى الإفراج عن المتهم الثالث محمد عتريس أيضا بلا ضجيج. وفي إطار صفقة أخرى، أفرجت السلطات الإيرانية، بموجبها عن سجين ألماني لفقت الاستخبارات الإيرانية ملفا مثيرا ضده.

ومن المعروف أن ألمانيا ومنذ أواخر الثمانينات من القرن الماضي لعبت دوراً رئيساً في صفقات تبادل الأسرى والمخطوفين في لبنان بسبب علاقاتها الوثيقة مع إيران من جهة ونفوذها لدى إسرائيل من جهة أخرى. وبالنسبة لقضية ميكونوس فقد ظلت انعكاساتها عائقا حيال عودة العلاقات الإيرانية الألمانية إلى سابقها، ولولا انتخاب محمد خاتمي الذي تمكن بدبلوماسيته الهادئة من فتح صفحة جديدة في علاقات إيران مع الاتحاد الأوروبي بشكل عام وألمانيا وفرنسا وايطاليا بوجه خاص، لكان قرار سحب السفراء الأوروبيين من إيران عقب إدانة أربعة من كبار المسؤولين الإيرانيين في محكمة برلين الجنائية بتهمة الضلوع في مخطط اغتيال المعارضين بمن فيهم شرفكندي ورفاقه في الخارج، لا يزال سارياً.

والمعروف أيضا؛ أن وزير الاستخبارات السابق علي فلاحيان كان قد سافر إلى ألمانيا بعد مجزرة ميكونوس لإجراء مباحثات مع «اشميت باوئر» مسؤول استخبارات المستشارية الألمانية آنذاك وبهدف إقناع الحكومة الألمانية بالإفراج عن دارابي والقتلة اللبنانيين الثلاثة وإغلاق ملف ميكونوس مقابل حصول ألمانيا على خمس صفقات اقتصادية ضخمة قيمتها أكثر من ١٢ مليار دولار، وبينما أبدت الحكومة الألمانية مرونة غير عادية حيال فلاحيان، غير أن ظهور مسؤول كبير في الاستخبارات الإيرانية الذي استدعاه المدعي العام الألماني إلى محكمة برلين وأطلق عليه اسم «الشاهد C» أدى إلى فشل محاولات فلاحيان وبعض المسؤولين الألمان، قد تجاوز عقبة ميكونوس في العلاقات بين البلدين. والشاهدC تحدث في المحكمة بالتفصيل عن خفايا اغتيال شرفكندي ورفاقه والشخصيات المعارضة البارزة مثل الدكتور شابور بختيار زعيم حركة المقاومة الوطنية ورئيس وزراء إيران الأسبق ومساعده سروش كتيبة والدكتور عبد الرحمن قاسملو الزعيم التاريخي للأكراد و... كما كشف عن دور وزير الاستخبارات في تشكيل خلايا تصفية من عناصر إيرانية ولبنانية في الخارج.

وتصريحات الشاهد والوثائق التي قدمها إلى المحكمة قد مهدت لإدانة دارابي وشركائه بحيث أصدرت محكمة برلين حكماً بالحبس المؤبد لكل من دارابي وعباس رايل و ١١ عاماً ليوسف أمين وخمس سنوات لمحمد عتريس.

أطلقت السلطات القضائية الألمانية سراح داربي في ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠٧، بعد أن بعد أن قضى ١٥ عاما في السجن.

٧- لائحات القتل الخمس في العراق : لانهاية لما قد يقال عن خط الدم الذي شقته مليشيات جيش القدس وما ارتكبه الحرس الثوري من جرائم في عموم جهات العراق، منذ يوم التاسع من ابريل عام ٢٠٠٣ وحتى هذا اليوم، ففي الأيام الأولى من الاحتلال الأمريكي البغيض كان العميل أحمد الجلبي حامل وسام الحذاء البيروتي، قد شرع بالتعاون مع فيلق القدس بتعقب و قتل الوطنيين العراقيين بموجب لائحات القتل الأربع: وهي قوائم الموت التي أعدتها أحزاب ومليشيات ولاية الفقيه تحت إشراف (جهاز المخابرات الإيرانية) وتضم هذه القوائم القيادات السياسية والعسكرية والكوادر العلمية والفنية من ذوي الكفاءات والاختصاصات الدقيقة في حقول المعرفة النظرية والتطبيقية.

اللائحة الأولى: أصدر المجلس الإسلامي -الذراع السياسي الإيراني الصنع- المعني بتصدير الثورة إلى العراق والذي أنشأته طهران عقب نشوب الحرب العراقية الإيرانية، أصدر في صيف ٢٠٠١ قرارا يقضي بقتل حوالي (١١) أحد عشر ألف مواطن عراقي، طبقا لقائمة الأسماء المرفقة بهذا القرار بوصفهم مسؤولين في النظام السياسي السابق، وقد جرى تنفيذ القرار منذ اليوم الأول للاحتلال الأمريكي، وكان الدكتور وجيه محجوب والفنان داوود القيسي والدكتور محمد الراوي من أوائل الشهداء.

وتوالت عمليات القتل ومسلسل الاغتيالات، والملاحقة، وسقط مئات الشهداء من العلماء، والمفكرين، وأساتذة الجامعات، والخبراء، والأطباء. وقد تم تصنيف الضحايا حسب الشرائح التالية: (ضباط القوات المسلحة. ضباط ومنتسبو الأجهزة الأمنية المخابرات، والأمن العام، والأمن الخاص، والاستخبارات العسكرية، وفدائيو صدام. مديرو ومعاونو المدارس الثانوية والمتوسطة والابتدائية. المبدعون: الكتاب والأدباء والشعراء والفنانون. العاملون والقياديون في حقل الرياضة والألعاب الأولمبية. القادة الإداريون، والملاكات المتقدمة في الدولة الوطنية.

اللائحة الثانية: أعدها حزب الدعوة وبإشراف وتمويل (جهاز إطلاعات) ضمت اللائحة أسماء قيادات الحزب والدولة وضباط الجيش والأمن والمخابرات وفدائيي صدام.

اللائحة الثالثة: جري انتقاء أسماءها تحت رعاية قائد فيلق القدس سليماني وبمشاركة خلية عمل ضمت بيان جبر صولاغ وهادي العامري، وأحمد الجلبي، وجلال الصغير، وعهد بتنفيذها إلي مغاوير الداخلية والمليشيات الحزبية وفرق القتل الأخرى، وتصدرت اللائحة شرائح الشعب التالية: (العلماء، والأطباء الاختصاصيون، والخبراء. أعضاء في حزب البعث العربي الاشتراكي، التنظيمات القومية والناصرية، العلماء والخبراء والمستشارون في العلوم الصرفة والتطبيقية. المبدعون: الشعراء، والأدباء، والكتاب، والفنانون التشكيليون. الأطباء الاختصاصيون. المفكرون والأساتذة الأكاديميون والباحثون في مراكز التعليم العالي. الملاكات العليا والوسيطة في سلم الدولة الوظيفي. القادة والآمرون في قطاعات الجيش والقوة الجوية. اللجنة الأولمبية، وقادة الرياضة، والفنيون. أمرو ومنتسبو فدائيي صدام. آمرو وملاكات جيش القدس. منتسبو الأجهزة الأمنية: المخابرات، والأمن العام، والاستخبارات العسكرية والأمن الخاص والأمن العسكري، الملاكات الإعلامية: العاملون والفنيون في وسائل الاتصال: المقروءة والمسموعة والمرئية. العاملون في قطاعات السينما والموسيقى والغناء.

اللائحة الرابعة: يطلق عليها قائمة (علماء صدام)، وعرفت أيضا بالقائمة (الذهبية) تضم أسماء (٧٥٠) عالمًا وأستاذًا في الاختصاصات النادرة والدقيقة التي تقع في دائرتي العلوم التطبيقية، والعلوم الصرفة. وشارك في تنفيذ عمليات إعدام واغتيال ما يزيد على مئتي عالم من هذه القائمة مليشيات جيش المهدي ومنظمة بدر، لحساب أطراف دولية وإقليمية عديدة.

اللائحة الخامسة : تصفية طياري القوة الجوية العراقية : أظهرت وثائق دبلوماسية نشرها موقع ويكيليكس الإلكتروني أن إيران شنت حملة منظمة لاغتيال الطيارين العراقيين الذين شاركوا في قصف أهداف إيرانية خلال الحرب بين البلدين، وتمكنت من قتل ١٨٢ منهم. ونقل موقع محطة (ABC) على الإنترنت فقرة مختصرة من برقية قال فيها دبلوماسيون أميركيون إن إيران تشن حملة «هادئة وفعالة للثأر من طياري العراق الذين قصفوا أراضيها» خلال الحرب بين البلدين في ثمانينيات القرن الماضي. وتقول البرقية السرية المرسلة يوم ١٤ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٠ إن «كثيرا من الطيارين العراقيين الذين نفذوا طلعات أثناء الحرب العراقية الإيرانية، باتوا على قائمة إعدامات أعدتها إيران، وإنها بالفعل اغتالت ١٨٠ منهم» .يشار إلى أن عملية تصفية الطيارين العراقيين لم تجلب كثيرا من الاهتمام لوقوعها أثناء الاقتتال الأهلي الذي شهده العراق بعد سنوات من غزوه من طرف الجيش الأميركي عام ٢٠٠٣ وإسقاط نظام الرئيس صدام حسين.

وتقول (ABC) إن (١٨٢) طياراً عراقياً قضوا على يد عملاء إيرانيين، وإن حملة الاغتيالات دفعت ٨٠٠ منهم إلى الفرار خارج البلاد، حسبما تفيد إحصاءات منقولة عن وزارة الدفاع العراقية.

وتضيف المحطة الأميركية أن الحملة على طياري القوة الجوية العراقية بدأت في حي الكرادة بالعاصمة بغداد، وبلغت ذروتها خلال شهر رمضان عام ٢٠٠٥ والذي شهد وحده مقتل ٣٦ طيارا في ذلك الحي وحده.

النص الأصلي للوثيقة باللغة الإنجليزية:

http://www.wikileaks.ch/cable/2009/1...GHDAD3195.html



ملاحظات:

١- وصلت المجاهرة بقوائم الموت إلى حد بثها إعلامياً وشيوع تداولها على مواقع الشبكة العالمية للمعلومات.

٢- عندما نستذكر شهداء الشعب الذين سقطوا برصاص بدر وسواها من العصابات المدججة بالأحقاد والضغائن من الصعب على أي مواطن أن يصدق أن أيا من القتلة الذين اغتالوا هذا العالم والأكاديمي والكاتب والفنان والقائمة الطويلة من نجوم الوطن الزاهرة لا يمكن لمثل هذا المجرم الرخيص أن يكون عراقيا، أو ممن عاش على أرض الرافدين ».

zangaw41@yahoo.com

عن شبكة البصرة

الأربعاء ٩ ربيع الأول ١٤٣٣ / ١ شباط ٢٠١٢



فهرس الكتاب